عقلاء المجانين

لأبي القاسم بن حبيب النيسابوري

«٠٠٠-٤٠٦هـ» = «٠٠٠-١٠١٦م»

تحقيق وتعليق

مصطفى عاشور



عقلاء المجانين

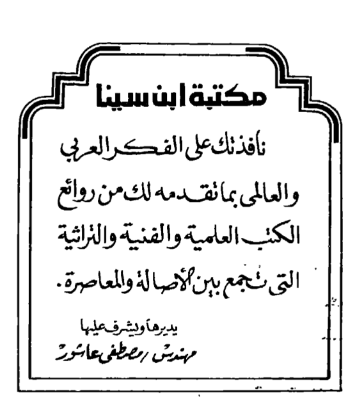
لأبى القاسم بن حبيب النيسابورى

«٠٠٠ - ٤٠٦هـ» = «٠٠٠ - ١٠١٦م»

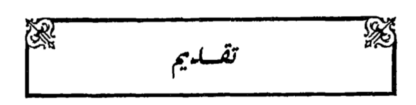
تحقيق وتعليق

مصطفى عاشور

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣


مكتبة ابن سينا
نافذتك على الفكر العربي
والعالمي بما تقدمه لك من روائع
الكتب العلمية والفنية والتراثية
التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة.
يديرها ويشرف عليها
مهندس مصطفى عاشور


بسم الله الرحمن الرحيم



تقـديم

الحمد لله الذى خلق الإنسان ، وميزه بالعقل ، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

والصلاة والسلام على نبيه الكريم الذى قال فيه ربه : ﴿**ما ضلّ صاحبكم وما غوى.وما ينطق عن الهوى**﴾ (٢ ـــ ٣ : النجم) .

وبعد .. فلا شىء يزين الإنسان ـــ رجلا كان أو امرأة ـــ كعقله . إنه ميزان التفاضل بين الناس ، وبضدها تتميز الأشياء !

والناس كما يقول القاضى أبو يوسف ـــ ثلاثة : مجنون ، ونصف مجنون ، وعاقل .

فأما المجنون ، فأنت معه فى راحة !

وأما نصف المجنون ، فأنت منه فى تعب !

وأما العاقل ، فقد كفيت مُؤْنته .

نعم .. ما أكثر ما نعانى من أنصاف المجانين ومن الحمقى والمتحامقين وما أَمَرَّ ما يلاقيه منا ومن صبيتنا عقلاء المجانين !!

والذين عاشوا عصرنا يلمسون تلك الضغوط الحياتية والنفسية التى تفقد الكثيرين صوابهم ، وتخرجهم عن طبيعتهم ، وتفقدهم أتزانهم ! وتجعلهم فى أمس الحاجة إلى الرحمة والعطف !

نعم .. هناك كثيرون تدفعهم ظروفهم إلى التحامق ، والتظاهر بالجنون ؛ لينالوا غنى ، أو أملا فى النجاة من بلاء وآفة ، أو خروجا من أزمة وعبورًا لمحنة !

وهناك شباب ماجنون ، وشيوخ متصابون .. والكثير الكثير من أسرى المخدرات لاهون ساهون !

ولكن هناك من تطحنهم الظروف وتقسو عليهم فيفقدون صوابهم .. إنهم نماذج بشرية نلقاهم كل يوم ، ويختلط علينا أمرهم فلا نكاد نفرق بينهم وبين غيرهم ونحار فى معاملتهم ومعاملة الناس فن ، وخبرة ، وحكمة ، ومهارة !

وميزة النيسابورى أنه يصحبك فى زيارة — على انفراد — لهذه النماذج كلها ، فترى لكل شخصية لونها وفلسفتها ، وأفكارها .

إنهم يفتحون لك قلبهم .. تسمعهم ، وتُحَلِّق فى آفاقهم ، وتتحسس مواجعهم وآلامهم ، وأسباب جنونهم ، وتخرج من رحلتك برصيد ممتع من المبادىء الرفيعة ، والقيم النبيلة ، والشعر الروحى ، والأدب الراق ، والدراسة المتأنية الرصينة .. وتعيش فى عالم كله نوادر وأشعار للذكور والإناث .

لقد كان الكثيرون يقولون بعد حوار معهم : ليتنا كنا مثلهم ! أهؤلاء مجانين ؟ ومن يكون العقلاء ؟ تُرى ماذا ستقول بعد أن تعايش عقلاء المجانين ؟! .



[المؤلف والكتاب]

أولاً : المؤلف

من حق القارىء الكريم علىّ أن أعقد له لقاء مع مؤلف الكتاب لينظر : أهو جدير بالصحبة والمعايشة ؟! وليعرف إلى أى مدى كان الاختيار موفقا ؟!

وإليك ما قاله الإمام السيوطى عنه فى طبقات المفسرين :

النّيْسابورى :

الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب ، أبو القاسم النّيْسابورى الواعظ المفسر .

قال عبد الغافر :

إمام عصره فى معانى القرآنِ وعلومه .

مصنف « التفسير » المشهور[1] .

وكان أديبا ، نحويا ، عارفا بالمغازى ، والقصص ، والسِّيَر .

انتشر عنه بنيسابور العلمُ الكثير ، وسارت تصانيفه الحِسان فى الآفاق ، وكان أستاذ الجماعة .

حدّث عن الأصمّ ، وأبى زكريا العنبرى ، وذكره فى كتاب « سر السرور » وقال :

هو أشهر مفسرى خُراسَان ، وأقضاهم لحق الإحسان ، وكان الأستاذ أبو القاسم الثعلبى من خواص تلاميذه .

---

(١) نقلنا لك رأى « بروكلمان » فيما نسبه الإمام السيوطى إلى مؤلف هذا الكتاب من أنه صاحب التفسير المشهور .

وقد نبه الكثيرون إلى أن مؤلف التفسير هو الحسن بن محمد النيسابورى ، الذى جاء متأخراً عن أبى القاسم بأربعة قرون تقريباً . فلزم التنويه .

وقال الذهبى : سمع أبا حاتم بن حبان وجماعة . روى عنه أبو بكر (محمد) بن عبد الواحد الحيرى الواعظ ، وأبو الفتح محمد بن إسماعيل الفرغانى وآخرون .

وصنف فى القراءات ، والتفسير ، والآداب . و «عقلاء المجانين» .

مات فى ذى الحجة سنة ست وأربعمائة (... ـــ ٤٠٦ هـ = ... ١٠١٦ م)

ومن شعره :

بمن يستغيثُ العبدُ إلا بربّه ∴ ومن للفتى عند الشدائِدِ والكربِ ؟

ومن مالكُ الدنيا ومالكُ أمرِها ∴ ومن كاشف البلوى على البعد والقرب ؟

ومن يدفعُ الغمّاءَ وقتَ نزولِها ∴ وهل ذاك إلا من فِعالك يا ربّ !

أرأيت كيف اخترت لصحبتك إماما ، واعظا ، مفسرا ، نحويا ، أديبا ، بليغا ؟ أرْجو أن أكون قد أحسنت الاختيار !



ثانياً : الكتاب

ومن حق القارىء أن نطوف به فى جولة سريعة حول الكتاب : عقلاء المجانين .

طالما عايشنا « العقلاء » ، و «عقلاء العقلاء» من الفلاسفة والحكماء ، لكننا نتخذ موقفا سلبيا من « المجانين » و «عقلاء المجانين» !

وقد يكون لنا الحق فى هذا الموقف من المجانين ، لكن ما ذنب عقلاء المجانين ؟!

أليس لهم الحق أن نمد إليهم يدا ؟.. أن نقف بجوارهم .. ونساندهم .. أن ندرس النفس البشرية من خلالهم ؛ فمهما اختلفت التقلبات على العقل البشرى ، فإن مادة خواطره لا تزال واحدة على تباين الأعصار والأمصار !

والنماذج التى يقدمها النيسابورى نماذج صافية خيرة ، تنشد الكمال ، وتهتف بالحق ، ولا تخاف إلا الله ، وليس فى قلبها إلا حبه .

إنها نماذج محببة إلى النفوس تُقبل على معايشتها وتراها فى صفائها ونقائها بعيداً بعيداً عن الرياء والنفاق ، والمداراة ، والخداع .. تأخذ منها الحكمة وتسمع منها الموعظة ، فتحلق فى آفاق الحب الإلهى ، وتنعم بالقرب ، ومن ذاق عرف !

أسلوب الكتاب :

قمة فى السلاسة والسهولة ، إنه أسلوب المائة الثالثة والرابعة : سلاسة بلا تكلف ، وطبع بلا تصنع .

إنه يبدأ بمقدمة فى الجنون تناولت كل ما ورد بشأنه فى الكتاب العزيز .

وينتقل بك فى لباقة ورقة إلى دراسة لغوية فى أصل الجنون ، وأسماء المجنون فى اللغة .

ثم يطوف بنا مع الأمثال المضروبة فى الحمق والحمقى . ولا يكاد ينتهى منها حتى يفتح صفحة من فقه اللغة نعرف منها أسماء «جنون الدواب» .

وهنا تكون نفوس القراء قد تهيأت فينتقل إلى بيان ضروب المجانين ، والأسباب الداعية إلى الجنون أو التحامق .

وعندئذ يصحبك فى رحلة إلى دور المرضى والمجانين ليريك الجوانب الخيرة ، ويجعلك تتوقف لتأخذ الحكمة من أفواههم .

وحسبك أنه يتيح لك لقاء مع أكثر من مائة من عقلاء المجانين بين ذكور وإناث !

وحسب الكتاب ما تضمنه من الرقائق الشعرية والحكم النثرية ، والحوار الهادف البناء !

إنه كتاب يملأ فراغاً فى نفوسنا !! فهنيئا لك به !

نسبة الكتاب إلى النيسابورى

ذكره « بروكلمان » فى كتابه تاريخ الأدب العربى الجزء الثالث الباب السّادس :

أدب السمر وكتب الثقافة العامة

تحت رقم ١٢ فقال :

له كتاب « عقلاء المجانين » ، وهو نوادر ، وأشعار ، وأخبار عن الحمقى والمجانين من الذكور والإناث : برلين : ٨٣٢٨ ؛ إسكوريال ثان ٨٢٢ ؛ ياتنه ١ : ٢٠٣ رقم ١٨١ ؛ بنيكور ١٨١٧ (انظر تذكرة النوادر للندوى) ؛ ونشر فى دمشق ١٣٤٣/ ١٩٢٤ .

وانظر أُطروحة الدكتوراه التى قدمها P. Loosen إلى جامعة Bonn عن هذا الكتاب فى : Dieweisen Naren des Nisaburi , ZA XVII , 1912. I89ff وقد نسب هذا الباحث إلى النيسابورى هذا ، كتاب التفسير المشهور للنيسابورى ، والمطبوع غير مرة ، كما نسب السيوطى هذا التفسير إليه أيضا فى الطبقات .

وهذا خطأ ، لأن مؤلف هذا التفسير هو : الحسن بن محمد النيسابورى من أوائل القرن الثامن للهجرة .

هذا الكتاب مخطوطا ومطبوعا

منذ أن هيأ الله لى العمل بالنشر وأنا أتابع عن قرب كتب التراث لأقدمه إلى القراء .

وفى إحدى رحلات العمل أتيح لى أن أطلع على نسخة من كتاب «عقلاء المجانين» بالآستانة ، ولكن الظروف حالت دون الحصول على مخطوطة الكتاب !

وعندما عدت إلى القاهرة حصلت على مخطوطة الكتاب بدار الكتب المصرية وجاء فى نهايتها :

وهذه عبارة الأصل :

تمت النسخة النادرة بعون من له الأولى والآخرة يوم الجمعة لثلاثة وعشرين خلت من المحرم الحرام سنة خمس وستين وألف بقسطنطينية المحمية على يد أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم إلى بره : **أحمد بن المرحوم عبد الحليم**

وتمت هذه النسخة المباركة بقلم الفقير إلى ربه المانح : محمد صادق فهمى بن السيد أمين المالح الناسخ بخزانة كتب الملك الظاهر بدمشق وكان الفراغ منه يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة وألف عن نسخة قديمة صحيحة بخزانة مفتى دمشق السابق السيد أبو الخير أفندى عابدين .

ومن هذا يتبين أن :

(١) أن نسخة إحدى خزائن الآستانة هى الأصل .

(٢) ونقلها أحمد بن عبد الحليم سنة ١٠٦٥ هـ .

(٣) وكانت خزانة كتب مفتى دمشق السيد أبى الخير عابدين لها مقرا .

(٤) وأقبل أدباء مصر والشام يستنسخونها .

(٥) وفى سنة ١٩٢٤ ميلادية قام السيد وجيه فارس الكيلانى بنسخها ونشرها .

وعلى الرغم مما بذله فى إصلاح ما أفسدته أيدى الناسخين فقد ظل الكتاب فى أمس الحاجة إلى الجهد الفنى والعلمى ليظهر فى الثوب اللائق به .

ولم تكن الطبعة التى ظهرت فى عام ١٩٨٥ بأحسن حالا من الأولى ، فقد كانت صورة طبق الأصل منها ومن حواشيها اللهم إلا بعض التعليقات الحافلة بالأخطاء الفكرية والفنية وبخاصة الآيات القرآنية .

ومن هنا كان لابد أن نكرس جهودنا لإبراز التراث فى صورته اللائقة ، وحرصا على ألا يقدم للقارىء إلّا ما يحترم عقله وذوقه . وكانت هذه الطبعة !

مصطفى عاشور

القاهرة فى : المحرم ١٤٠٩هـ
أغسطس ١٩٨٨م



كتاب
عقلاء المجانين
تأليف

تأليف الشيخ الاستاذ العالم العامل العلامة
والحبر الحافظ الفهامة المثبت
الناقد الحجة الرحلة
ابو القاسم بن حبيب
المفسر النيسابوري
عليه
الرحمة

الصفحة الأولى من المخطوط

صحوة يوم الجمعة لثمان وعشرين خلت من محرم الحرام سنة خمس وستين والف بقسطنطينية المحمية على يد اضعف عباد الله تعالى واحوجهم الى بره احمد بن المرحوم عبد الحليم عفا عنهما الرب الرحيم والحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده والسلام

تمت هذه النسخة المباركة بقلم الفقير الى ربه المانح محمد صادق نمى ابن السيد امين الصالح الناسخ بخزانة كتب الملك الظاهر بدمشق غفر الله له ولوالديه ولمن تسبب بايصال الخير اليهما واليه وللمسلمين وكان الفراغ منه يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنين واربعين وثلاثمائة والف

عن نسخة قديمة صحيحة بخزانة مفتي دمشق السابق السيد ابو الخير افندي عابدين

وهذه طبق الاصل فمن وجد خللا فليحرره

الصفحة الأخيرة من المخطوط

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلّا بالله .

الحمد لله الذى لا يخيب لديه أمل الآملين ، ولا يَضيع عنده عمل العاملين ؛ فهو جبار السموات والأرضين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين .

أما بعد : فإن الله تعالى خلق الدنيا دار زوال ، ومحل قلق وانتقال ، وجعل أهلها فيها غرضاً[1] للفناء ، ومقاساة الشدة والبلاء ؛ فشابَ حياتَهم فيها بالموت[2] ، وبقاءهم بحسرة الفوت[3] ، وجعل أوصافهم فيها متضادّة ؛ فقرن قُوّتهم بالضعف ، وقدرتهم بالعجز ، وشبابَهم بالشّيْب ، وعزّهم بالذل ، وغناهم بالفقر ، وصحتَهم بالسَّقَم ، واستأثر انفراد الصفات لنفسه : قوة بلا ضعف ، وقدرة بلا عجز ، وحياة بلا موت ، وعز بلا ذل ، وغنى بلا فقر ، وكذلك سائر صفاته . ثم أقسم بها أجمع فقال تعالى : ﴿**والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر ..**﴾[4] واختلف الناس فيها من ثلاثين وجهًا وأشار أبو بكر محمد بن عمر الوراق ـــ رحمه الله ـــ إلى ما ذكرناه .

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد النّسَفى بمرو ، قال : حدثنا أبو عبد الله خَتَنُ أبو بكر الوراق[5] ، قال : سئل أبو بكر عن قوله عز وجل : ﴿**والشفع والوتر**﴾ ؟ فقال : الشفع : تَضَادُّ أوصاف المخلوقين . والوَتْر : انفراد صفات الخالق . ثم ذكر نحوًا مما قلنا .

أمثلة لتضاد أوصاف المخلوقين .

وعلى هذا المثال قَرَن حُبورهم بالعَبْرة ، وفرحهم بالتَّرح ؛ ولذلك قالت الحكماء : كفاك بصحتك سَقَما وبسلامتك داء .

(١) الهدف الذى يُنصب ويُرمى إليه .

(٢) شابَ حياتها : خلطها .

(٣) ما فاتهم ولم يدركوه

(٤) الفجر : من ١ ـــ ٣ .

(٥) ختن الرجل : أبو زوجته وأخوها ، وزوج البنت ، وزوج الأخت .

حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن الخطيب الميدانى بزوزن[1] قال : حدثنا أبو قريش محمد بن خلف الحافظ قال : حدثنا محمد بن زُنْبور المكى قال حماد بن يزيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ **«كفى بالسلامة داء»**[2] .

سمعت الفقيه أبا حامد أحمد بن محمد بن العباس البغوى بها قال : سمعت أبا الحسن على بن إبراهيم بن عبد الله قال : سمعت أبا داود سليمان بن معبد الشبخى يقول : أنشدنا بعض الأدباء .

كانت قناتى لا تلين لغامزٍ فألانها الإصباح والإمساء
ودعوت ربى بالسلامةِ جاهدًا لمعيشتى فإذا السلامةُ داءُ[3]

وأخبرنا محمد بن عيسى بن على بمرَوَرُّوذ[4] قال : أخبرنا يوسف بن موسى قال حدثنا بشر بن عبد الغفار الواسطى عن يحيى بن هاشم السنمسار قال : قال مسهر لعطية العوفى : «كيف أصبحت ؟ قال : فى سلامة مشوبة بداء ، وعافية داعية إلى فناء» .

قال :وحدثنا أبو على الحسين بن محمد بن هارون قال:حدثنا أبو حامد المستملى حدثنا محمد بن الحجاج حدثنا جميل بن يزيد عن وهب بن راشد عن فرقد الشنجى قال : مكتوب فى التوراة : «يا بن آدم ، أنت فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن

---

(١) زُوزَنَ : كورة واسعة بين نيسابور وهراة ويحسبونها فى أعمال نيسابور وسميت بذلك لأن النار التى كانت المجوس تعبدها حُملت من أذربيجانَ إلى سجستان على جمل فلما وصل إلى زوزن برك فقال بعضهم : زوزن أى عجل فلما امتنع بنى بيت النار هناك . انظر معجم البلدان جـ٣ .

(٢) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وضعفه الألبانى حديث رقم (٤١٧٨) .

(٣ قناة الرمح خشبته ، وتغمر القناة وتختبر قبل تركيب حديدة الرمح لمعرفة مدى صلاحيتها وقوتها ، وإذا كانت القناة لاتلين لغامر دلّ ذلك على متانتها وقوتها ، والتعبير بعدم لين القناة كناية عن القوة فالشاعر كان قوياً . ولكن الإصباح والإمساء ألاناها . ولا عجب فدوام الحال من المحال !

(٤) قال ابن خلكان «مرْوَرُّوذ» مدينة مبنية على نهر ، وهى أشهر مدن خراسان بينها وبين مرو الشاهجهان أربعون فرسخاً . والنهر يقال له بالعجمية الرُّوذ . وهاتان المدينتان هما المروان وقد جاء ذكرهما فى الشعر كثيراً ، أضيفت إحداهما إلى الشاهجهان وهى العظمى ، والنسبة إليها : مروزىّ ، والثانية إلى النهر المذكور ليحصل الفرق بينهما ، والنسبة إليها مَرْوَرُّوذى ومروذى أيضاً . قاله السمعانى .

أمك .» . وقيل للحسن : إن فلانا فى النزع . فقال : «مازال فى النزع منذ خرج من بطن أمه ولكنه الآن أشد» .

وهذا حميد بن ثور وهو من فحول الشعراء يقول فى بعض قصائده :

أرى جسدى قد رابنى بعد صحةً　　وحسبك داء أن تَصِحَّ وتَسْلَما[1]!!

وأنشدنا أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله السرخسى قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن المدغولى قال : أنشدنا أبو الحسن محمد بن حاتم المظفّرى رحمهم الله سبحانه وتعالى :

يُحبُّ الفتى طولَ البقاءِ وإنه　　على ثقة أن البقاءَ فَنَـاءُ

زيادتُه فى الجِسم نقصُ حياتِه　　وليسَ على نقصِ الحياةِ نَمَاءُ

إذا ما طوى يومًا طَوَى اليومَ بعده　　ويَطْويه إن جَنّ المساءَ مساءُ[2]

جديدان[3] لا يبقى الجميعُ عليهما　　ولا لَهُمَا بعد الجميعِ بَقَاءُ

اختلاط العقل بالجنون :

وكما شابَ صفاتِ أهلِ الدنيا بأضدادها ، كذلك شاب عقلَهم بالجُنون فلا يخلو العاقلُ فيها من ضربٍ من الجنون ؛ ولذلك أشار النبىّ ﷺ إلى من أبلى شبابه فى المعصية ، فسماه «مجنونا» .

حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبرى قال : حدثنا أبو إسحاق حبان البلخى قال : حدثنا محمد بن مدوّيه الكرابيسى الترمذى قال : حدثنا خالد بن خداش عن صالح المرسى ، عن جعفر بن زيد العبدى ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : «بينما رسول الله ﷺ فى أصحابه ، إذ مرّ رجل فقال بعض القوم : هذا مجنون ؛ فقال رسول الله ﷺ **«هذا مصاب» إنما المجنون المقيم على معصية الله تعالى**[4] .

(١) أحدث فى نفسى ريبة ، فليس بعد الكمال إلا النقص ، وليس بعد الصحة إلا المرض .

(٢) جَنّ المساءَ مساءُ : أى ستره وغطاه ، والمقصود أن توالى الليالى إيذان بنقص العمر .

(٣) الجديدان : الليل والنهار .

(٤) جمع الجوامع ٦٩٦/٢ . من طريق أبى هريرة .

المجنون عند الناس :

والمجنون عند الناس من يشتم ويسب ، ويرمي ويخرق الثوب ، أو من يخالفهم فى عاداتهم فيجيء بما ينكرون ولذلك سمّت الأممُ الرسلَ «مجانين» ؛ لأنهم شقوا عصاهم فنابذوهم ، وأتَوْا بخلاف ما هم فيه قال الله جل ذكره : ﴿**كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازْدُجِر. فدعَا ربه أنى مغلوب فانتصر**﴾[1] وقال تعالى : ﴿**وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين. فتولى بِرُكْنِه**﴾ (يعنى فرعون) ﴿**وقال ساحر أو مجنون**﴾ . [٣٨ ــ ٣٩ : الذاريات] .

سمعت على بن عبد الله السَّمَرْقَنْدىّ يقول : سمعت أبا القاسم الحكيم يقول : «من عَرَفَ نفسه كان عند الناس ذَليلًا ، ومن عرف ربه كان عند الناس مجنونًا»[2] .

ولقد قال مشركو مكة للنبى ﷺ ــ حين تحداهم إلى الإيمان بالله ــ إنه مجنون ، وساحر ، وشاعر ، وكاهن .

أخبرنا أبو على الحسين بن محمد بن هارون قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد قال: أنبأنا يوسف بن بلال عن محمد بن مروان عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن الوليد بن المغيرة المخزومى قال حين حضر الموسم : يا معشرَ قُريش إن محمدًا رجل حُلوُ الكلام وقد أغار أمره فى البلاد وأنجد[3] وإنى لا آمن أن يصدقه الناس فابعثوا رِهطا من ذوى الرأى والحجا[4] إلى أنقاب مكة[5] على مسيرة ليلة أو ليلتين ، لِيَلْقَوْا الناس ، فمن يسأل عن محمد ، فليقل بعضهم : إنه ساحر ، وبعضهم : إنه مجنون ، وبعضهم : إنه كاهن ، وبعضهم : إنه شاعر إن لم تروه خير من أن تروه[6] .

فبعثوا ستة عشر رجلا فى أربعة من الطرق فى كل طريق أربعة نفر ، وأقام الوليد

(١) القمر ٩ ــ ١٠ .
(٢) لأنه يخالفهم حينئذ فى عاداتهم .
(٣) تقول العرب أغار وأنجد حتى أغاث وأنجد . والمقصود : أنه ارتفع شأنه .
(٤) الرهط : الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة ، أو مادون العشرة . والحجا : العقل .
(٥) النقب والمنقب : الطريق الضيق فى الجبل .
(٦) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة بسند ضعيف حديث ١٨٤ ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٢/٣١٦ـ٣١٧) ، وابن هشام فى السيرة النبوية (٢/١٩١) .

ابن المغيرة فى مكة يقول لمن يسأل : إنه كاهن ، ومجنون ، ففعلوا ذلك فتصدع الناس عن قولهم[1]: فشق ذلك على النبى ﷺ ، وكان يرجو أن يَلْقى الناسَ أيام الموسم ، فيعْرِضَ عليهم أمرَه ، فمنعه هؤلاء ، وفرحت قريش ، وقالوا للنبى ﷺ : هذا دأبنا ودأبك ما عشنا[2]» فنزل جبريل — عليه السلام — ورسول الله ﷺ فى الحِجْر[3] فمر به «الوليد بن المغيرة» ، فقال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ : كيف تجد هذا ؟ فقال: بئس عبد الله هو! فأهوى جبريل بيده إلى كفيه ، فقال : كُفِيتَ أمْرَه ، فمر الوليد بحائط فيه نَبْلٌ لبنى المصطلق — وهم حى من خزاعة — وعليه بُرْدَان يتبختر فيهما ، فعَلِق سهمٌ بإزاره ، فمنعه الخُيَلاءُ أن ينزعه منه ، فنفض السهم فأصاب أكحله[4] فقتله[5].

ومر به «العاص بن وائل السهمى» ، فقال جبريل: كيف تجده؟ فقال: «عبد سوءٍ» . فأهوى جبريل بيده إلى باطن قدمه فقال: «قد كُفيتَ أمره» فركب حمارًا يريد الطائف ؛ فصرعه الحمار على شوك فدخلت شوكةٌ باطنَ قدميه فتفتحت فقتلته !.

ومر به «الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن سهم» فقال جبريل: كيف تجد هذا ؟ قال : «عبد سوءٍ» فأهوى — عليه السلام — بيده إلى رأسه وقال : كُفيتَ أمرَه ؛ فتفسخ رأسه ومات !.

ومر به «الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة» ؛ فقال جبريل – عليه السلام – كيف تجده ؟ قال: عبد سوءٍ ؛ فأهوى بيده إلى بطنه ، وقال : كفيت أمره ؛ فعطش ، فجعل يشرب ، ولا يُروى[6] ؛ حتى مات .

---

(١) تفرقوا كما يتصدع البناء وتتفرق أجزاؤه .

(٢) الدأب : العادة والطريقة . أى سنظل نعاملك هكذا بمثل هذه المعاملة .

(٣) الحِجْر : ما حواه الحطيم ، وهو جانب الكعبة من جهة الشمال . والحطيم : بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة . .

(٤) الأكحل : وريد فى وسط الذراع يفصد أو يُحقن. ويقال : نفض السهمَ : أى حركه ليزول عنه وقد علق به .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٤٨/١٤) ، وابن المنذر وابن أبى حاتم ، انظر الدر المنثور (١٠٦/٤) .

(٦) لا يشبع .

ومر به «الأسود بن عبد المطلب بن عبد العزى بن قصى» فقال جبريل: ــ عليه السلام ــ كيف تجدهُ ؟ فقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ بئس العبدُ هو ! فضرب جبريل ــ عليه السلام ــ بجندل فى وجهه، وقال: كُفِيتَ أمرَه فعَمِى ! ثم مات وأنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ آية: ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين**﴾ [٩٤ ــ ٩٥/ الحجر] يعنى: الذين سميناهم[1].

فلما أذى أهل مكة رسولَ الله ﷺ، خبَّر الله عنهم فقال: ﴿**ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون**﴾. [٣٦/ الصافات] وقال: ﴿**ثم تولَّوْا عنه وقالوا معلَّم مجنون**﴾. [١٤/الدخان] . وقال: ﴿**وإن يكادُ الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين**﴾. [٥١ ــ ٥٢/ القلم] وعزّاه فقال: ﴿ **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرُّسل من قبلك** ﴾ [٤٣/ فصلت] وقال: ﴿ **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون** ﴾ [الذاريات : ٥٢] .

ثم ناضل ونافح عن رسول الله ﷺ، فأجاب عنه جميع ما قيل فيه ولم يكلفه الإجابة عن نفسه كما كلف غيره من الأنبياء عليهم السلام: ألا ترى أن نوحًا عليه السلام لما قيل له: ﴿**إنا لنراك فى ضلال مبين**﴾ [٦٠/ الأعراف] قال: ﴿**يا قوم ليس بى ضلالة**﴾. [٦١/ الأعراف] . وكذلك هود عليه السلام لما قيل له: ﴿**إنا لنراك فى سفاهة**﴾. [٦٦/ الأعراف] . قال: ﴿**يا قوم ليس بى سفاهة**﴾. [٦٧/ الأعراف] .

وقال فرعون لموسى ــ عليه السلام ــ ﴿**إنى لأظنك يا موسى مسحورًا**﴾ (١٠١/ الإسراء) . فكلف موسى الإجابة عن نفسه فقال: ﴿**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السمٰوات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبورًا**﴾. (١٠٢/ الإسراء) أى: هالكا.

وفى هذا مزية للرسول ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام. ألا ترى كيف أجاب جل ذكره عن جميع ما قيل فيه نحو قوله تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغى له**﴾. (٦٩/ يٓس). ﴿**وما هو بقول شاعر**﴾. (٤١/الحاقة) . ﴿**ولا بقول**

(١) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة حديث (٢٠٣) ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٤٧/٧) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٢٠٤/٢) .

كاهن﴾ . (٤٢/ الحاقة) **﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾** . (٢/القلم) . وقوله تعالى : **﴿ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى﴾** (٢ ــ ٣ النجم) حين قالوا: إنه يقول مايقول من تلقاء نفسه ، **﴿وما صاحبكم بمجنون﴾** (٢٢/ التكوير)

وقوله تعالى : **﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾** (الأعراف/ ١٨٤) .

وقوله : **﴿إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾** (سبأ/ ٤٦) .

وقوله تعالى : **﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾** . (الطور/ ٢٩) .

وإلى الجنون أشار قوم هود فى قولهم : **﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾** . (هود/ ٥٤) .

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عمير ، ومحمد بن عمران بن عتبة بدمشق قالا : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال : حدثنا يحيى بن سعيد الأموى عن داود بن أبى هند ، عن عمرو بن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كان رجل من أزد شنوءة يسمى «ضماداً» وكان راقيا فقدم مكة فسمع أهلها تسمى رسول الله ﷺ مجنونا ، فأتاه فقال : إنى رجل أرقى وأداوى ؛ فإن أحببت داويتك . فقال رسول الله ﷺ : **«الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضْلِلِ فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدً عبده ورسوله»**[1] . فقال ضماد: أعد علىّ؛ فأعاده النبى ﷺ ، واستعاده ثانيا ، فأعاد عليه الصلاة والسلام ؛ فقال ضماد : والله لقد سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء والبلغاء ، فما سمعت مثل هذا الكلام قط ! هات يدك أبايعْك فبايعه على الإسلام ، فقال : وعلى قومى . فقال عليه السلام **«وعلى قومك»** .

قال الراوى : فبعث رسول الله ﷺ سَرِيّة[2] بعد ذلك ؛ فمروا على تلك

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (١/٣٥٠) بنحوه من نفس الطريق .

(٢) السَّرِيّة : قطعة من الجيش ، ما بين خمسة أنفس إلى ثلثمائة . أو هى من الخيل نحو أربعمائة . والجمع سرايا .

البلاد ، فقال لأميرهم : هل أصبتم شيئا ؟ قالوا : نعم . إداوة[1] . قال : رُدّوها ؛ فهؤلاء قوم ضَمَّاد . وأخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن قال : قرأت على أحمد بن عمر بن الصلت النسوى قال : حدثنا على بن حزم ، قال : حدثنا أبو عبد الله الضرير ، قال : حدثنا يزيد بن ذريع عن داود بن أبى هند قال : أخبرنا أبو أحمد محمد بن إبراهيم الصريمى المروزى وقد قدم علينا حاجًا قال : حدثنا عبدان بن محمد ابن عيسى ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس قال : قدم أبو العراف اليمانى — وكان من أشراف اليمن — فرأى رسول الله ﷺ فى حُلّةٍ حَمراءَ[2] وهو يقول للناس : «**قولوا لا إله إلا الله تُفْلحوا**»[3] وإذا خلفه شيخ يقول : إياك وإياه !! فإنه مجنون كذّاب . فسأل أبو العراف عن ذلك الشيخ ، فقيل : عمهُ أبو لهب ؛ فأتاه فقال : ما تقول فى ابن أخيك ؟ قال : لم نَزَلْ نداويه من الجنون ! فقال : له : تَبًّا لَكَ[4] ، إن كلام المجانين متفاوت غير مستقيم ، وما يشبه ابن أخيك المجانين بوجهٍ من الوجوه ! فقال له أبو لهب : فما هذا الذى يقول ؟ قال : وحى ورسالة وحقّ وصِدق . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه عبده ورسوله ! ثم أتى النبى ﷺ بعد ما أظهرَ دعوتَه واستفحلَ أمرُه فى ثمانين فارسًا من قومه مسلمين .

المجنون عند أهل الحقائق :

والمجنون عند أهل الحقائق من ركن إلى الدنيا ، وعمل لها ، وطاب عيشًا ، بذلك نطقت الأخبار ، حدثنى أبى — رحمه الله — قال : حدثنا محمد به سوار حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه ، قال : خلق ابن آدم أحمق ولولا حمقه ما هنأه العيش .

وسمعت أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبرى يقول : سمعت محمد بن

---

(١) الإداوة : إناء صَغير يُحمل فيه الماء .

(٢) الحُلّة : الثوب الجيد الجديد غليظاً أو رقيقًا .

(٣) الزهد لابن المبارك ص (٤٠١) ، وأحمد فى مسنده (٤٩٢/٣) ، (٦٣/٤ ، ٣٤١) ، (٣٧١/٥) من طريق آخر .

(٤) تبًا لك : دعاء عليه بالخسارة والهلاك .

المسيب الأرغيانى يقول : سمعت عبد الله بن الحسن الأنطاكى يقول : سمعت يوسف ابن أسباط يقول : سئل سفيان الثورى من المجنون ؟ فقال : من لم يُمَيِّز رُشْدَه من غَيِّه .

سمعت أبا على محمد بن عمر الربودى يقول : سمعت على بن الحسين بن على بن الحسين بن أبى عيسى الهلالى يقول : سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول : سمعت الفُضَيْل بن عياض يقول : دعاك الله إلى « دار السلام » وقد آثرت فى دنياك المُقَام ، وحَذَّرك عدوَّك الشيطان . وأنت مؤالفه طول الزمان ، وأمرك بخلاف هواك وأنت معانيه صباحك ومساك ، فهل الحمق إلا ما أنت فيه ؟!

سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن أحيد القَطّان البلْخى يقول : سمعت أبا شهاب معمر بن محمد العوفى يقول : سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول : سمعت خلف بن أيوب وسئل عن الأحمق ؛ قال : من عمل لدنياه ، ووافق هواه ، وآثر على ربِّه سواه » .

وقيل لآخر : من المجنون ؟ قال : من لم يُبالِ ما نقص من دينه بعد أن سلمت له دُنياه .

وقيل لآخر : من المجنون ؟ قال : من لم يأمن على روحه ساعة وهو يسعى فى عِمارة دنياه .

وسئل آخر ، من الأخرق؟ فقال : من خرّب آخرتَه بدنيا غيره .

أنشدنا أبو جعفر محمد بن على القِمّى بمرو الرّوز . قال : أنشدنا محمد بن سعيد ابن سهيل الطباخى بالبصرة :

خُلِقْنَا لأمرٍ وإن لم نكن به مؤمنين فإنّا لنَوْكَى[1]
وإن نحن كنّا به مؤمنين ولسنا نخاف فإنا لهَلْكَى

وأنشدنا أبو بكر محمد بن عبد الله محمد بن زكريا بن دينار الهلالى قال : أنشدنا عبد الله بن محمد بن عائشة :

---

(١) الأنْوك : الأحمق ، وجمعه نُوكَى . وهلكى : جمع هالك .

ومن كانت الدنيا هواه وحُلْمه   فذلك مجنون وإن قيل عاقل

وقال آخر : «المجنون من التمس رضى الناس بسَخَطِ الله عز وجل» .

أنشدنى أبو الحسن محمد بن محمد بن مسعود بنَسَا[1] قال : أنشدنا نفطويه عن الخليل بن أحمد :

إنى بُلــيتُ بمعشَــرٍ   نَوْكــى أَخفُّهــم ثقيــل
نَفَــر إذا جالستَهــم   نقصت بقــربهم العقــول
فَهُــمُ كثير بى واعــ   ــلم أننــى بهم قليــل

ومرَّ صلة بن أشيم بقوم قد اجتمعوا على رجل مقيد ، فقال : من هذا ؟ قالوا : مجنون . فقال : لا تقولوا مثل هذا ؛ وإنما المجنون مثلى ومثلكم ! يعمر الدنيا ، ويخرب الآخرة .

أنشدنا أبو نصر أحمد بن محمد بن ملحان البصرى ، قال : أنشدنا بشر بن موسى الأسدى :

إلى كم تخدم الدنيــا   وقــد جُزْت الثمانينــا[2] ؟!
يبــيت العلــم فى قوم   يروحــون ويغدونــا
فلا هم بك يعنــون   ولا هم عنك يغنونــا
لئــن لم تك مجنونــا   لقــد فقت المجانينــا

لماذا كان تأليف هذا الكتاب ؟

قال الشيخ أبو القاسم الحسن بن حبيب النيسابورى المفسر رحمة الله عليه : لقد سألنى بعضُ أصحابى ــ عَوْدًا على مبدأ ــ أن أصنف كتابا فى: «**عقــلاء المجــانين**»

---

(١) نسا : مدينة بخراسان ، بينها وبين سرخس يومان وبينها وبين مرو خمسة أيام ، وهى مدينة وبئة .

(٢) أى : اجتزتها ، وتخطيتها . ومادام يعمر دنياه ويخدمها فقد خرب اخرته حيث ترك حلقات العلم يُغْدى لها ويراح ولا يؤبه له ، ولا يغنى عنه أحدهم فتيلا . ومثل هذا فاق المجانين بتخريبه أخراه .

وأوصافهم وأخبارهم وكنت أتغامس عنه[1] ، إلى أن تمادى به السؤال فلم أجد بدا من إسعافه بطِلْبَتِه ، وإجابته إلى بُغيته تحرّيًا لرضاه وتوخّيا لهواه ، وكنت فى حداثة سنى سمعت كتبا فى هذا الباب . مثل : كتاب الجاحظ ، وكتاب ابن أبى الدنيا ، وأحمد بن لقمان ، وأبى على سهل بن على البَغْدادى ــ رحمهم الله ــ فوقع كل كتاب منها فى جزء أو ما يقارب جزءًا ، تتبعتها ، وتيقنتها وضممت إليها قرائنها ، وعَزَوْتُها إلى أصحابها ، وألّفت هذا الكتاب على غير سَمْت[2] تلك الكتب . وهو كتاب يكفى الناظر فيه التَرداد وتصفح الكتب[3] وأرجو أنى لم أسبق إلى مثله . والله الموفق والمعين .

النيسابورى



(١) أى أغيب عنه ، ولا أحقق له ما طلب .

(٢) السَّمت : الهيئة .

(٣) يغنى عن غيره .



دراسة للجنون والمجانين



أصل الجنون فى اللغة

أصل الكلمة وتصاريفها ومشتقاتها :

الجنون فى اللغة : الاستتار . تقول العرب جَنّ الشيء يجِنّ جُنونًا : إذا استتر . وأجنّه غيرُه إجنانا : ستره .

قال لبيد :[1]

حتى إذا ألقتْ يدًا فى كافر   وأجَنّ عوراتِ الثُّغورِ[2] ظلامُها

يعنى الشمس ألقت يدًا فى ليل مظلمٍ ، وستر الظلامُ الفِجاج والطرق .

وأنشدنى أبو عبد الله محمد بن الحسين الوضاحى :

يا غافلًا عما تجِنّ ضلوعى .   أَنَسِيتَ وَيْحَكَ عَبْرتى ودُموعى ؟!

وجنّ الليل يجن جنونا وجنانا : إذا دخل . ومنه قوله سبحانه ﴿**فلما جن عليه الليل رأى كوكبا**﴾ (٧٦/الأنعام) .

وأجن الليلُ الشيءَ إجنانا إذا غطاه بظلامه قال العُتْبى : وأجنه الليل : أى جعله فى ظلامه فى جُنّة[3]

قال الشاعر يصف مفازة[4] :

وصَرْمَاءَ مِذْكار كأن دَوِيّها   يُعيدُ جِنَانَ اللَّيـلِ مما يُخيّل[5]

(١) لبيد بن ربيعة شاعر مخضرم من أصحاب المعلقات .

(٢) البيت المذكور من معلقته :

والضمير فى ألقت يعود على الشمس المفهومة من المقام . والكافر . الساتر . من أسماء الليل . وأجَنّ : ستر . والثغر : موضع المخافة .

أى عَلَوْت على الجبال التى ينعقد فيها الغبار المتصاعد أو الضباب الحامل للغبار أرقب حركات العدو حراسةً لأصحابى طول النهار حتى إذا ألقت الشمس يدها فى الليل ، وبدأت تغيب فيه ، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحى العدو ، ولم يعد لمراقبتى فوق الجبل فائدة نزلت إلى السهل .

(٣) الجُنّة : الوقاية والستر .

(٤) المفازة : الصحراء المهلكة وسميت بذلك تفاؤلا بفوز من يعبرها .

(٥) الصرماء : المفازة التى لا ماء فيها . والمِذكار : التى لا يعبرها إلا الذكور من الرجال ، لما فيها من أهوال .

حديث أناسيّ فلما سمعته إذ ليس فيه ما آبين فأعقل

وقال الشاعر :

ولولا جنونُ الليلِ أدرك ركضَنا بذى الرِّمث والأرض عياضُ بن ناشبِ[1]

الصرماء : المفازة التى تَصْرِم الناسَ عن الماء أى تقطعهم . والمِذْكار : التى لا يدخلها إلا ذكور الرجال ؛ لصعوبتها كالمرأة المذكار التى لا تلد إلا الذُّكْران . والجَنان : القلب . سمى بذلك لاستتاره .

أنشدنى أبو الحسن محمد بن على القزاز لديك الجن[2] :

خذ يا غلامُ عِنان طَرْفِك فالوهِ عنى فقد ملك الشمول عِنانى[3]

سُكْرانِ : سُكْرُ هَوىً ، وسُكْر مُدامـ ـة فمتى يُفيق فتًى به سُكران ؟!

ما الشأن ويحك فى فراق فريقهم الشان ويحك فى جُنون جِنانى

لم سميت الجن جنا ؟!

قال العتبى[4]: وسميت الجن ؛ لاجتنانهم عن أعين الناس . وقيل فى قوله تعالى : ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾[5] أى من الملائكة . سموا جِنًّا لاجتنانهم عن الأبصار

قال الأعشى :

وسَخّر من جِن الملائك تسعةً قِيامًا لديه يعملون بلا أجر

والشاعر يقول : إن هذه الفلاة لا ماء فيها ، ولا يعبرها إلا الرجال ولا يسمع الإنسان فيها إلا دويا يعيد إليه صورة الليل بظلامه وأشباحه .. إنه يسمع حديثا كحديث الإنس ، ولكنه لا يُفهَم ولا يعقل .

(١) الرِّمث بالكسر مرعًى للإبل من الحَمض ، وشجر يشبه الغضى .

والشاعر يقول : إنه لولا ظلام الليل سترنا لأدرك عياض بن ناشب ركبهم الراكض .

(٢) ديك الجن (عبد السلام بن رغبان) (٧٧٧ ـ ٨٤٩هـ) ولد فى حمص من شعراء الشعوبية ، كان يفخر على العرب ، وكان متشيّعا ، وله مراثٍ كثيرة فى الحسين . وهو من الشعراء المجيدين .

(٣) لقد أسكرنى النظر إلى عينيك فحول طرفك عنى فأنا لا أقوى على ما فيهما . والشَّمُول : الخمر .

(٤) العُتبى : هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموى ، كان أحد الأدباء وكبار الشعراء بالبصرة ، سمع أباه وغيره . يقول الذهبى : «والأخبار أغلب عليه» توفى سنة ٢٢٨هـ . انظر العبر للذهبى (٤٠٣/١ ـ ٤٠٤) والأعلام للزركلى (٢٥٨/٦ ـ ٢٥٩) .

(٥) الكهف/ ٥٠ .

والجَنّة البستان لالتفاف الشجر به . والجُنَّةُ : الدِّرع والتُّرس ، لأنهما يستران .

والجِنة بالكسر : الجنون والجن أيضا . قال الله جل ذكره : ﴿**وجعلوا بينه وبين الجِنة نسبًا**[1]﴾ يعنى حين قالوا : إن الملائكة بنات الله[2] .

وقال فى معنى الجنون : ﴿ **أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة** ﴾[3] ؟!

وأما قوله تعالى : ﴿**من الجنة والناس**﴾[4] قال قتادة : إن الشيطان يوسوس إلى الجن كما يوسوس إلى الناس[5] . والمعنى : الذى يوسوس فى صدور الجن والناس .

والجَنَن : القبر لأنه ساتر[6]

قال الشاعر :

لقد أدرجت ليلى هنالك فى جنن فصبرًا جميلا حين ما ينفع الحَزَن

والجنين : الولد فى بطن الأم ؛ لأنه مستور .

وتقول العرب للنّبْت إذا طال وكثر وتكاوس[7] ، والتَفّ ، واستجلس ، واعلنكس : تجانّ .

وتجانّ الرجل : إذا تكلف الجنون ، وليس بمجنون .

وكذلك تحامق وتناوم وتكاسل .

قال العَجّاج :

إذا تجازرت وما بى من جزر ثم كسرت العين من غير عور

وكلّ هذا يؤول إلى معنى الاستتار ؛ فالمجنون المستور العقل والفعل . من جن يجن جنونا فهو مجنون .

وأَجَنّه الله فهو مجنون . وهذا الباب نادر فى اللغة ونظيره : أزكمه الله فهو مزكوم . وأَحَمّه الله فهو محموم . وأضأده فهو مضؤود أى أزكمه .

(١) ١٥٨/ الصافات .

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، انظر الدر المنثور (٩٢/٥) ، وابن جرير الطبرى فى تفسيره عن السدى (٦٩/٢٣) .

(٣) ١٨٤/ الأعراف . (٤) ٦/ الناس .

(٥) أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر ، انظر الدر المنثور (٤٢٠/٦) .

(٦) وكذا الكفن ، والمستور : الميت ، والجمع : أجنان . (٧) تكاوس العُشب : كثر والتف .

وأحببت فلانا فهو محبوب وهذا هو السائر . وقد قالوا : مُحَبّ .

قال عنترة العبسى :

ولقد نزلتِ فلا تَظُنّى غيرَه   منّى بمنزلة المُحَبِّ المكرمِ[1]

أسماء المجنون فى اللغة

للمجنون فى اللغة أسماء كثيرة . وقد مضى تفسير الجنون منها :

١ ـ الأحمق :

منها ـ الأحمق . والفعل منه حمِق يحمَق حَمَقًا وحَمَاقَةً فهو أحمق[2] .

قال الشاعر :

سبحان من أنزلَ الأشياءَ مَنْزِلَها   وصيَّرَ الناسَ مرفوضًا ومرموقا

فعاقل فَطِنٌ أعيت مذاهبه   وجاهل حين تلقاه مرزوقا

والجمع حمقى ، كقولك : قتلى ، وصَرْعَى ، وهَلْكَى ، وحَرْقى ، وغرقى .

قال الشاعر :

رُزِقتَ مالًا فعش مما رزقت به   فلستَ أولَ الحمقى بمرزوق

لو كان باللُّب تُعطى ما تعيش به   لما ظَفِرتَ من الدنيا بمعروق[3]

٢ ـ المعتوه :

ومنها ـ المعتوه الذى يولد مجنونا ، والفعل منه : عَتِه فهو معتوه .

٣ ـ الأخرق :

ومنها ـ الأخرق ، وهو الذى لا يُحسن التقدير ، والتدبير . والمرأة خرقاء .

---

(١) لقد نزلتِ منى منزلة مثل منزلة المَحَبّ ، فلا تظنى غير ما أنا عليه من محبتك . والمَحَبّ جاء من أحب . والكثير محبوب من حَبّ وإن كان من أهل اللغة من أنكر ورود الثلاثى .

(٢) وجاء ـ أيضا ـ حَمُق يحمُق حُمْقًا وحماقةً : قل عقله . وفعل فِعْل الحمقى .

(٣) اللب : العقل . والمعروق : العظم الذى أكل ما عليه من اللحم يقال : عرق العظم وتَعَرّقه : أكل ما عليه من اللحم فهو معروق .

والشاعر يصف مهجوّه بالحمق وأن الحمقى مرزوقون ولو كان الرزق بالعقل لما وجد عظمة ، لأنه أحمق ! فليعش مما رزق به ويسكت ، فلا فضل فى تحصيله .

قال أبو عبيدة لا يقال : خارق إلا للمقدر بعلم وتدبير ، فإذا قدر بغير علم قيل أخرق وخرقاء .

ومنه قوله تعالى : ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾[1] ـــ سبحانه ـــ قال مجاهد[2] : أى كذبوا.[3] قال أبو عبيدة[4] : اختلفوا . وقراء أهل المدينة بالتشديد . وخففه الكسائى[5] وأبو عمرو[6] . والاسم الخُرق ـ بضم الخاء ـ والخرق أيضاً جمع الأخرق .

٤ ـــ المائق :

ومنها ـــ المائق . والموق أيضا جمع المائق . كقولهم : عائط وعُوط وحائل وحول للشاة التى لم تحمل . وعائد وعود للناقة القريبة النتاج . وفارِه وفُرّه[7] .

قال الشاعر :

وغره مرّةً من فعل غِرْ وغرَّهُ مَرّتين فِعَال مُوقِ[8]
إذا لم تبقَ بالصَّحْصَاح زلّت من الصَّحْصَاح رجلُك فى العميقِ
وحسنُ الظنِّ عجزٌ فى أمور وسوء الظن يأمر بالوثيق
ولا تفرح بأمر إن تدانى ولا تيأس من الأمر السحيق
فإن القرب يبعد بعد قرب ويدنو البعد بالقدَرِ المسُوقِ

أنشدنيه أبى رحمه الله تعالى . وقال : أنشدناه أبو سلمة المؤذن لعمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين رحمه الله تعالى .

---

(١) ١٠٠/ الأنعام .
(٢) مجاهد (ابن أحمد موسى أبو بكر) (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) مقرىء محدث .
نحوى من أهل بغداد ، إمام القراء فى عصره .
(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، انظر الدر المنثور (٣٧/٣) ، وابن جرير فى تفسيره (١٩٧/٧) .
(٤) مَعْمر بن المثنى عالم باللغة والشعر ولد بالبصرة وتوفى فيها .
(٥) الكسائى نحوى على المذهب الكوفى وأحد القراء السبعة .
(٦) أبو عمرو : من أقدم نحاة البصرة وهو واحد من القراء السبعة .
(٧) قال فى المعجم الوسيط : فَرُهَ يَفْرُهُ فراهةً جَمُل وحَسُن . و ـ خفّ ونشِط ـ و حذق ومهر . فهو فارِه . وفى التنزيل العزيز : ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين﴾ ويجمع الفاره على فُرْهٍ وفُرَّهٍ . ا . هـ
(٨) غرّه : خدعه وأطمعه بالباطل . والغِرّ : من ينخدع إذا خدع . وفِعال مُوقِ : فعال حُمْقِ .
والصَّحصَاح ، والصَّحْصَح : الأرض المستوية الواسعة : والعميق : المكان البعيد الطويل وفى الآبار : ما كان بعيد القعر . والعُمق : البعد إلى أسفل . يأمر بالوثيق : يجعل الإنسان يحتاط ويأخذ بالثقة وتدانى : قرب .

٥ ـ الرقيع :

ومنها ـ الرقيع والمَرْقَعَانُ(١) . وهو الأحمق الذى يتمزّق عليه رأيه وعقله . والفعل منه : رَقُع رقاعَةً فهوَ رقيع كَقولك : بَلُد بلادَةً فهو بليد .

أنشدنا أبو بكر أحمد بن سعد بن نصر بن بكار الفقيه البخارى بها قال : أنشدنا عبيد الله بن عبد الله :

وما الناسُ إلا وُعاةُ العلوم ... وسائرهم غنم فى قطيع

٦ ـ المَمْسوس :

ومنها ـ الممسوس: وهو الذى يتخطبه الجن أو الشيطان(٢) . والاسم المسّ ومنه قوله جل ذكره : ﴿ الذى يتخطبه الشيطان من المسّ﴾ (٢٧٥/ البقرة) .

٧ ـ المخبل

ومنها ـ المخَبَّل والمخبول والاسم : الخَبَل . ويقال رجل مُخَبّل ومَخْبول ومُخْتَبَل(٣) .

قال الأعشى :

علقتها عرضا وعلقت رجلا ... غيرى وعُلّق أخرى غيرها الرجلُ
وعلقته فتاة ما يحاولها ... من قومها ميت يهذى بها وهل
وكلنا مغرم يهذى بصاحبه ... ناءٍ ودانٍ ومخبول ومختَبَل

٨ ـ الأنوك :

ومنها ـ الأَنْوك . والفعل منه نَوِك ينوَك فهو أنوك كقولهم : حَوِل فهو أحول .

وسألت أبا منصور الإمام الأزهرى رحمه الله بِهَراة فلم يذكر منه فعلا . والاسم النّوكُ بضم النون والجمع نَوْكى .

---

(١) وهى مَرْقعانة .

(٢) وفى المعجم الوسيط : ومسّه الشيطانُ : جُن .

(٣) خبل خَبْلًا وخَبالًا : فسد عقله وجُن ومثله : خَبَّله واختبله .

قال الشاعر :

.... وكيف يكون النُّوك إلا كذلكا

وأنشد الأصمعى :

تضحك منه شيخة ضحوك واستنوكت وللشباب نوك[1]

٩ ـ البوهة :

ومنها ـ البوهة قال الشاعر :

ويا هند لا تنكحى بُوهةً عليه عقيقته أحسبا

١٠ ـ الذولة :

ومنها ـ الذولة بالذال المعجمة والمُوتة : ضرب من الجنون ولم أسمع منه للمجنون اسمًا .

سمعت الإمام أبا حامد الخارزنجى يقول : النطاة الجنون . قال وتقول العرب : «فلان من فرط نطاته لا يعرف قطاته من لَطاتِه»[2] . القطاة : مقعد الرّدف من الدابة . واللّطاة : دائرة فى الجبهة .

١١ ـ العرهاة :

ومنها ـ العرهاة .

قال الشاعر :

ومن لم يواسِ الناس مما بكفه فذلك عرهاة من العقل مُبْلِسُ

١٢ ـ الأولق :

ومنها ـ الأولق والفعل منه ولق يولق . والولق الاسم . وأما الولْق بسكون اللام فهو الكذب .

وقرأت عائشة رضى الله عنها . ﴿إذ تلِقُونه بألسنتكم﴾[3] والفعل منه ولق يلق ولقا .

---

(١) استنوكت : أى تحامقت .

(٢) قال فى المعجم الوسيط : فلان لا يعرف قطاته من لطاته : مقدمه من مؤخره . يقال ذلك للأحمق .

(٣) النور : ١٥ .

قال الأعشى :

ويُصبح من غِبّ السُّرى فكأنما ألمّ بها من طائف الجن أوْلق

١٣ ــ المهووس :

ومنها ــ المهووس والاسم الهوَس وهو ضرب من الجنون ، فإن كان قدرًا فى جنونه فهو أغفل .

١٤ ــ الهلباجة :

ومنها ــ الهلباجة : وهو الأحمق الكثير الأكل . قاله الخليل بن أحمد .

١٥ ــ اللكع :

ومنها ــ الُّلكَع : وهو الأحمق اللئيم . وقال غيره : هو العبد .

١٦ ــ الجذب :

ومنها ــ الجذب قال ابن السِّكّيت يقال : رجل جَذْب وفيه جذب : أى فضل الحمق .

١٧ ــ الهجاجة :

ومنها ــ الهجاجة .. قال الأصمعى يقال للرجل الأحمق الكثير الخطأ رجل هجاجة .

١٨ ــ الرشاع :

ومنها ــ الرشاع .

١٩ ــ الزهدن :

قال ابن السِّكيت : والزّهدَنُ الأحمقُ أيضا . وأنشد فى كتاب الألفاظ :

قلت لها : إياك أن تركتى عندى فى الجلسة أو تُلَبّنى[1]

عليك ما عشت بذات الزهدَن

٢٠ ــ الملغ :

ومنها ــ الملغ . قال الأصمعى هو الأحمق .

٢١ ــ الجعبس :

والجعبس الأحمق أيضا .

---

(١) تلبّن فلان : تمكث وتلبّث .

قال الراجز :

لما رأيت سد الليل أدْمَسَا ليلًا دَجُوجِيَّ الظلامِ عَرْمَسَا
وصَمّ كِسْراه الغيامَ الجعبسا

والهلباجة ــ وقد ذكر آنفا ــ قال ابن السكيت : قال خلف بن الأحمر : قلت لابن كبشة بنت السعترى : ما الهلباجة ؟ فتردد فى صدره مالم يتهيأ له إخراجه ثم قال : الهلباجة : الأحمق الذى لا خير عنده . ولا عمل[1] .

٢٢ ــ المألوس :

وقرأت فى كتاب النوادر لأبى زيد سعيد بن أوس . رجل مألوس أى مخبون وقد ألس : إذا جُن .

٢٣ ــ المتيّم :

ومما يضارع هذا الباب ويقرب منه وليس بعينه ــ «المتيّم»[2] وهو العبد تيمه الحب أى عبده ، واستعبده ومنه «تَيْم اللات» كأنه عبد اللات .

٢٤ ــ الأهوج :

ومنها ــ الأهوج . والفعل منه هَوِجَ يهوَج هَوَجًا فهو أهْوَج[3] .

٢٥ ــ الهائم :

ومنها ــ الهائم[4] وهو ذاهب العقل .

---

(١) وجاء فى المعجم الوسيط : الهُلابج : الأحمق الذى لا أشد منه حمقا . والوخيم القليل النفع الأكول الشروب والثقيل من الناس والجامع لكل شر .

(٢) ذكره ابن القيم فى أسماء المحبة قائلا :

وأما التَّتيُّم فهو التعبد ، قال فى الصحاح : تيم الله : أى عبد الله ، وأصله من قولهم : تيّمه الحب إذا عبّده فهو متيّم . أ . هـ (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) .

(٣) قال فى المعجم الوسيط هَوِجَ هَوَجًا : حَمُقَ وــ طال فى حمق وطيش ، فهو أهوج وهى هوجاء . والجمع : هُوج .

(٤) ذكره ابن القيم فى روضة المحبين فقال : فى الصحاح : هام على وجهه يهيم هَيْما وهَيَمانًا . ذهب من العشق أو غيره ، وقلب مستهام : أى هائم . والهُيام بالضم : أشدّ العطش . والهُيام كالجنون من العشق .

٢٦ ــ المدَلّه :

ومنها ــ المدَلّه[1] . قال الشاعر :

تركونــــــى مُدَلَّهــــًـــا أرْئجِـــى حَـــجّ قَابِـــل
بعــد ما كنـــت ناســكـا زال نســكى بباطـــــل

٢٧ ــ الأبله :

ومنها ــ الأبله . والفعل منه بله .

٢٨ ــ المستهتر :

ومنها ــ المستهتر . قال الشاعر :

فبعثن وردا للخلى وزِدْن فى بُرَحاء وجد العاشق المستهتر[2]

٢٩ ــ الواله :

ومنها ــ الواله . والاسم الوله[3] . وهو عند العرب : الذى فقد ولده ففقد صبره قال الأعشى يصف بقرة :

فأقبلت وَالِهًا ثكلى على عَجَلٍ كلٌّ دَهَاهَا وكلٌّ عِنْدها اجْتَمعَا

٣٠ ــ الهبنقع :

والهبنقع ــ الأحمق المبالغ فى حمقه .

قال الشاعر :

ومُهورُ نِسْوَتِهم إذا مانكحوا عدوى وكل هبنقــعٍ تِنْبــال

فهذه كلها أسماء المجانين ، وعيارها المجنون والأحمق .

---

(١) قال ابن القيم : وأما التدليه : ففى الصحاح : التدليه : ذهاب العقل من الهوى . يقال : دلهه الحب : أى حيّره وأدهشه .

(٢) البُرَحاء : الشدة ، ومنه بُرَحاء الحُمَّى . والخلىّ البرىء . وفى الأمثال : ويل للشجِىّ من الخَلِىّ . يضرب مثلا لسوء مشاركة الرجل صاحبه . يقول : إن الخَلِىّ لا يساعد الشجىّ على مابه ويلومه . والخلى من كان خاليا من الهم . والشجى الحزين المشغول البال .

(٣) يقول ابن قيم الجوزية : وأما الوَلَه فقال فى الصحاح : الوَله : ذهاب العقل والتحيّر من شدة الوَجْد ، ورجل واله ، وامرأة والهة .

الأمثال المضروبة فى الحمق والحمقى

١ ــ تَحسَبُها حَمقاءَ وهى باخِس :

فمنها قولهم : «تحسبها حمقاء وهى باخس» أى أنها مع حمقها تظلم الناس .

قال ثعلب : هكذا جرى المثل بغيرها[1] .

ومثله :

٢ ــ خرقاء عيابة :

«خَرقاءُ عَيّابة» أى مع حمقها تظلم غيرها وتعيب غيرها .

٣ ــ أحمق بُلَغ :

قال خلف الأحمر : ومن أمثالهم «أحمق بُلَغ» . أى أنه مع حمقه يبلغ حاجته .

٤ ــ خرْقاء ذاتُ نيقة :

ومن أمثالهم . فيه : «خرقاءُ ذاتُ نِيقَة» أى : أنها حمقاء وهى مع ذلك تتأنق فى الأمور .

٥ ــ ثأطةٌ مُدّت بماء :

قال أبو عبيد فإذا اشتد موق الرجل قيل ثأطةٌ مُدّت بماء ! والثأطة الحمأة فإذا أصابها ماء ازدادت فسادا .

---

(١) ويروى باخسة . فمن روى باخس أراد أنها ذات بخس تبخسُ الناسَ حقوقهم ومن روى باخسة بناء على بخست فهى باخسة ؛ ويضرب المثل لمن يتباله وفيه دهاء .

وأصله أن رجلا من تميم جاورته امرأة ذات مال ومتاع فنظر إليها فحسبها حمقاء فقال : لم لا أخلط مالى بمالها ثم أقاسمها فأعطيها الردىء وآخذ خير متاعها؟ وعند المقاسمة لم ترض إلا أن تأخذ مالها ومتاعها ثم نازعته وأظهرت له الشكوى حتى افتدى منها بما أرادت ، ولما عوتب فى ذلك قال : تحسبها حمقاء وهى باخسة !

٦ ــ أحمق من رجْلَة :

قال الأصمعى : ومنها ــ «أحمق من رجلة» وهى البقلة الحمقاء . وحُمْقُها : أنها تنبت فى السروح ومشاتل الأدوية فيجيء السيل فيجرفها[١] وشبه بها أهل الحقائق من يعمر دنياه وهو يعلم فناءه . قالوا : «**مثل عامر الدنيا مثل البانى على الماء**» والماء لا يثبت عليه شيء .

حدثنا أبو القاسم منصور بن العباس ببوشنج[٢] قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهروى قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدثنا إسحاق بن إسماعيل قال أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد قال عيسى بن مريم عليهما السلام : «**من ذا الذى يبنى على موج البحر دارًا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا**»[٣] . وقال أيضاً : «**الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها**» . وقال سابق البربرى فى قصيدة له :

لكم بيوت بمستن السيول وهل يبقى على الماء بيت أسه مدر

٧ ــ إنه لأحمق من تُرب العَقْدِ :

وقال أبو عمرو الشيبانى:ومن أمثالهم فى الحمق «إنه لأحمق من تُرْبِ العَقْدِ»[٤] . والعَقد عقد الرمل . وحمقه أنه ينهار ولا يثبت فى التراب يضرب للذى لا يثبت ولا يستقر على حال .

٨ ــ أحمق من دُغَةَ :

قال ابن الكلبى ومن أمثالهم فى هذا : «إنه لأحمق من دُغَةَ» وهى امرأة عمرو بن جندبّ بن العنبر ووصف من حمقها ما يسمج ذكره[٥] .

---

(١) قال فى مجمع الأمثال : وإنما حمقوها لأنها تنبت فى مجارى السيول ، فيمر السيل بها فيقتلعها .

(٢) بُوشَنْج : بفتح الشين ، وسكون النون ، وجيم بليدة نزهة خصيبة فى وادٍ مشجر من نواحى هراة انظر معجم البلدان (٥٠٨/١) .

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا ــ إصدار مكتبة القرآن ــ برقم (٣٢) ، وأورده الغزالى فى الإحياء (١٥٧/٣) .

(٤) قال فى مجمع الأمثال : يعنون : عقد الرمل ، وإنما يحمقونه ؛ لأنه لا يثبت فيه التراب ، بل ينهار !

(٥) وقيل : هى دويبة ، وقيل : هى الفراشة ، لأنها تحوم حول النار حتى تحترق بها كما جاء فى جمهرة الأمثال للعسكرى .

٩ ـــ أحمق من المهورة إحدى خَدَمَتَيْها :

وقال الأصمعى : ومن أمثالهم : «أحْمَقُ من المَمْهورة إحدى خَدَمَتَيْها» . وذلك أن زوجها قضى حاجته منها ، ثم طلّقها ؛ فقالت : أعطنى حقى ؛ فنزع إحدى خَدَمَتَيْها : وهما الخَلْخَالَان من رجلها فأعطاها فسكنت ورضيت به .

١٠ ـــ جنونه مجنون :

وتقول العرب للمبالغ فى الجنون : «جنونه مجنون» . سمعت أبا الحسن محمد بن الحسين الحاكم ببوشنج يقول : سمعت جدى عبد الملك بن محمد بن عدى يقول : سمعت جدى يقول : سمعت الربيع بن سليمان[1] يقول : قال الشافعى رحمه الله لبعض أصحابه رحمهم الله تعالى :

جنونُك مجنونٌ ولستَ بوَاجِدٍ طبيبًا يُداوى من جُنونِ جُنُونِ

١١ ـــ خَامِرِى أمّ عَامِر :

وهى : الضَّبُعُ وزعموا أنها أحمق الدواب فإنها تشد يداها ورجلاها ويقال لها : لست هٰهنا ؛ فتسكت وترضى .

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : لا أكون مثل الضبع ؛ تسمع القدم ؛ فتخرج حتى تصاد ! وكنيتها «أم عامر» يضرب بها المثل فيقال : «خامرى عامر» كما قال الشاعر :

فلا تدفنونى إن دفنى محرم عليكم ولكن خامرى أم عامرِ[2]

أى دعونى لِلَّتى يقال لها : «أم عامر» حتى تأكلنى ، ولا تدفنونى بعد موتى وأنشدنى أبى رحمه الله :

---

(١) الربيع بن سليمان المرادى يعتبر عمدة الرواية عن الشافعى توفى سنة (٢٧٠/ هـ) . ومن أشهر تلاميذه الذين نشروا مذهبه .

(٢) جاء فى المعجم الوسيط : خامر المكان : لزمه وأقام به ومنه قولهم للضَّبُع : «خامرى أم عامرٍ» يضرب للذى يرتاع من كل شىء جُبناً .

عرقب الضبع وقالوا : غائب رضى القـــول وأغضى وصبر[1]

١٢ ــ إنه لأحمق من العقعق :

ومنها العقعق: تقول العرب «إنه لأحمق من العقعق» وحمقه: أن ولده أبدا ضائع[2]! قال ابن الكلبى: تقول العرب: «إنه لأحمق من حماقة عقعق» وذلك لأنها تبيض على الأعواد فربما وقع بيضها فانكسر .

أسماء جنون الدواب

تقول العرب لجنون الإبل : الهُيام . وهو داء يأخذها فتهيج وتهيم .[3]

ويقال لجنون الشاة : الثَّوَل . وهي ثَوْلاء .

ولجنون الكلب : الكَلَب . فهو كَلْب كَلِب .

والسُّعر ضرب من جنون النُّوق تقول العرب : ناقة مسعورة : إذا كانت مجنونة وتأول بعضهم قوله جل ذكره ﴿**ان المجرمين فى ضلال وسعر**﴾ . أى جنون[4]

ضروب المجانين

المجانين على ضروب : فمنهم ــ المعتوه : وقد مضى تفسيره .

---

(١) عرقب الدابة : قطع عرقوبها .

(٢) قال فى مجمع الأمثال : «أحمق من عقعق» لأنه مثل النعامة التى تضيع بيضها وفراخها وتحضن بيض غيرها .

(٣) قال فى روضة المحبين : والهِيام بالكسر : الإبل العطاش الواحد هيمان ، وناقة هيمى مثل عطشان وعطشى ، وقوم هيمٌ أى عِطاش ، وقد هاموا هُيَامًا ، وقوله تعالى ﴿**فشاربون شرب الهيم**﴾ (الآية ٥٥ من سورة الواقعة) : هى الإبل العطاش . قلت : جمع أَهْيَم : هُيْمٌ : مثل أحمر وحُمْر . وهو جمع فعلاء : أيضا كصفراء وصفر . وفى اللسان : جمع على فُعْل ثم خفف وكسرت الهاء لأجل الياء ، ومن العرب من يقول : هائم ، والأنثى هائمة ثم يجمعونه على هُيَّم .

وجاء فى المعجم الوسيط الهُيام : داء يصيب الإبل فتهيم فى الأرض لا ترعى . والجنون من العشق .

(٤) جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم : والسُّعُر : جمع السعير : والسُّعُر أيضا : الجنون .

والآية ﴿**فقالوا أبشراً منا واحدا نتبعه إنّا إذًا لفى ضلال وسُعُر**﴾ ٢٤/ القمر ، هى بمعنى الجنون . وفى قوله تعالى : ﴿**إن المجرمين فى ضلال وسُعُر**﴾ ٤٧/ القمر ، هى جمع سعير .

ومنهم ـــ المَمْرُور[1]:وهو الذى أخرقته المرة .

ومنهم المَمْسُوس ، وهو الذى يتخبطه الجن والشياطين .

ومنهم ـــ العاشق:الذى تَيَّمَهُ الحب فأجَنّه .

أجمل ما قيل فى العشق :

سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن مسعود النسوى بها يقول : سمعت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السركرى ببغداد يقول : سمعت زكريا بن يحيى بن خلّاد المنقرى يقول : سمعت الأصمعى[2] يقول : لقد أكثر الناس فى العشق فما سمعت بأوجز ولا أجمل من قول بعض نساء الأعراب وسئلت عن العشق فقالت : « **داء وجنون** » .

أهـــل العشـــق :

أنشدنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إسحاق الخزلحجى بمَرْو قال : أنشدنا عبد الله بن بهلول بقرميسين[3]:

وما عاقلٌ فى الناس يُحْمَدُ أمرُه ... ويذكر إلا وهو فى الحب أحمقُ

وما مِنْ فتىً قد ذاقَ بؤسَ معيشةٍ ... من الناس إلا ذاقها حين يعشقُ

جنـون الهـوى :

سمعت أبا الحسن مظفر بن غالب الهمدانى يقول : سمعت أبا بكر محمد بن يحيى الصولى قال : اعتلّ عبد الله بن المعتز ؛ فأتاه أبوه عائدا وقال له : ما عَرَاكَ يا بنى[4] ؟

(١) هو الذى غلبت عليه المِرّة وهاجت . والمِرّة : خلط من أخلاط البدن وهو الصفراء أو السوداء .

(٢) الأصمعى : من مشاهير لغويىّ العرب . تعلم فى البصرة على يد الخليل وأبى عمرو بن العلاء وأخذ عن خلف الأحمر . ولولاه لكنا فقدنا الكثير من دواوين العرب وأشعارهم .

(٣) قَرْميسين : هى تعريب كرمان شاهان بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخاً . انظر معجم البلدان (٣٣٠/٤ ـــ ٣٣١) .

(٤) اعتل : مرض . عائدا : زائرا فى مرضه . عراك : اعتراك وأصابك .

فأنشأ يقول :

أيها العاذلــون لا تَعذِلُـــونى   وانظروا حسنَ وجهها تَعْذرونى[1]
وانظروا هل ترونَ أحسنَ منها   إن رأيتم شبيهَها فاعذُلـــونى
بى جنون الهوى وما بى جنون   وجنون الهوى جنونُ الجُنـونِ

قال فتتبع أبوه الحال ، حتى وقع عليها ، فابتاع الجارية التى شُغِفَ بها بسبعةِ آلاف دينار ووجهها إليه ..

آه لو تأملت الذى بى !

أنشدنى أبو منصور مهلهل بن على العنزى :

أَبَدْرٌ بَدا أم وجهُك القمرُ السّعد ؟!   أليلٌ دجا أم شعرُك الفاحم الجَعْدُ ؟!
أنرجسة هاتيك أم هى مُقْلَةٌ ؟!   أتفاحة ذاك المضَرّجُ أم خَدّ ؟!
أموج إذا وَلّيْتَ أم كَفَل بدا ؟!   أغصن لُجَيْن فى الغِلالة أم قَدُّ ؟!
كذا لو تأملت الذى بى لقلت لى :   أهذا جنون ثابت بك أم وَجْد ؟![2]

مزيدًا من الجنون !

سمعت أبا العباس الرازى الصوفى يقول : سمعت الشبلى يقول ذات يوم لأصحابه : ألست عندكم مجنونًا وأنتم أصحاء ؟! زاد الله فى جنونى وزاد صحتكم ثم أنشد :

قالوا : جُنِنْتَ بمن تهوى فقلتُ لهم :   مالذة العيش إلا للمجانين !

عندما ودّعتنى !

أنشدنا أبو العباس أحمد بن سعيد المغربى قال : أنشدنا أبو عمرو محمد بن إسماعيل الضرير قال : حدثنا وأنشدنا أيوب بن غسان وهو يقول :

(١) العاذلون: اللائمون الذين لا يعذرون !

(٢) لقد فتنه جمالها .. كل شىء فيها يشده إليها .. وجهها الذى ينافس القمر .. وشعرها الجعد المتموج شديد السواد الذى ينافس الليل . وعينها فى سوادها وبياضها التى تنافس النرجس ، وخدها الذى ينافس حمرة التفاح ، ومؤخرتها وهى تنافس الأمواج حين تولى ، وقدّها الذى ينافس فى بياضهِ غصن فضة فى قميص رقيق .. إنها فتنة !

ودّعتني بَعَبْرةٍ من جُفونِ أضمرت فيضَها حِذَار العيون[1]
ومضت خلفها وقد خلفتني إلفَ ضُرٍّ وفورة وجنون[2]
فشكوت الفِراقَ بالنفس الدائـ ـم حتى هتكت سر الظنون

رفقا بنا يا من نحبهم !

أنشدنى أبو سعيد أحمد بن زاوية الفارسى الكاتب :

ألا قُل للأحبة يرفقونا فإن الحب أورثنا الجنونا !

أنشدنى أبى رحمه الله قال : أنشدنا أبو محمد الزنجانى لبعض الأعراب :

أحبكِ حبّاً لو علمتِ ببعضِه أصابك من وجدٍ علىّ جنون
لطيفًا على الأحشاء أما نهارُه فسكت وأما ليلـه فأنين[3] !

ماذا دهاه وجعله يتمرغ فى التراب ؟!

وحكى لى عن حبيب بن محمد بن خالد الواسطى قال دخلت يوما على علىّ بن هشام ، فوجدته باكيا حزينا ذاهبَ النفس ؛ فأنكرْتُه وسألته عما دهاه ، فقال : اعلم أنى مررت الآن بالخريبة فرأيت مجنونا مُصَفَّدًا فى الحديد يتمرغ فى التراب ويقول :

ألا ليت أن الحبّ يعشَقُ مرّةً فيعرفَ ماذا كان بالناس يصنع ؟!
يقولون : فز بالصبر إنك هالكٌ ولَلصّبرُ منى فى مُصَابىَ أجزع[4]

---

(١) كان فى وداعه دمعة من المحبوب حاولت إخفاءها خوف عيون العاذلين .

(٢) لقد تركتنى ملازما للمرض والجنون والغليان .

(٣) ورد البيت الثانى فى العقد الفريد لابن عبد ربه بلفظ :

لطيفا مع الأحشاء أما نهارُه فدمع وأما ليله فأنين

وورد البيتان فى ديوان المجنون :

أحبك حبا لو تحبين مثله أصابك من وجدٍ علىّ جنون
وصرت بقلب عاش أما نهاره فحزن وأما ليلُه فأنين

(٤) كما نقول : سنصبر حتى يعجز الصبر عن صبرنا يقول صاحبنا إنه يتمنى أن يُحِبَّ الحبُّ ليرى بنفسه ما يفعله بكل محب !

آهِ من الحب !

سمعت أبا على الحسن بن أحمد القزوينى يقول : سمعت بعض السياح[1] يقول : رأيت مجنونا فى القفار[2] وهو يرقص ويقول :

حبكم فى القفار شردنى آه من الحب ثم آه

هذا باب يطول شرحه إلا أنه يذكر فى أثناء أخبار المجانين . وستراه فى موضعه إن شاء الله تعالى .



(١) الذين يسيحون فى الأرض ويرتحلون من بلد إلى بلد .
(٢) ماليس بعامر من الأرض . جمع قفر كالصحراء وغيرها .



أسباب الجنون



فصل : من اعتقد بدعة ، وارتكب كبيرة فأدركه شؤمها فجن

شؤم القول بخلق القرآن :

حدثنا أبو على الحسن بن محمد بن سبطم الدهانينى البلخى ـــ قدم علينا حاجا ـــ قال : حدثنا هشام بن عمار عن سعيد بن يحيى قال :

رأيت مجنونا بحمص مصروعا ، قد اجتمع عليه الناس ؛ فدنوت منه فقلت : ﴿آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾[1] فجرى على لسانه : لسنا ممن يفترى على الله ! دعه يمُتْ ؛ فإنه يقول بخلق القرآن[2] .

شؤم بغض أبى بكر وعمر كما تفعل الرافضة :

أخبرنا أبو منصور بن العباس ببوشنج قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

---

(١) ٥٩/ يونس .

(٢) ظهر القول بخلق القرآن فى آخر الدولة الأموية على لسان «الجَعْد بن درهم» معلم «مروان بن محمد» آخر خلفاء بنى أمية .

ولم يكن هذا القول بلا أصل ، فأصله البعيد يرجع إلى «طالوت بن أعصم» اليهودى .

واليهود دائما وراء المحن والفتن !

لقد كادوا للإسلام ، وامتدت أيديهم إلى السنة فوضعوا كثيرا من أكاذيبهم ونسبوها للرسول ﷺ ! ثم اتجهوا إلى القرآن ، فلم يستطيعوا الإضافة إليه ، أو التبديل فيه ، فالله حافظه !

فراحوا يتساءلون : أهو قديم أم مخلوق ؟

ثم ذهبوا إلى أنه مخلوق ـــ لينالوا منه ـــ وورثت المعتزلة هذا القول عن الجعد والجهم ، وراحوا يكفرون مَنْ خالفهم !

وطال الجدل حولها ، وتشعبت الأقوال حتى جاء عصر المأمون فكانت مسألة «خلق القرآن» هى المسألة التى تركز فيها الاعتزال فى عصره ، وولدت المحنة على يديه سنة ٢١٨ هـ ، واستمرت ستة عشر عاما كاملة .

ووقف الإمام «أحمد» أمام المحنة راسخًا كالجبال ، وأعلنها مدوية ، وانتصر لسنة رسول الله ﷺ : وخلاصة القول فى ذلك كما ذكر شارح العقيدة الواسطية : «أن القرآن العربى كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود» .

والله تكلم به على الحقيقة فهو كلامه لا كلام غيره . ونحن حين نقرؤه فإننا نقرأ كلام الله ، فالكلام يضاف إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من بلغه مؤديا .

الهروى قال : حدثنا ابن أبى الدنيا قال : حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال : لقيت بِمنى مجنوناً مَصْروعًا كلما أراد أن يؤدىَ فريضةً أو يذكر الله صُرِع .

فقلت ـ على ما يقوله الناس : إن كنتم يهوداً فبحق موسى ، وإن كنتم نصارى فبحق عيسى ، وإن كنتم مسلمين فبحق محمد ﷺ إلا ما خليتم عنه . فقالت الجن . لسنا يهوداً ولا نصارى ، ولكنا وجدناه يبغض أبا بكر وعمرَ فمنعناه من أشدّ أموره .

شؤم السير إلى عثمان والخروج عليه :

حدثنا أبو عبد الرحمن عمر بن أحمد بن على الجوهرى بمرو قال : حدثنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم . قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مهزاد ، حدثنا مسلمة ، أخبرنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال : بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان رضى الله عنه جُنُّوا .

فصل : من يسمى مجنونا بلاحقيقة

كالشاب والمتصابى والسكران .

كانت العرب تقول : الشباب شُعبة من الجنون .

أنشدنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحارث المؤدب ببوشنج عن أبى أحمد التمامى أنه أنشده وقال :

ما العيشُ إلا بجنون الصِّبَا ... فإن تولى فجنون المُدام[1]
كأسًا إذا ما الشيخ والى بها ... فيتردى برداء الغلام

---

(١) يقال : صَبَا يصبو صبْوًا وصِبًا مال إلى الصَّبْوة أى جهلة الصِّبيان ـ وللصبا جنونه ، وللخمر آثارها التى تزيل عقل الشيخ فينتكس إلى الصبا ! ويصبح شيخا فى صورة غلام غِرّ !

فصل: فى من جن من خوف الله سبحانه

حدثنا أبو الفضل العباس بن هزار بن محمد بن هزار بن الخطيب ، بمرْو قال : حدثنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى قال : حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة قال : بلغنى عن عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز النخعى أنه كان يصلى فى مسجدٍ على عهد عمرَ — رضى الله عنه — فقرأ الإمام ذات ليلة ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾[1] فقطع صلاته وجُنّ وهام على وجهه فلم يقف له على أثر[2] !.

الجنون بى ، وبه ، وعنى وعنه !

حدثنا أبو الحسن بن موسى السلامى بهراة قال : حدثنا أحمد بن يعقوب البسطامى ، حدثنا خلف بن عمر الصوفى قال : سمعت أبا يزيد يقول جنّنتنى بِى فمتّ ؛ ثم جننتنى به فعشت ، ثم جننتنى عنى وعنه فغبت ؛ ثم أوقفتنى فى درجة الجنون . وسألتنى عن أحوالى الثلاث : فقلت : الجنون بى فناء ، والجنون بك بقاء ، والجنون عنى وعنك ضَنَاء . وأنت فى كل الأحوال أولى بنا .

حدثنا أبو الحسن المظفر بن محمد بن غالب قال حدثنا أبو على الحسن بن محمد بن أحمد البغدادى قال : حدثنا محمد بن يحيى بن مسلم عن صالح المرى أن رجلا من الزّهّاد مر ذات ليلة برجل يقرأ : ﴿**وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون**﴾[3] فجعل يصيح ثم مزق ثيابه ، وغُلِبَ على عقله ؛ فأُخِذَ وقُيِّد ومات على ذلك !.

---

(١) ٤٦/ الرحمن .

(٢) الخوف : الفزع لتوقع مكروه . يقال : خاف يخاف خوفا وخيفة فهو خائف وهم خائفون . وضد الخوف : الأمن .

(٣) أى : ظهر لهم من الله مالم يكونوا يظنون أو يقدرون والآية ٤٧/ الزمر .

فتًى يغمى عليه عندما نظر إلى النار !

أخبرنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن منصور . قال : حدثنا ابن أبى الدنيا قال : حدثنا الصلت بن مسعود الجحدرى . حدثنا فضل بن سليمان عن يونس بن محمد ابن فضالة قال : خرجنا مع الربيع بن خيثم ، فمررنا على حدّاد ومعنا فتًى ؛ فقام الربيع ينظر إلى حديدة فى النار ، فوقع الفتى فأُغمى عليه ؛ فتركناه ومضينا لحاجتنا ، فعدناه فإذا هو على تلك الحال ثم بلغنا أنه جُنّ فمات فى جنونه .

ارْحمْ من أُنذِرَ ثم لم يُقْبِل إليكَ بعد النذير :

حدثنا محمد بن سليمان قال حدثنا ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثنى مالك بن ضيغم قال مر بكر بن معاذ برجل يقرأ ﴿**وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾[1] فاضطرب ، وخر ، ثم صاح : ارحم من أُنذر ثم لم يُقْبِل إليك بعد النذير ، ثم غُلِب على عقله فلم يُفِق حتى مات .

وآخر يغمى عليه عند النظر إلى قبر :

وحدثنا أبو جعفر محمد بن شبيب ، حدثنا هشام بن عبد الله قال : نظر الحارث ابن سعيد فى قبر منخسف فوقع مغشيا عليه ، ثم رفع وقد زال عنه عقله فبقى كذلك حتى مات !

من هام على وجهه عند ذكر العْرض :

حدثنا أبو زكريا محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن معبد الآملى ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الدريدى ، حدثنا العباس بن الفرجِ الرّياشى عن محمد بن يونس البكرى قال : سمع حذيفة العابد رجلا يقرأ ﴿**وعُرضوا على ربك صفا**﴾[2] فهام على وجهه ، ولم يُرَ بعد .

---

(١) ١٨/ غافر .

(٢) ٤٨/ الكهف .

من هام على وجهه عند الإنذار بيوم الحسرة !

أخبرنا أبو القاسم منصور بن العباس ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن خالد الهروى حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد اليافى بفلسطين ، حدثنا الحسن بن محمد بن المبارك الصورى عن أبيه قال : قرأ رجل بين يدى مُعاذ بن نصر : ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر**﴾[1] الآية .. فجعل يتمرغ فى التراب ويضطرب ، ويصيح ، ثم هام على وجهه ، ولم يُوقَف له على أثر .

من صرخ فجن عند ذكر قيام الساعة !

وأخبرنا منصور عن محمد بن إبراهيم ، عن أبى الدنيا عن محمد بن الحسين ، وعن عمار بن عثمان عن بشر بن عبد العزيز قال : كان عمر بن ذر لا يخرج إلا إلى الصلاة أو الجنازة ، فسمع قارئا يقرأ: ﴿**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾[2] فصرخ صرخة فخولط[3] فلم يزل على ذلك حتى مات !

فصل : من تجان وتحامق وهو صحيح العقل

وهم ضُروب[5] :

مجنون الجوارح لا القلب !

فمنهم ـــ من تعاطى ذلك ليوارى شأنه ، ويستره على الناس .

سمعت أبا موسى عمران بن محمد بن الحصين يقول : سمعت إبراهيم بن الحارث الكرمانى يقول: سمعت أحمد الدورق يقول قال مالك بن دينار: رأيت بالمصيصة[6] شيخا على عنقه غل وسلسلة والصبيان يرمونه وهو يقول :

إن من قد أرى على صور النا -------- س ـــ وإن قُتّشوا ـــ فليسوا بناس!

(١) ٣٩/ مريم .

(٢) ٥٠/ القمر .

(٣) خولط فى عقله : اضطرب .

(٤) ادعى الجنون وتظاهر بالحمق .

(٥) أنواع .

(٦) المصِّيصة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . انظر معجم البلدان (١٤٤/٥ ، ١٤٥) .

قال : فتقدمت إليه فقلت : أمجنون أنت ؟ قال : أنا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ! ثم مر ، وأنشأ يقول :

واريت أمرى بالجنون عن الورى[1] كيما أكون بواحدى مشغول
يا من تعجب فى الأنام لمنطقى ماذا أقول ومنطقى مجهــول ؟ !

برم بالناس فجنن نفسه !

سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول : سمعت أبا بكر بن طاهر الأبهرى يقول : سمعت عمران بن على الرّقى يقول : كان أبان بن سيار الرّقى رئيس القُرَّاء والفقراء بالرَّقة[2] ، وكان مع ذلك أهل علم ، فأكل الذئب بُنَيًّا له ، وكان واحدَه ، وكان مشغوفا به ، ولم يتمالك وهام على وجهه ، فغاب مليا ، ثم عاد ، وقد برم[3] بالناس ؛ فجنن نفسه ، وجعل لا تطمئن به الدار ، ولا يستقر به القرار ، فَخُبِّرت بشأنه ، فأتيته بأصحاب لى ، فألفيته فى الجامع يكلم بعض الأساطين[4] ؛ فقلت : يا أبان أجننت ؟ قال : نعم عندك ، وعند أضرابك[5] . فقلت : كيف ؟ فأنشأ يقول :

جننت عن عقلى لديكم وما قلبــى ــ والله ــ بمجنــون !
أجَنّ مِنّى ــ وإلهِ الوَرَى ــ من اشترى دنيــاه بالديــن

وكنت قد ابتعت ضَيْعةً من بعض السلاطين ، فعلمت : أنه يعنينى فتسورت[6] ، ووالله ما عاودته . بعد .

ما رأيت أحمق من هذا !!

وقال الفرزدق : أمر عمرو بن هند[7] ملك العرب لطرفة وجرير المتلمس بكتابين إلى

---

(١) واريت : أخفيت . والورى : الخلق ، وكذا الأنام .
(٢) الرَّقة : بلد على الفرات واسطة ديار ربيعة وآخر غربى بغداد ، وبلدة أسفل منها بفرسخ ، وبلد بقوهستان .
(٣) ضاق بلقائهم .
(٤) جمع أسطوانة ، أعمدة بالمسجد .
(٥) أضرابك : أشباهك وأمثالك جمع ضريب .
(٦) تسوّرت : صعدت حائط المَسجد بعد مارأيته يعرّض بى ويرانى أجن منه .
والضيعة : العقار والأرض المغِلّة .
(٧) عمرو بن هند (ت ٥٧٨) : ملك الحيرة فى الجاهلية ابن المنذر الثالث اللخمى : وأمه هند الكندية . كان جباراً =

عامله بالبحرين بإهلاكهما ، وهما لا يشعران ، فمرا برجل على قارعة الطريق يُحْدِثُ ويتفلى ، ويأكل ، فقال المتلمس : بالله ما رأيت كاليوم أحمق من هذا ! فقال الرجل : وما رأيت من حُمْقى ؟! أُخرِجُ خبيثًا ، وأُدخل طيِّبًا ، وأقتل عدوا . أحمق ــ والله ــ مني من حمل حَتْفه بيده ! ففكّ المتلمس كتابه فإذا فيه :

أما بعد .. فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ، ورجليه ، وادفنه حيًّا ، فرمى بالكتاب وأنشأ يقول :

قذفت بهذا القط من جنب كافر كذلك أرمى كل قط مطلل

وقال لطرفة : فُك كتابَك . فقال : هو لا يجترىء على إهلاكى ! فذهب بالكتاب فإذا فيه : إذا أتاك طرفة فاقطع أكحله ولا تشده حتى يموت ففعل . وأنشأ طرفة يقول :

كم خليل كنت خالَلْته لا ترك الله له واضحهْ
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحهْ ![1]

= قاسياً شرس الأخلاق . قرب الشعراء . قتل طرفه بن العبد . قتله الشاعر عمرو بن كلثوم .

وطرفة بن العبد (نحو ٥٣٨ ــ ٥٦٤) ولد فى البحرين . شاعر جاهلى من أصحاب المعلقات . ابن أخت المتلمّس ، بدّد ثروته وهام متشردا إلى أن اتصل بعمرو بن هند ملك الحيرة فمدحه ، ثم غضب عليه الملك وأمر بقتله . له ديوان شعر .

أما المتلمّس (ت حوالى ٥٦٩) شاعر جاهلى من أهل البحرين . هو جرير بن عبد المسيح الضبعى خال طرفة ابن العبد البكرى . له «ديوان» .

(١) وصحيفة المتلمس : مثل يضرب لمن يسعى بنفسه فى هلاكها ويغرر بها . والمتلمس : شاعر مشهور ــ كما ذكرت ــ وفد هو وابن أخته طرفة على عمرو بن هند ملك الحيرة ، فنزلا منه فى خاصته ، وكانا يركبان معه للصيد ، فيركضان طول النهار ، فيتعبان ، وكان يشرب فيقفان على بابه النهار كله ولا يصلان إليه ، فضجر طرفة وهجاه فى أبيات مشهورة !

فلما بلغ ذلك عمرَو بن هند هم بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له . فقال لهما : لعلكما اشتقتما لأهلكما . فقالا : نعم فكتب لهما بصحيفتين ، وختمهما ، وقال لهما : اذهبا إلى عاملى بالبحرين ؛ فقد أمرته أن يصلكما بجوائز ، فذهبا ومرا فى طريقهما بشيخ يُحْدِث ، ويأكل تمرا ، ويقصع قملا ، فقال المتلمس : ما رأيت شيخا أحمق من هذا ؟ فقال الشيخ : ما رأيتَ من حمقى ؟ أُخرج خبيثا وأُدْخِل طيبًا ، وأقتل عدوا . وإن أحمق منى من يحمل حتفه بيده وهو لا يدرى ، فاستراب المتلمس بقوله ، وطلع عليهما غلام من الحيرة فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم . ففض الصحيفة فإذا فيها : إذا أتاك المتلمس فاقطع يده ورجليه ، وادفنه حيا .

من تحامق لينال غنىً

العقل فى هذا الزمان حرمان !

سمعت أبا نصر محمد بن مزاحم البدخشى ــ قدم علينا حاجًا ــ قال : سمعت سعيد بن على بن عطاف الطاجى بالبصرة يقول :

كان عندنا رجل عاقل أديب فَهِمٌ شاعر يقال له : عامر . وكان مع أدبه محروما مُجازِفًا فقال لى رجل من أصحابى : إن صديقك عامرا قد جُنّ ؛ فجعلت أطلبه ، حتى ظفرت به فى بعض القرى ؛ والصِّبيانُ حوله يضحكون ! فقلت له : يا عامر ، مُذْ كَمْ صرت بهذه الحال ؟ فأنشأ يقول :

جَنَنْتُ نفسى لكىْ أنالَ غِنًى ... فالعقل فى ذا الزّمانِ حِرمَانُ

يا عاذلى لا تلم أخا حمق ... تضحك منه فالحمق ألوان[٢]

ما كنت أدرى قبل حبك ما الهوى ؟!

وعلى هذا علىّ بن صلوة القصرى ، كان ممن يجيد الشعر ، وكان محروما لا يؤبَهُ له ومن جيد شعره :

لسان الهوى فى مُقْلتى لك ناطق ... يُخبِّر عنّى أننى لك وامق[٣]

ولى شاهدٌ من ضُرِّ جِسْمى مُعدل ... وقلبٌ عليلٌ فى ودادِك خافِقُ

وما كنت أدرى قبلَ حُبِّك ما الهوى ... ولكنْ قضاءُ اللهِ فى الخلقِ سابق

ثم تحامق وأخذ فى الهزل ، فحسنت حاله وراج أمره ، حتى إن الملوك والأشراف أولعوا به ومن قوله :

غياثُ بنُ عبدِ اللهِ يُطْعِمِ ضيفَه ... رءوس الجدايا طبخها نار ناجها

وهذا محال فى الطعام لأنما ... رءوس الجدايا حقها سكباجها

وما أشبه ذلك .

=والواضحة فى شعر طرفة : الأسنان التى تبدو عند الضحك . وكما يدعون فى الخير بقولهم : لافُضّ فوك ! يدعون على عدوهم بقولهم : لاترك الله له واضحة !

(١) تكلف الحمق وتصنعه .

(٢) العاذل : اللائم .

(٣) مقلتى : عينى . وامق : محب .

ما حملك على التحامق ؟!

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن الجنيد يقول : سمعت محمد بن زكريا الغلابى يقول : مر بعض الأدباء بمجنون يتكلم ؛ فتأمل كلامه وإذا هو رصين يدور على الأصول ! فقال له : ما حملك على التحامق ؟ فقال :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهِل ولم أر المغبونَ مثلَ العاقلِ
دخلت عيشا من كرام نائِل فصرتُ مِنْ عَقْلى على مراحل

خذوا الحكمة من أفواه المجانين !

أنشدنا أبو نصر محمد بن أحمد التميمى بسرخس[1] :

إن كنت تهوى أن تنال المالا فالبس من الحمق غدًا سِرْبالًا[2]
من تحامق ليرخى وقتا ويطيب عيشا

تحامقت فأرحت واسترحت !

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن صالح الأندلسى المعافرىّ قال : أخبرنا بكر بن حماد السهرتى قال : حدثنا صالح بن على النصيبينى قال : قلت لزيد بن سعيد العبدى : مالى أراك نكرت حالك وزيك ؟! قال: جددت فشقيت ، ثم تحامقت فأرحت واسترحت !.

يلبس لكل حالٍ لبوسَها :

أخبرنا أبو الحسن المظفر بن محمد بن غالب الهمدانى برباط قراوة قال :

أنشدنا محمد بن إبراهيم بن عرفة الأسدى (نفطويه) قال : أنشدنا العباس بن محمد الرودى الشافعى :

---

(١) سَرْخس: مدينة قديمة من نواحى خراسان تقع بين نيسابور ومرو فى وسط الطريق انظر معجم البلدان (٢٠٨/٣ ـ ٢٠٩) .

(٢) السِّربال : القميص . أو كل ما يلبس . والمراد : تحامَقْ .

وأنزلنى طول النَّوى دارَ غُربةٍ إذا شئت لاقيتُ امْرَأً لاأُشاكِلُه
فحامقته حتى يقالَ سَجِيّة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

تحامق تطب عيشًا !

أنشدنا أبو جعفر محمد بن على بن الطيان القِمِّى هذا الشعر :

تحامَقْ تَطِبْ عيشًا ولا تَكُ عاقلا فعقل الفتى فى ذا الزمانِ عَدُوُّه
فكم قد رأينا ذا لُهى صارَ خامِلًا وذا حُمْقٍ فى الحمق منه سُمُوُّه

اغتنم حمقك الذى أنت فيه !

ولأبى الربيع محمد بن على الصفّار البَلْخى :

طاب عيش الرقيع فى ذَا الزمان والجَهُولِ الغفُولِ والصّفْعَانِ
فاغتنم حُمْقَك الذى أنت فيه تحظَ بالمكْرُماتِ والإحسان

من أراد العيشَ فى راحة :

وأنشدنى أبو منصور مهلهل بن على الغنوى :

الرُّوحُ والرّاحةُ فى الحُمقِ وفى زوالِ العقلِ والخرْقِ
فمن أراد العيشَ فى راحـ ـةٍ فليلزم الجهلَ مع الحُمْقِ

عندما يكون الزمان زمان حمق :

ورأيت فى بعض الكتب :

إذا كان الزمانُ زمانَ حُمْقٍ فإن العقلَ حِرْمَانٌ وشُومُ
فكن حَمِقًا مع الحمْقَى فإنى أرى الدنيا بدولتهم تَدُوم !

فصل : من تحامق لينجو من بلاء وآفة

أوثقونى فإنى مجنون !

حدثنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان سنة ثمان وثلاثين بمرو الروذ قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباس الديرى قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن أبى طاوس ، عن أبيه قال : لما وقعت الفتنة زمن عثمان رضى الله عنه قال رجل لأهله:أوثقونى فإنى مجنون ؛ كى لا أوذيكم ، فأوثقوه ، فلما قُتِل عثمان رضى الله عنه قال:خَلُّوا عنى فقد صحوت . والحمد لله الذى عافانى من قتل عثمان !

أخرجوه فإنه مجنون !

سمعت الحسن بن عمران الحنظلى بهراة يقول : حدثنا أبو عبد الله محمد بن حفص الفارسى حدثنا منصور بن سعيد الرازى حدثنا قاسم بن محمد بن عريب عن ولد أبى أيوب الأنصارى ـــ رضى الله عنه ـــ قال : أدخل عبادة المخنث على الواثق والناس يُضْربون ويُقتلون ، فى الامتحان ، قال : قلت:والله لئن امتحننى قتلنى !. فبدأته فقلت : أعظم الله أجرك أيها الخليفة ! فقال : فيمن ؟ فقلت: فى القرآن . قال : ويحك والقرآن يموت ؟! قلت : نعم كل مخلوق يموت ! فإذا مات القرآن فى شعبان فبأيش[1] يصلى الناس فى رمضان ؟! فقال:أخرجوه فإنه مجنون !!.

حتى بين يدىِ المنصور !

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله ، قراءة عليه قال : حدثنا عبد الله ابن محمود البغدادى ، قال : حدثنا محمد بن يحيى البصرى ، قال : دعا المنصور أبا حنيفة ، والثّورى ، ومِسْعرًا وشَرِيكاً ؛ ليولّيهم القضاء ؛ .فقال أبو حنيفة : أنا أتحامق فيكم تحميقا ؛ فأقال وأتخلص .

وأما مِسْعر : فيتجانّ ، ويتخلص .

---

(١) فبأى شئ . وهى عربية كانت تجرى على ألسنتهم .

وأما سفيان فيهرب .

وأما شريك فيقع فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ: أنا رجل مَوْلًى ؛ ولست من العرب ، ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مَوْلى ، ومع ذلك فإنى لا أصلح لهذا الأمر ، فإن كنت صادقا فى قولى فلا أصلح له ، وإن كنت كاذبا ؛ فلا يجوز لك أن تولى كاذبًا دماء المسلمين وفُروضهم .

وأما سفيان فأدركه المشخص فى الطريق ، فذهب لحاجته فانصرف المشخص ينتظر فراغه فبَصُر سفيان بسفينة فقال للمِلاح : إن مكّنتنى من سفينتك وإلا ذُبحت بغير سكين . تأول قول النبى ﷺ «**من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين**»[1] فأخفاه الملاح تحت السارية[2] .

وأما مسعر بن كدام ، فدخل على المنصور ، فقال له : هاتِ يَدك . كيف أنت وأولادك ، ودوابّك ؟ فقال : أخرجوه ؛ فإنه مجنون .

وأما شريك فقال المنصور : تقلّد ؛ فقال : أنا رجل خفيف الدّماغ ؛ فقال : تقلّد وعليك بالعصيد والنبيذ الشّديد ؛ حتى يرجح عقلك ، فتقلد ، فهجره الثورى ، وقال : أمكنك الهرب فلم تهرب !

إلى هنا انتهى عقلك !

حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى ــ واللفظ له ــ قال : حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغيانى[3] قال : حدثنا يونس بن عبد الأعْلى الصدفى قال : كتب الخليفة إلى عبد الله بن وهب فى قضاء مصر ، فتجنن نفسه ، ولزم بيته ، فأدخل عليه راشد بن سعد وهو يتوضأ فى صحن داره ، فقال : أبا محمد ، ألا تخرج إلى الناس فتقضى بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله ؛ فقد جننت نفسك ، وألزمت بيتك ؟! فرفع إليه رأسه وقال: إلى هٰهنا انتهى عقلك . أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء ، وأن القضاة يحشرون مع السلاطين ؟!

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٣٦٥/٢) ، وابن ماجه فى سننه برقم (٢٣٠٨) .

(٢) السارية : الاسطوانة ، «والخشبة التى يعلق عليها قلع المركب» . وكما يقول اللغويون: العمود من الخشب ينصب عليه الشراع .

(٣) أُرغِيَان : كورة من نواحى نيسابور انظر معجم البلدان (١٥٣/١) .

ماذا كان يعنى ؟!

سمعت عبد الله بن أحمد الصديق يقول : سمعت أبا رجاء محمد بن حروبة السنجى يقول : بلغنى أن بعض العلماء أدخل على الواثق أيام المحنة فقال له : ما تقول فى القرآن ؟ قال : مخلوق . فقيل له فى ذلك . فقال: عنيت الحر والبرد .

تعَزّ يا أميرَ المؤمنين !

حدثنا أبو القاسم منصور بن العباس الفقيه ببوشنج قال : حدثنا أبو عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الرحمن السّلمى قال : دعا الخليفة أيام المحنة محمد بن مقاتل الرازى ، وأبا الصلت عبد السلام بن صالح الفهندرى ، فقال لمحمد بن مقاتل : ما تقول فى القرآن ؟ قال : أقول : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، فإن هذه الأربعة مخلوقة ـــ وأشار إلى أصابعه الأربعة ـــ فنجا .

فقال لأبى الصلت : ماتقول؟ فقال: تعَزّ ياأمير المؤمنين قال:عَمَّن؟ ويلك ! قال : عن ﴿قل هو الله أحد﴾ فإنه مات قال : فكيف ؟ قال : إن كان مخلوقا ؛ فإنه يموت ! فقال : مجنون ! أخرجوه ، فأخرج فنجا .

ماذا قال يحيى بن مُعين ؟

أخبرنا يوسف بن أحمد بن محمد بن قيس السنجرى قال : أخبرنى عبد الله بن محمد الدينورى قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم البُستى عن أبيه قال : سمعت يحيى بن مُعين يقول : لما أدخلت على الخليفة قال لى : ما تقول فى القرآن ؟ قلت : مخلوق : عنيت به قرآن ابن تمام .

النســاء ثــلاث !

قال : حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أحمد بن علك الجوهرى بمرو قال : حدثنا يحيى بن ساسويه بن عبد الكريم قال : حدثنا على بن حجر قال : أخبرنا شعيب بن صفوان عن أبى معشر :أن رجلاً آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس ؛ لما قاسى من بلاء النساء ؛ فاستشار تسعة وتسعين نَفْسًا ، وبقى واحد فخرج على أن يسأل أول من نظر إليه ، فرأى مجنونا قد اتخذ قلادةً من عظم ، وسوّد وجهه ، وركب قصبةً ، فأخذ رمحه ، فسلم عليه ، وقال : مسألة فقال : سل ما

يعنيك ، وإياك وما لا يعنيك . فقلت : مجنون ـــ والله ـــ ثم قلت : إنى أصبت من النساء بلاءً وآليت ألّا أتزوج حتى أستشير مائة نفس ، وأنت تمام المائة ، فقال : أعلم أن النساء ثلاث : واحدة لك ، وواحدة عليك ، وواحدة لا لك ولا عليك .

فأما التى لك فشابة طَرِيّة لم تمس الرجال فهى لك لا عليك . إن رأت خيرا حمدت ، وإن رأت شرا قالت : كلِ الرجال على مثل هذا .

وأما التى عليك فامرأة ذات ولد من غيرك ، فهى تسلخ الزوج وتجمع لولدها .

وأما التى لا لك ولا عليك ، فامرأة قد تزوجت قبلك فإن رأت خيرا قالت : هكذا يجب ، وإن رأت شرا حنّت إلى زوجها الأول .

فقلت : نشدتك الله ما الذى غيرّ من أمرك ما أرى ؟!

قال : ألم أشترط عليك ألّا تسأل عما لا يعنيك ؟! فأقسمت عليه . فقال : إنى رُشحت للقضاء ، فاخترت ما ترى على القضاء :—

لقــاء مع الحَجــاج !

وأخبرنا أبو موسى بن الحصين ـــ قراءة عليه ـــ قال : حدثنا أبو عوانة يعقوب ابن إسحاق المهرجانى ، حدثنا أبو على سهل بن على ببغداد ـــ فى الدار ـــ قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعى[1] قال : سمعت عمى يقول : أخبرت أن الحجاج بن يوسف لما فرغ من أمر عبد الله بن الزبير[2] رضى الله عنهما ورحمة الله عليهما . قدم إلى المدينة فلقى شخصا خارجا من أهل المدينة ، فلما رآه الحجاج قال له : يا شيخ ، من أهل المدينة أنت ؟ قال : نعم قال الحجاج : من أيهم قال : من بنى فزارة . قال : كيف حال أهل المدينة ؟ قال : شر حال . قال : ومم ؟

(١) الأصمعى : اسمه عبد الملك بن قُريب بالتصغير ـــ صاحب لغة ونحو وإمام فى الأخبار والنوادر والمُلَح والغرائب توفى سنة ٢١٦ هجرية بالبصرة .

(٢) عبد الله بن الزبير (١ ـــ ٧٣ هـ) . ابن الزبير بن العوام وأمه أسماء كبرى بنات أبى بكر وأخت عائشة زوج النبى ﷺ .

اشترك فى فتوحات فارس ومصر وشمال إفريقيا . حارب إلى جانب عائشة رضى الله عنها فى معركة الجمل . عاش فى المدينة ، وعارض خلافة يزيد الأول بن معاوية . ثار على ولاة الأمويين فى الحجاز ، وأعلن نفسه خليفة . حافظ على نفوذه فى العراق بعد معركة مرج راهط . قضى عليه الحجاج وأخضع مكة والمدينة لنفوذ البيت الأموى .

قال : لما لحقهم من البلاء بقتل ابن حَوَارِيّ[1] رسول الله ﷺ . فقال الحجاج : ومن قتله ؟ قال : قتله الفاجر اللعين حجاج بن يوسف عليه لعاين الله . وصلبه من قلة المراقبة لله . فقال الحجاج ـــ وقد استشاط غضبا ـــ : وإنك يا شيخ ممن أحزنه ذلك وأسخطه ؟ قال الشيخ : أى والله أسخطنى ذلك . سخط الله على الحجاج وأخزاه . قال الحجاج : أو تعرف الحجاج إن رأيته ؟ قال : أى والله إنى به لعارف ، فلا عرّفه الله خيرا ، ولا وقاه ضيْرا . فكشف الحجاج عن لِثامه ، وقال : لتعلم أنك أيها الشيخ يسيل دمك الساعة . فلما أيقن بالهلاك تحامق وقال : هذا والله العجب ! أما والله يا حجاج ، لو كنت تعرفنى ما قلت هذه المقالة !

أنا العباس بن أبى ثور المصروع أُصرع فى كل شهر خمس مرات وهذا أول جنونى ! فقال الحجاج : انطلق فلا شفاك الله ولا عافاك !

فصل : ضروب الجد والعقل ، ودولة الحمق والجهل

إلى الله تصير الأمور !

حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان ، أخبرنا قال : حدثنا جدى الحسن بن سفيان قال : أخبرنا حبان عن ابن المبارك[2] عن سفيان عن منصور قال قيل للحسن بن سالم : إن فلانا مع رقاعته وجهله غَرِق فى الأموال ، وإن فلانا وفلانا ـــ وعَدَّوا رجالا من أهل الصُّفة ـــ يموتون غَرْثى[3] وإلى الله تصير الأمور !.

الناس ثلاثة :

سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازى يقول : سمعت العباس بن حمزة يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : سمعت هشام بن عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا يوسف القاضى يقول : ثلاثة : مجنون ، ونصف مجنون ، وعاقل . فأما المجنون فأنت

---

(١) الحوارىّ : الناصر .

وكان الزبير حوارىّ الرسول ﷺ قال النبى : «الزبير بن العوام ابن عمتى وحوارىّ من أمتى» البخارى . فضائل الصحابة . باب مناقب الزبير بن العوام . ومسلم باب . من فضائل طلحة والزبير رضى الله عنهما .

(٢) هو عبد الله بن المبارك المحدث تأسى بسفيان الثورى فى رواية الحديث بالمعنى ، وكان يقول : علمنى سفيان اختصار الحديث . (قواعد التحديث ٢٢٢) .

(٣) أهل الصُّفة : فقراء المهاجرين ممن لم يجدوا مأوى إلا مسجد الرسول ﷺ . وغَرْثى : جوعى .

منه فى راحة . وأما نصف مجنون فأنت منه فى تعب . وأما العاقل فقد كُفيتَ مُؤْنته .

أنشد أبو ذر القراطيسى :

الحمدُ للهِ كمْ فى الدهرِ من عجبٍ ومن تغيُّر أحوالٍ وحالاتِ
لا تنظرنّ إلى عقل ولا أدب إن الجدودَ قريباتُ الحماقاتِ[1]
واسترزِقِ اللهَ مما فى خزائنه فكل ما هو آتٍ مرّة آتِ[2]

من صفت له الدنيا وهو لا يعرف الضأن من المعزى !

قال عبيد الله بن سعيد الكاتب : دخل بعض الشعراء على بن شَـوْذَب ــ وهو الذى يضرب به المثل فى كثرة الأموال – فأتى برعيل من الخيل ؛ فتأملها ، وقال : أخرجوا منها ذلك المِرْعِزّى[3] .

ثم أتى بقطيع من الغنم ، فقال : لا تذبحوا ذلك الأدهم[4]

وكان الشاعر قد مدحه بقصيدة فلما رأى ذلك خرج من عنده ولم ينشده وأنشأ يقول :

لا يعرف الضأنَ من المعزَى ويحسَب الأدهَم مِرْعِزَّى
صفَت لهُ الدنيا وضاقت لنا تلك لعمرى قسمة ضيزَى ! (*)

سبحانَ من قسم الحظوظ !

وأنشد أبو الفضل العباس بن القاسم الطبرى :

قل لدهرٍ على المكارم غطّى يا قبيحَ الفِعالِ جهمَ المُحَيّا[5]
كم رفيع حطَطْته عن يَفاعٍ ورقيعٍ ألحقته بالثريـــا[6]

---

(١) الجُدود جمع جَدّ بفتح الجيم الحظ والنصيب .

(٢) استرزق الله : اطلب منه أن يرزقك .

(٣) المِرْعِزّى بكسر الميم والعين وتشديد الزاى مقصور : الزغب الذى تحت شعر العنز ، وكذا المِرْعِزاء بكسر الميم والعين مخفف ممدود . ويجوز فتح الميم . وقد تحذف الألف فيقال : مِرْعِزّ .

(٤) الدُّهمة : السَّوَاد . يقال : فرس أدهم ، وبعير أدهم .

(٥) المحيا : الوجه . وجهم المحيا : عابس الوجه .

(٦) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . والثريا : نجم فى السماء . وبين رفيع ورقيع جناس بديع .

(*) قسمة ضيزى : أى قسمة جائرة .

الطريق إلى الرفعة فى هذا الزمان !

وأنشد أبو بكر أحمد بن عمران السوادى :

زمان قد تفرّغ للفضول ... يسوّد كلِ ذى حُمق جَهول
فإن أحببتم فيه ارتفاعا ... فكونوا جاهلين بلا عقول

كيف رأى ابن الرومى دهره ؟

وقال ابن الرومى :[1]

دهر علا قَدْر الرقيع به ... وترى الشريف يحطّه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤهُ ... سفلا ويعلو فوقه جيفه

أيها اللائمون فى الحمق مهلا !

وقال على بن محمد بن قادم :

عذَلُونى على الحماقةِ جهلًا ... وهى من عقلهم ألذُّ وأحلى
لو لقوا ما لقيت من حرفةِ العلم ... لساروا إلى الجهالة رسلا
ولقد قلت حين أغْرَوْا بلومى: ... أيها اللائمون فى الحمق مهلا
حمقى قائم بقوت عيالى ... ويموتون- إن تعاقلت- هَزْلَا

نظرة للإمام علىّ :

وسمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكازرى يقول : سمعت إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الأكبر مترددا يقول : كان على سيف أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه :

للناس حرص على الدنيا بتبذير ... وصَفْوها لك ممزوج بتكدير
لم يُرزَقوها بعقلٍ عندما قُسمت ... لكنهم رُزِقوها بالمقادير
كم من أديبٍ لبيبٍ لا يُساعدُه ... ومائقٍ نال دُنْياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مُغالبَةٍ ... طار البُزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ ![2]

---

(١) ابن الرومى (على بن العباس) شاعر بغدادى من أعظم شعراء الدولة العباسية بل من أعظم شعراء العربية ، تغنى بجمال الطبيعة ، ولكنه كان ضيق الأخلاق متشائما متطيرا ، مُلِحّا فى السؤال هجَّاءً فلم يقرب إليه أحد .

(٢) انظر الأبيات فى ديوان الإمام على- من إصدارنا- قافية الراء .

لمن تفتح الأبواب ؟!

ورأيت فى كتاب لابن ممشاد :

قد كسَدَ العقلُ وأصحابُه — وفُتِّحتْ للحُمْقِ أبوابُه
فاستعملِ الحمقَ تكن ذا غِنًى — فقد مضى العقلُ وطُلّابُه

من الدليل على القضاء وحكمه .

وللإمام الشافعى — رحمه الله —:

إن امرأً رُزِقَ اليسار ولَم يُصِبْ — حمدًا ولا أجرًا لَغيرُ مُوَفَّقِ
فالجَدّ يُدنى كلَّ شيء شاسعٍ — والجَدّ يفتح كل بابٍ مُغْلَقِ
فإذا سمعتَ بأنّ مَجْدودًا حَوى — عودًا فأثمر فى يديه فَصَدق
وإذا سمعت بأن محروما رأى — ماءً ليشربه فغاض فَحَقّق
وَأشد خلق الله بالهم امرؤ — ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاءِ وحكمه — بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق[1]

مصير التحاذق والتكايُس !

ولابن الرومى :

جاهى أدق من الصّراط — فيكم وعِزّى فى انحطاط
وتكـايُسِى وتَحَاذُقِـى — يَلجَانِ فى سَمِّ الخِياط[2]
وأنا الشقىّ بأرضكم — مثل المصَوّر فى البِساطِ[3]

ضدان مفترقان !

ولعلى بن محمد السيرافى :

ما همتى إلا مقارعةُ العِدىٰ — خلُق الزمانُ وهِمّتى لم تَخْلُقِ[4]
والمرء كالمدفونِ تحت لسانِه — ولسانُه مفتاحُ بابٍ مُغْلقِ
إنى أرى الأكياس قد تُركوا سُدًى — وأزمة الأملاك طوع الأحمق
لو كان بالحِيَل الغِنى لوجدتنى — بنجوم أقطارِ السماءِ تَعَلُّقِى

(١) انظر الأبيات فى ديوان الإمام الشافعى بتحقيق الأستاذ/ محمد سليم ـ من إصدارنا ـ ص ١٠٦

(٢) مع ما هو عليه من حذق وكياسة فهو يعانى أشد الضيق !

(٣) يداس ، ويهان .

(٤) تخلق مثل سَهُل : بَلِىَ .

لكن من رُزِق الحجا حُرِم الغنى ضدان مفترقان أى تفرق[1]

ذلك تقدير العزيز العليم !

وقال بعضهم :

كم من أديبٍ عاقلٍ قلبه مُكَمَّلُ العقلِ مُقِلٌّ عَدِيم
ومن رَقيعٍ وافرٍ مالُه ذلك تقدير العزيز العليم
سبحانَ ربّى ! إن ربى حكيم قد حُرِم العاقلُ فضلَ النّعيم
ما يَظْلِمُ الربُّ ولكنّه أراد أن يُظهرَ عجزَ الحكيم !

السؤال الحائر على الشفاه !

وبلغنى أن امرأة أتت بزرجمهر الحكيم ، فقالت له : أيها الحكيم ، ما بال الأمر يلتام[2] للعاجز ؟، ويلتاثُ على الحازم ؟ قال : ليعلم العاجز أن عجزَه لن يضُرّه ؛ وليعلم الحازم أن حزمه لن ينفعه ، وأن الأمر إلى غيرهما .

إياكم ومصاحبة الأحمق !

قال أكثم بن صيفى حكيم العرب لبنيه : إياكم وصحبة الأحمق ؛ فإنه إلى أن يضركم أقرب منه إلى أن ينفعكم .

اجتنب صحبة النّوكَى !

قال الأحنف بن قيس لبعض أصدقائه : اجتنب صُحْبةَ النّوكى ؛ فإنهم لا يستقرّون على حال . وإياك والعتاب ؛ فإنه يفتح بابَ التغالى . والعتاب خير من الحقد .

---

(١) البيتان الرابع والخامس وردا فى ديوان الإمام الشافعى بين مقطوعة من ثمانية أبيات وجاء ترتيبهما الخامس والسادس . انظر ديوان الإمام الشافعى ص ١٠٦ .

ونجد البيتين مع المقطوعة فى وفيات الأعيان حـ٤ ص١٦٦ ، وشذرات الذهب حـ٢ ص ١١ ، ودائرة معارف القرن العشرين حـ٥ ص ٤٠٣ — ٤٠٤ وأدب الدنيا والدين ص ٢٢٢ والكشكول ص ١٨٣ ، والعمدة جـ١ ص ٤٠ وصفوة الصفوة حـ٢ ص ٢٥٧ .

وقد ذكرت المقطوعة فى الشذرات مسبوقة بقوله : قال الشافعى معارضا ابن الأزرق ، وهى فى غاية المتانة .

(٢) يلتام : يلتئم إذا انصلح . ويلتاث يتكدر ولا ينصلح .

هجران الأحمق :

قال بشر بن عمرو : اتق الأحمق ، فليس للأحمق خير من هجرانه .

الأحمق كالثوب الخلِق !

قال أبو الحسن على بن إبراهيم .

اتق الأحمق أن تصحبه — إنما الأحمق كالثوب الخَلِق
كلما رقّعت منهُ جانبا — صَفَقَتْه الريح وَهْنًا فانخرق
أو كعَيْر السُّوء إن أقصدته — رمَحَ الناس وإن جاع نهق[1]

لا تصحب أخا الحمق !

قال آدم بن عُيَيْنَة : قُلِبَ حجرٌ بأرض الروم فإذا عليه مكتوب :

ولا تصحب أخا الحمق — وإيــاك وإيــاه
فكم من جاهل أردى — حكيما حين واخاه
يقـاسُ المرءُ بالمرءِ — إذا ما هو ما شاه
وللقلب على القلب — دليـل حين يلقـاه
وللنـاس من النـاس — مقايـيسٌ وأشبـاه

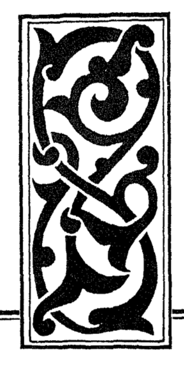
سلمة بن بلال الخشاب قال : كان فتى يُعْجِبُ عليَّ بنَ أبى طالب ـــ رضى الله عنه ـــ فرآه يوما يماشى رجلا متهما فقال ـــ رضى الله عنه ـــ وذكر الأبيات .

النظر إلى الأحمق ، والنظر إلى البخيل :

وكان بشر بن الحارث يقول : النظر إلى الأحمق سخنة عين ، والنظر إلى البخيل يقسى القلب !

---

(١) العَيْر : الحمار .



عقلاء المجانين



ومن أخبار عقلاء المجانين

١ ـــ *أويس القرنى*

أُوَيْسٌ ـــ قدّسَ اللهُ سِرّه ـــ هو أول من نُسب إلى الجنون فى الإسلام والمعروف من حديثه ما وجدته فى كتاب جدى سعيد بن المسيّب[١] ـــ رحمه الله ، ورضى الله عنه ـــ قال : نادى أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ وهو على المنبر بمنًى : يا أهل قرن ، فقام مشايخ ، فقالوا : ها نحن يا أمير المؤمنين ، فقال ـــ رضى الله عنه ـــ: أفى قَرَن[٢] من اسمه أويس ؟ فقال شيخ : يا أمير المؤمنين ، ليس فينا من اسمه أُوَيْس إلا مجنون يسكن القِفار والرمال ، لا يألف ولا يُؤْلَف ! قال ـــ رضى الله عنه ـــ ذاك الذى أعنيه ، إذا عدتم إلى قرن فاطلبوه ، وبلغوه سلامى ، وقولوا له : إن رسول الله ﷺ بَشّرنى بك ، وأمرنى أن أقرأ عليك سلامَه . قال : فعادوا إلى قرن ، فطلبوه ، فوجدوه فى الرّمال ، فأبلغوه سلامَ عمرَ ـــ رضى الله عنه ـــ، وسلام رسول الله ـــ ﷺ ـــ فقال : عرفنى أمير المؤمنين وشهّر باسمى . السلامُ على رسول الله ـــ ﷺ ـــ وعلى آله ، وهام على وجهه ، فلم يوقف له بعدُ على أثر دهرًا ، ثم عاد على أيام علىٍّ ـــ رضى الله عنه ـــ مقاتلا بين يديه ، وقُتل مُسْتَشهدا فى صِفّين أمامَه فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جرحة وطعنة وضربة[٣].

ومن دلّك علىّ ؟

هرم بن حَيان قال : قدمت الكوفة ولم يكن لى هم إلّا «أويس القرنى» أطلبه ، وأسأل عنه ، حتى وجدته قاعدًا على شاطىء الفُرات ، يغسل يديه ورجليه عليه إزار من صوف ، ورداء من صوف ، كريه الوجه ، مهيب المنظر جدا ، وكان لحيمًا[٤] آدمَ اللون ، شديد الأُدمة[٥] ، كَثّ اللّحية[٦] ، فسلّمت عليه ، فردّ علىّ وقال :

---

(١) سعيد بن المسيب ـــ المخزومى القرشى أحد الفقهاء السبعة بالمدينة . توفى سنة ٩١هـ .

(٢) قَرَن : بفتح القاف والراء موضع . وهو ميقات أهل نجد . ومنه أُويس القَرنى رضى الله عنه .
قلت : هو فى التهذيب بسكون الراء نقله عن الأصمعى وتحقيقه فى المُغرب .

(٣) أخرجه الحاكم فى مستدركه (٤٠٨/٣) .　　　(٤) لحيم : كثير لحم البدن .

(٥) الأُدْمَةُ : السّمرة .

(٦) كث اللحية : كثيفها .

حيّاك اللهُ مِنْ رجل ، ومدَدْت إليه يدى لأصافحه ، فأبى أن يصافحنى ؛ فقلت : وأنت فحياك الله . كيف أنت ياأويس — رحمك الله —؟ ثم سبَقتنى العَبْرة من حبى ، ورِقتى له ، إذ رأيت من جماله ما رأيت ، حتى بكيت ، وبكى ، وقال : وأنت فرحمك الله يا هرم بن حيان ، كيف أنت يا أخى ؟ ومن دلّك علىّ ؟ فقلت : الله . فقال لا إله إلا الله ، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . فتعجبت حين سمّانى وعرفنى . ولا والله ما رأيته قط ، ولا رآنى . فقلت : من أين عرفتنى ؟ ! وعرفت اسمى ، واسم أبى ؟ فوالله ما رأيتك قط قبل اليوم ! فقال : نبأنى العليم الخبير . عَرفَتْ روحى روحَك ، حين كانت نفسى نفسك . إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأحياء ، وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله ، وإن لم يلتقوا ، أو يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل .

فقلت : حدثنى عن رسول الله ﷺ بحديث أحفظه عنك .

قال : إنى أدركت رسول الله ﷺ ولم يكن لى معه صحبة ، ولكنى صحبت رجالًا رأوه ، وبلغنى كبعض ما بلغكم ، ولا أريد أن أفتح هذا الباب وأحتج . فقلت له : اقرأ علىّ آياتٍ من كتاب الله تعالى وأوصنى وصية فأحفظها ؛ فقام وأخذ بيدى وقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . وشهق شهقة ، ثم بكى ! فقال : قال ربى وأحق القول قول ربى ، وأصدق الحديث حديثه ، وأحسن الكلام كلامه : ﴿**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين**﴾ حتى بلغ إلى قوله تعالى : ﴿**إنه هو العزيز الرحيم**﴾[1] ثم شهق شهقة ، ثم سكت ، فنظرت إليه وأنا أحسَبه قد غُشى عليه، ثم قال : ياهرم بن حيان ، مات أبوك وبشّرك أن تموت يابن حيان . فإما إلى الجنة، وإما إلى النار ! . مات أبوك آدم وحواء ، ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمن ، يا بن حيان ، ومات موسى كليم الرحمن ، يا بن حيان ، ومات داود خليفة الرحمن يابن حيان ، ومات محمد رسول الرحمن — ﷺ — يابن حيان ، ومات أبو بكر خليفة المسلمين أخى وصديقى وضيفى عمر بن الخطاب ، ثم قال : واعمراه ! رحم الله عمر ! — وعمر يومئذ حى — قال هرم : قلت : إن عمر لم يمت بعد ! قال : قد نعاه إلىّ ربك إن كنت تفهم ، قد علمت ما قلت وأنا

(١) الدخان (من ٣ إلى ٤٢) .

وأنت فى القرى ، وكان قد صلى على النبى ﷺ ودعا بدعواتٍ خَفِيّاتٍ ، ثم قال : هذه وصيتى :

عليك يا بن حيان بكتاب الله ، وبقايا الصالحين من المسلمين ، نعيت لك نفسى ونفسك ، فعليك بذكر الله ، وذكر الموت ؛ فلا يفارقن قلبكَ طرفةَ عين ما بقيت ، وانْصَحْ لأهل ملتك جميعا ، وإياك أن تفارق الجماعة ، فتفارق دينَك وأنت لا تعلم ؛ فتدخل النار . ثم قال : إلهى إن هذا يزعم أنه يحبنى فيك ، وزارنى من أجلك . اللهم عرفني وجهه فى الجنة ، واحفظه فى الدنيا حيثما كان ، وأرضه من الدنيا باليسير ، وما أعطيته من الدنيا فيسّره له ، واجعله بما تعطيه من نعمتك من الشاكرين ، واجزه عنى خير الجزاء . أستودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا أراك بعد اليوم ، رحمك الله فإنى أكره الشُّهرة ، وأحب الوحدة ، ولا تطلبنى .

واعلم أنك مِنّى على بال . وإن لم أرَكَ ولـم ترنى فاذكرنى وادْعُ لى ؛ فإنى سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله تعالى .

وفارقنى يبكى وأبكى ؛ فجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل فى بعض السكك فكم طلبته بعد ذلك ، وسألت فما وجدت من يخبرنى خبره .[1]

أعوذ بك من عين نوّامة وبطن لا يشبع

الربيع بن خيثم قال :

أتيت أويس القرنىّ فوجدته جالسا قد صلى الفجر ؛ فقلت: لا أشغله عن التسبيح ، فمكث مكانه ، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى الظهر ، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ، ثم هكذا حتى صلى المغرب . فقلت فى نفسى : لابد من أن يرجع ليفطر ، فثبت مكانه حتى صلى العشاء الأخيرة ، فقلت : لعله يفطر بعد العشاء ، فثبت مكانه حتى صلى الفجر ، ثم جلس فغلبته عيناه فانتبه وقال : اللهم إنى أعوذ بك من عين نوّامة ، ومن بطن لا يشبع !

فقلت:حسبى ما عاينت ورجعت ا.

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه (٣/٤٠٦-٤٠٧) .

قتادة عن الحسن البصرى[1] قال :

قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ «يدخل بشفاعة رجل من أمتى الجنة أكثر من ربيعة ومضر أما أسمى لكم ذلك الرجل ؟ قالوا : بلى . يا رسول الله ، قال ﷺ : «ذلك أويس القرنى[2]» ثم قال يا عُمَر إن أدركته ، فأقرئه منى السلام وقل له حتى يدعوَ لك ، واعلم أنه كان به وضح ، فدعا الله تعالى فرفع عنه ، ثم دعا الله فرد عليه بعضه ، فلما كان فى خلافة عمر رضى الله عنه وهو بالوسم قال : ليجلس كل رجل منكم إلا من كان من قرن ، فجلسوا إلا رجلا ، فدعاه وقال له : تعرف فيكم رجلا اسمه أويس ، فقال : وما تريد منه فإنه رجل لا يُعرف ، يأوى الخرابات ، ولا يخالط الناس ؟! فقال : أقرئه منى السلام ، وقل له حتى يلقانى . فأبلغه الرجل رسالة عمر ـــ رضى الله عنه ـــ فقدم عليه فقال له عمر : أنت أويس ؟! قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : صدق الله ورسوله ، هل كان بك وضح فدعوتَ الله فرفعه عنك ، ثم دعوته تعالى فرد عليك بعضه ؟! فقال : نعم من خبّرك به فوالله ما اطلع عليه غير الله ؟! فقال : أخبرنى رسول الله ﷺ وأمرنى أن أسألك حتى تدعوَ لى ، وقال : يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر» . ثم سمّاك . قال : فدعا لعمر ، ثم قال : حاجتى إليك يا أمير المؤمنين أن تكتمها علىّ ، وتأذن لى بالانصراف ، ففعل فلم يزل مستخفيا من الناس حتى استشهد يوم «نهاوند»[3] رحمه الله ورضى عنه وسائر المسلمين آمين .

٢ ـــ *مجنون ليلى*[4]

هو من جملة من يذكر من المجانين أشهر ، وحديثه أوضح وأيسر . وأنه بلغ من شهرته أن جنونه غلب على اسمه ، حتى إنه إن سمّى أو عُزِىَ إلى أبيه لم يثبت بل يقال : قال المجنون كذا ، وفعل مجنون بنى عامر كذا ، حتى عابه كثير من الشعراء بالبَوْح ، ومدحوا أنفسهم بالكتمان !.

---

(١) من أجلّ التابعين جمع إلى العلم غاية الورع توفى سنة ١٠١ هـ .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٤٠٥/٣) ذكر مناقب أويس بن عامر القرنى

(٣) نَهاوَنْد : مدينة عظيمة من المدن الفارسية .

(٤) قيس بن الملوح ، أو مجنون بنى عامر ، أو مجنون ليلى ويجد فيه بعض النقاد رمزا لطائفة من الآراء وألوان من العواطف ، وفن من فنون الشعر والنثر ظهر فى العصر الأموى وكاد ينتهى إلى غايته لولا أن العصر العباسى أقبل بلهوه وشكه ومجونه فأفسد على الناس كل شىء ! (حديث الأربعاء) .

قال أبو عبيدة : هو مهدى بن الملَوّح ، بن المُزحم ، بن قيس بن عدى ، بن ربيعة ، بن جعدة ، بن كعب .

وقال يزيد بن عبد الأكبر : هو قيس بن معاذ بن شامة بن نصير .

كيف كان سبب عشقه ؟

قال ابن نصير : سئل مجنون بنى عامر : كيف كان سبب عشقك لليلى ؟ قال : بينا أنا فى عنفوان عِزتى ؛ وريعان صباى أسحب ذيل اللعب ، وأرمى الكواعب من كثب . أصبو إليهن فيفترقن ، وأهزأ بهن فلا ينتصفن ، إذ اعتقلتنى حبائل فتاة من عُذْرة ، فذهلنى حبّها وتيَّمنى عشقُها ، وإذا جذبة جَذَبَتْنِى .

فمن أشعاره قوله :

فلم أرَ ليلى بعد موقف ساعةٍ	بخَيْف مِنًى تُرمى جمار المحصّب[1]
ويُبْدى الحصَى منها إذا قذفت به	من البُرد أطرافَ البنان المخضّبِ
فأصْبَحْتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ	مَعَ الصُّبْحِ فى أعجازِ نَجْمٍ مُغَرّبِ
ألا إنما غادرتِ يا أمّ مالكٍ	صَدَىً حيثُما هبّت به الريح يَذْهَبِ[2]

أيهما كان حبه أكثر ليلى أم المجنون ؟

قيل لليلى : حبك للمجنون أكثر أم حبه لك ؟ فقالت: بل حبى له . قيل : كيف ؟ قالت : لأن حبه لى كان مشهورا ، وحبى له كان مستورًا .

قال ابن الكلبى[3] : إن المجنون فى أول ما كَلِفَ[4] بليلى ، قعد عندها يوما يتحدث ، فرآها تعرض عنه ، وتُقبل على غيره ، فشق ذلك عليه ، وعرفت ذلك فى نفسه فأقبلت عليه وقالت :

---

(١) خيف مِنًى : موضع فى مكة ينزله الحجاج . رمى الجمار : من مناسك الحج والمحصّب : موضع رمى الجمار ، أى الحصى ، فى مكة ، والمحصّب : الأرض الكثيرة الحصباء.

(٢) وفى بعض الروايات «أينا تذهب به الريح» بدلاً من «حيثما هبت به» والمعنى لا يختلف .

(٣) أما الكلبى فهو نسابة راوية ، لغوى ، عالم بأخبار العرب ، من أهل الكوفة (ت٧٦٣) .

وأما ابنه هشام فهو مؤرخ ، عالم بالأنساب ، ولد وتوفى بالكوفة . نسب إليه الفهرست ١٤٠ مؤلفاً . منها «كتاب الأنساب الكبير» أو «جمهرة الأنساب» .

(٤) كَلِف : تعلق .

كلانا مُظْهِرٌ للناسِ بغْضًا ... وكلّ ، عند صاحبه مكينُ[1]

فخر مغشيا عليه ، ثم تمادى فى الغُلُوّ حتى ذهبَ عقله .

بكلٍّ تداوينا ...

قال محمد بن الكلبى : نزل المجنون برهط ليلى[2] ، فجاء إلى امرأة كانت عارفة بأمرها ، فشكا إليها ما يجده ، فوعدته أن تجمع بينهما ، فمضت وأخذتها وجمعت بينهما ، فأنشأ يقول :

إذا قربت دارًا كَلِفْتُ ، وإن نأت ... أَسِفْتُ ؛ فلا بالقرب أسلو ولا البُعْدِ
فإن وعدتْ ، زادَ الهوى بانتظارها ... وإن بَخِلَت بالوعد متّ على الوعد

أقول : وتمام الأبيات :

بكلٍ تداوينا فلم يُشْفَ ما بِنَا ... على أن قربَ الدارِ خيرٌ من البُعد

رفقا بنفس قد جفاها حبيبها !!

قال الأصمعى : حُدِّثْتُ أن رهط قيس المجنون قالوا له : اطلب لنا طبيبا لعله يُطْلِعُنا على ما به فأحضر إليهم طبيبا ، فعالجه ، فلما أعياه خلّاه ، فأنشأ قيس يقول :

ألا يا طبيبَ النفسِ أنت طبيبها ... فرفقا بنفس قد جفاها[3] حبيبها
دعتنى دواعى الحب ليلى ودونها ... ذوى قوة قلبى الحزين قلوبها
فديتك من داعٍ دعا ولو أننى ... حَشاىَ من أحجارٍ لظَلّ يُجيبها
وما هجرتكِ النفسُ من أجل أنها ... قَلَتْك ولكن قلّ منها نصيبُها

---

(١) يقال : مَكُن فلان عند الناس يمكُن مكانةً : عظُم فهو مكين . وفى التنزيل العزيز: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ وللبيت السابق بيت آخر معه رواه صاحب الأغانى :

وأسرارُ الملاحِظِ ليسَ تخفى ... إذا نطقت بما تخفى العُيونُ

وفى رواية أخرى :

تبلغنا العيون مقالتينا ... وفى القلبين ثَمَّ هوًى دفين

(٢) رهط ليلى : قومها وقبيلتها . والرهط مادون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة .

(٣) جفاها : قلاها وكرهها وحدثت بينهما قطيعة .

إذا ذُكِرَت يرتاح قلبى لذكرها .

قال الأصمعى: إن رهط قيس قالوا لأبيه : لو خرجت به إلى الحج ! فتدعو الله لعله يتناساها ! فخرج به فبينا هو يرمى الجمار ، نادى منادٍ من بعض تلك الخيام ، يا ليلى ، فخر قيس مغشيًّا عليه ! ثم أفاق ، وأنشأ يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْف مِن منًى	**فهيّجَ أحزان الفؤادِ وما يَدرِى**
دعا باسمِ ليلَى غيرِهَا فكأنّما	**أطار بقلبى طائراً كان فى صدرى!**
إذا ذُكِرَتْ يَرْتاح قَلْبى لذكرِها	**كما انتفض العصفورُ مِن بَلَل القطرِ**

السجن خير من الفراق :

وهى قصيدة طويلة .

قيل:حبس المجنون مع ليلى فى السجن ، فقيل له : اخرج . فقال : لا أخرج ، لأن أكونَ مع الحبيب فى السجن خير من الفراقِ فأخرج فجاء الناس يعزونه فقال ارتجالا :

ليل الحبيب مع الحبيب نهارُ	**وكذاك أيّامُ الوِصالِ قِصارُ**

وقال أيضا :

وسجنى مع المحبوب فِرْدَوْسُ جَنّتى	**ونارى مع المحبوب فى النارِ أنوار**

وذكر أن سعيد بن العاص كان صديقه فعاتبه يوما فقال له : فضحت نفسك وعشيرتك فقال :

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما	**تمثّل لى ليلى بكلِّ سبيل**
فلا تلمننى يا سعيد فإننى	**ــ وحق إلهى ــ هالك بقليل**

شاهد عيان :

قال كُثيِّر عزّة : خرجت أريد قضاء حاجة لى ، فضللت الطريقَ ، فإذا أنا برجل قاعد ، فقلت : أنسىّ أم جِنّىّ ؟ فقال : بل إنسىّ ، فقلت : ما أقعدك ههنا ؟ فقال : إن هنا صيّادا ، فأحببت أن أنظر إلى صيده ، فأنخت راحلتى قريبًا منه ، فبينا نحن نتحدث إذِ اضْطَرب الحبلُ فإذا بظبيةٍ كأحسنِ ما يكون من الظّباء ، وأسمنهن !

فاستخرجها برفق ، وجعل يقبل خدّيها ، وعينيها ، ثم أرسلها وهو يقول :

اذهبى فى كلاءة الرحمن أنت منى فى ذمّة وأمان
فتهنّى فالجيدُ منك لِلَيْلى والحشا والبغام[1] والعينان
لا تخافى بأن تُسامى بسوء ما تغنّى الحمام فى الأغصانِ

قال كثير : فأعجبنى ما رأيت منه ، فأقمت عنده ، فلما كان من الغد . غدا ونصب حبالته ، فما لبث أن اضطرب الحبل ، فقام ، وقمت ، فإذا ظبى كنحو ما رأيت بالأمس ففعل به كما فعل بالآخر ، فمضى غير بَعيد ، ثم وقف ينظر إليه وأنشأ يقول :

شبه ليلى !

أيا شِبْهَ ليلى لا تُراعى ؛ فإننى لكِ اليومَ مِن وَحْشِيّة لَصَدِيقُ
فعيناكِ عيناها وجِيدُك جِيدُها سوى أن عظمَ الساقِ منك دقيق
فلا تشكرينى بالذى قد صنعته فأنت لليلى إن شكرت طليق
وما أنا إن أسليتها ثم لم تؤب سليما عليها فى الحياة شفيق

ثم لبثنا يومنا وليلتنا فلما كان من الغد غدا ، وغدوت ، وصنع مثل صنيعه فإذا نحن بظبية قد وقعت فى الحبالة ففعل مثل ذلك فخلّاها ، وأنشأ يقول :

تذكرنى ليلى من الوحش ظبية لها مقلتاها والمقلـــد والحشا
فينهلّ دمعُ العينِ يجرى لذكرها وأسفى عليك القلب بالدمع ما جرى

فقلت : لله أبوك ! ما أعجبَ شأنَك ! فالتفت إلىّ ثم قال :

أتلحَى محبًّا هائما أن رأى لمن أحب شبيها فى الحبالةِ مُوثَقَا؟!
فلما دَنَا منه تذكَّرَ شَجْوَه وآنس مما قد رآه تشوّقا
وهيجّ منه حائل دون ذبحه فأرسله من أجل ليلى فأعتقا
ألا لا تلُمْه بل له اليوم حُرْقَةٌ من الوجد لا يزداد إلّا تحرقا

فوالله إنى لفى ذلك إذ أقبل راكب ، فقال : اللهمّ إنى أسألك خير ما عنده ، فجاء حتى وقف ، فقال : اصبِرْ يا قيس ، قال : عمّنْ ؟ قال : عن ليلى ! فقام إلى بعيره ، وقمت إلى بعيرى ، فشددنا عليهما ، ثم أقبلنا على الحى ، فقال : أرشدونى إلى

(١) البغام : صوت الظبى .

قبرها فأشاروا له إلى قبرٍ حديثٍ عهدٍ بطينٍ ، فأكَبَّ عليه يُقبّله ويَلْتَزِمُه ويَشَمُّ ترابَه : وأنشأ يقول :

أيا قبر ليلى !!

أيا قبرَ ليلى لا شهدناك أعْوَلَتْ عليك نساءٌ من فصيح ومن عجم
ويا قبرَ ليلى أكرمن محلها يكن لك ما عشنا بها عندنا نعم
ويا قبر ليلى إن فى الصدر غُصةً مكان الشجى سدّت مع الريق بالسلم[1]

ثم شهق شهقة ، فمات ، فدفنته أنا والراكب ، وأنشأت أقول :

سأبكيكما ما عشت حَيًّا وإن أمت فإنى قد لاقيتُ ما تَجِدان

المحبة ذريعة للرؤية !

قيل للمجنون : أتحب ليلى ؟ قال : لا . قيل : ولم ؟ قال : لأن المحبة ذريعة للرؤية فقد سقطت الذريعة ، فليلى أنا وأنا ليلى .

أنشدنا محمد بن المنذر للمجنون :

تذكرتُ ليلَى والفوادُ عَميدُ وشطّت نواها والمزارُ بَعِيدُ
يبيدُ الهوى من صدرِ كُلِّ متيّمٍ وحبى لليلى ما حييتُ جَديدُ

هل كان المجنون مجنونًا ؟

قال الأصمعى : لم يكن المجنون مجنونا ؛ ولكن كانت فيه لوثة كلوثةِ أبى حيةَ النُّميرى[2] وهو من أشعر الناس . ومن جيد شعره :

عجبى !

أما والذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى أمره الأمر
لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يَرُوعُهما الزّجر
فيا حبَّها زِدْنى جَوًى كلَّ ليلةٍ ويا سَلْوةَ الأيامِ موعدُك الحَشْرُ[3]
ويا هجرَ ليلى قد بلغتَ بِىَ المدى وزدتَ علىّ مالم يَكُنْ صنَعَ الهجرُ

(١) الغُصّة : ما يعترض الحلق ، والشجا : ما ينشب فى الحلق من عظم وغيره .

(٢) كان شاعرا مجيداً من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكان فصيحا يجيد القصيد والرجز .
وكان مع هذا أهوج جبانا بخيلا كذابا . عرف بذلك أجمع . وكان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشبة فرق .

(٣) الجَوَى : الحُرقة وشدة الوجد .

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكنَ الدهرُ[1]

وأنشد الجعد بن عقبة الجرمى لمجنون بنى عامر حيث يقول :

فيارب حببنى إليها !

دعوتُ إله الناسِ عِشرين حَجَّةً ... نهارًا وليلًا فى الجميع وخاليا

لكى تُبتلى ليلى بمثلِ بَلِيّتى ... فتعلم حالى أو تَرِقَّ لما بيا

فلم يستجب لىَ اللهُ فيها ولم يُفق ... هوایَ ولكن زيد حُبّ برانيا[2]

فيارب حببنى إليها أو اشفنى ... بها أو أُرِحْ مما يقاسى فؤاديا

ومن شعره أنشد ابن الأعرابى :

هوى وإياس :

يقولون عن ليلى غنيتُ وإنما ... بى اليأس عن ليلى وليس بى الصبر[3]

فياحبذا ليلى إذا الدهر صالح ... وسَقيًا لليلى بعدما فسد الدهر[4]

فإنى لأهواهـــا وإنى لآيسٌ ... هَوًى وإياسٌ كيف ضَمَّهما صدرى؟

وله أيضا :

دار ليلى :

أَمُرُّ مجانبًا عن دارِ لَيْلَى ... أَلُمُّ بها وفى قلبى غليلُ

وقلبى عند ساكنها فهل لى ... إلى قلبى وساكنها سبيل

فلو أن الطلولَ أجبن صَبًّا ... لرحمته أجابتنى الطُلُـول[5]

وله أيضا :

أعين الإنس :

وجاءوا إليه بالتعاويذ والرّقى ... وصبّوا عليه الماءَ من ألم النُكْسِ[6]

(١) السعى بالوقيعة والوشاية لإفساد العلاقة بينهما .

(٢) براه : أنحل جسمه ، ونال منه .

(٣) غنيت : استغنيت ولم تعد بى حاجة إليها .

(٤) الدعاء بالسُقيا للمحبوب ودياره مما جرى على ألسنة العرب القدامى فقد كان الماء أغلى شىء عندهم وأعز مأمول . وهو لون من الترحم .

(٥) الطُلول : جمع طلل ، وهو ما بقى من آثار الديار .. ديار المحبين التى شهدت مولد الحب ورعته ناشئا .

(٦) النُكْس : بالضم ـــ عود المرض بعد النَقَهِ . ويقال فى الدعاء : تَعْسًا له ونُكْسًا .

وقالوا : به من أعين الجن لحظة ... ولو عَقَلُوا قالوا : به أعين الإنس

وله أيضا :

أنت أخو ليلى ؟!

أيا شبهَ ليلى ، إن ليلى مريضةٌ ... وأنت صحيحٌ إن ذا لمحال !
أقول لظبي مرّ بى فى مفازَةٍ : ... لأنت أخو ليلى . فقال : يقال
وان لم تكن ليلى غزالًا بعينِها ... فقد أشبهتها ظبيةٌ وغزالُ

ومن مشهور شعره :

إنى لا أتوب عن هوى ليلى !

ذكرتكِ والحجيجُ له ضجيجُ ... ببكةَ والقلوبُ لها وجيبُ[1]
فقلتُ ونحن فى بلد حرام ... به لله أخلصت القلوبُ
أتوب إليكَ يا رحمنُ ؛ إنى ... أسأتُ وقد تضاعَفت الذنوبُ
وأما عن هوى ليلى — وحسبى ... زيارتُها — فإنى لا أتوب !!

٣ — سعدون

قال عطاء السلمى : احتبس عنا القطر بالبصرة ، فخرجنا نستقى ، فإذا بسعدون المجنون ، فلما أبصرنى قال : يا عطاء ، إلى أين ؟ قلت : خرجنا نَسْتَقِى ؛ فقال: بقلوب سماوِيّة أم بقلوب خاوية ؟ قلت : بقلوب سماوية ! فقال : لا تبهرج[2] ، فإن الناقدَ بصير . قلت : ما هو إلا ما حكيت لك ، فاستسق لنا[3] فرفع رأسَه إلى السماء وقال: أقسمت عليك إلا سقيَتنا الغيثَ !. ثم أنشأ يقول[4] :

أيا مَنْ كلَّما نُودِى أجابَا ... ومن بجلاله يُنْشِى السحابا
ويا من كلّم الصدّيقَ موسى ... كلامًا ثم ألهمه الصّوابا

(١) بكة : مكة . والوجيب . الاضطراب ، والخفقان .
(٢) أى قل الواقع وكن صادقا . والبهرج: الباطل والردىء من الشىء .
(٣) اطلب من الله أن يسقينا.. وهناك صلاة مخصوصة للاستسقاء تتضمن دعاء إلى الله بالسقيا ونجد ذلك فى كتب الفقه .
(٤) يقول ابن الجوزى : كان سعدون من عقلاء المجانين وحكمائهم ، وله أخبار ملاح ، ونظم ونثر يستحسن ، وأخباره مدونة ، وكانت وفاته سنة ١٩٠ هـ .

ويا من ردّ يوسفَ بعد ضُرٍّ — على من كان ينتحبُ انتِحابا
ويا من خصّ أحمد باصْطفاءٍ — وأعطاه الرسالة والكتاب

قال : فأرخت السماء سحائب كأفواه القرب .

قلت : زدنى قال : «ليس ذا الكيل من ذاك البيدر»[1] ثم قال :

سبحان من لم تزل له حُجَجٌ — قامت على خلقِه بمعرفتِه
قد علموا أنّ مليكَهُم — يعجِزُ وصفُ الأنام عَنْ صِفَتِه[2]

أما لك مثلها ؟!

قال عطاء : ورأيت سعدون يتفلى ذات يوم فى الشمس ؛ فانكشفت عورتهُ فقلت له : استرها أخا الجهل ! فقال : أما لك مثلها ؟ واستتر !

من الجاهل ؟

ثم مَرّ بى يوما وأن آكل رمانا فى السوق ، ففرك أذنى وقال : من الجاهل ، أنا أو أنت ؟

ثم قال :

أرى كلّ إنسان يرى عيبَ غيرِهِ — ويَعْمَى عن العيبِ الذى هو فيه
وما خَيْرُ مَن تخفَى عليه عُيوبُه — ويبدو له العيبُ الذى لأخيه
وكيف أرى عيبا وعيبى ظاهر — وما يعرف السوءاتِ غيرُ سفيه

ماذا كتب سعدون المجنون على جدار قصر خرب ؟

قال عبد الله بن سويد :رأيت «سعدون المجنون» وبيده فحْمَةٌ ، وهو يكتب بها على جدار قصر خراب :

يا خاطبَ الدنيا إلى نفسِه — إن لها من كلِّ يومٍ خليل
ما أقبحَ الدنيا لِخُطّابِها — تقتلهم عمدًا قتيلًا قتيلْ

(١) البيْدر : الجرين . والموضع الذى يداسُ فيه الطعام بوزن خيبر .
(٢) الأنام : الخلق .

تَسْتَنكِحُ البعلَ ، وقد وطنت   فى موضعٍ آخر منه البديلْ[1]
إلى أعيشُ وأيْدِى البِلىٰ   تعملُ فى نفسى قليلًا قليلْ
تزَوّدُوا للموتِ زادًا فقد   نادى مناديه الرحيلَ الرحيلْ

من دعائه :

قال خالد بن منصور القُشَيْرىّ : قدم علينا «سعدون المجنون» فسمعته ليلة من الليالى يقول فى دعائه : لك خشعت قلوب العارفين ! وإليك طمحت آمال الراجين !.

ثم أنشأ يقول :

وكن لربك ذا حُبٍّ لتخدُمَه   إن المحبّين للأحبابِ خُدّامُ

رأيه فى السلام :

قال إسماعيل بن عطاء العطار : مررت بسعدون فلم أُسَلّم عليه ، فنظر إلىّ ثم قال :

ياذا الذى ترك السلامَ تعمُّدًا   ليس السلام بضائرٍ من سَلّما[2]
إن السلامَ تحيةٌ مَبْرورَةٌ   ليست تُحَمّل قائلا أن يأثَما[3]

وصف المِلاح !

قال ثابت بن عبد الله :أنشدنى «سعدون المجنون» أبياتا فى الوصف :

تفهم يا أخى وصفَ المِلاح   وقد ركبوا النجائبَ فى الوِشاحْ[4]
من الحورِ الحسانِ مُنعّمات   تفوق وجوهها ضوءَ الصباحْ
بَراهُنّ المهَيمِنُ من عَبيرٍ   وشـرّفَهُنّ حقّاً بالْفَلاحْ
فها أنا واصف منهن حُورًا   منعمـةً مذللـةً رَدَاحْ[5]

(١) البعل : الزوج . تتودد إلى إنسان ، وتقبل عليه بينا تتخلى عنه إلى غيره بدلاً منه .. إنها خداعة غدارة !
(٢) ضائر : مضر .
(٣) مبرورة : مقبولة لها ثوابها .
(٤) النجائب : جمع نجيبة . كرام الإبل . والوشاح : ما تتشح به المرأة . نسيج من جلد عريض مرصع بالجواهر وتشده بين عاتقها وكشحها .
(٥) الرّداح : ضخمة الردف سمينة الأوراك .

بشعر فاحم رَجْلٍ أنيقٍ	وطرفٍ سحرُه للقلبِ لاخْ[1]
وصدغ فوق سالفة[2] بمسكٍ	كمشق التّونِ فى رقٍّ مباخْ[3]
إذا خطرت تحيّر كلّ حسنٍ	وإن مرحت فأهلّ للمراخْ
تقول إذا أتت نحو العذارى	ألا ياخَوْدُ ، هل حُبى بصاخْ؟[4]
فقد نغّصن للذاتى جميعًـا	وأعدمنى هواها شربَ راخْ

متى يكون القلب أميرا ؟

قال الفتح بن سالم :كان سعدون سياحا لَهِجًا بالقول ، فرأيته يوما بالفُسطاط قائما على حَلقةِ ذى النون وهو يقول : ياذا النون ، متى يكون القلب أميرا بعد أن كان أسيرا ؟!.

قال ذو النون :

إذا اطّلَع الخبيرُ على الضّميرِ	**ولم يَرَ فى الضميرِ سِوَى الخبير**

قال:فصرخ سعدون ، وخرّ مغشيًا عليه ، ثم أفاق ؛ فقال :

ولا خيرَ فى شَكْوَى إلى غيرِ مُشْتَكًى	**ولابُدّ من شَكْوى إذا لم يكنْ صَبْرُ**

ثم قال : أستغفر الله : ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .

ثم قال : يا أبا الفيض ، إن من القلوب قلوبًا تستغفر الله قبل أن تُذْنب . قال : نعم،تلك قلوب نبتت قبل أن تطيع . أولئك قوم أشرقت قلوبهم بضياءِ رُوحِ اليقن . ثم قال :

أوحى الله تعالى إلى نبى من الأنبياء : (**كن لى بكُلّيتك أكن لك ، وقل للمطيعين : إن لم تطيعونى فلا تقربوا منى**) .

---

(١) شعر رجَل بفتح الجيم وكسر ليس بشديد الجعودة ، ولا سبطاً .

(٢) السالفة : ناحية مقدم العنق من لَدُن معلق القرط إلى قَلْت (النقرة) الترقوة .

(٣) المشق : الكتابة . والرَّق : بالفتح جلد رقيق يكتب عليه . ومنه قوله تعالى : ﴿فى رَقٍّ منشور﴾ [الطور : ٣] والعرب كانوا يشبهون السوالف بالحروف الهجائية كالنون .

وقد اشتهرت عندهم واوات الأصداغ على خدود الملاح .

(٤) الخَوْد : المرأة الشابة .

النبيذ والماء !

وكان ابن أبي أوفى يقول: قعدنا في جزيرة من الجزائر نتشارب المِزْر[1] وفينا شيخ يغني ويقول :

أما النبيذ فلا يذعرك شاربه ... واحفظ ثيابك ممن شربُه الماء

وإذا رجل يهتف : كذبت يا شيخ !

أما النبيذ فقد يزرى بصاحبه ... ولا أرى شارباً يزرى به الماء

فالْتَفَتْنا فإذا «سعدون المجنون» .

قال عطاء التيمي كنت أبني فأشرفت من بعض الجدران فإذا سعدون يكتب بقطعة فحم على جدار :

ماحال من سكن الثّرى ماحَالُه؟ ... أمسى وقد رثّتْ هناك حِبالُه[2]
أمسى ولا رُوحُ الحياةِ يُصيبُه ... أبداً ولا لطفُ الحبيبِ ينَالُه
أمسى وقد درست بمحاسنُ وجهِهِ ... وتفرقت في قبره أوصالُه[3]
واستبدلت منه المحاسنُ غُبْرةً ... وتقسمت من بعده أموالُه[4]
مازالت الأيام تلعب بالفتى ... والمال يذهب صفوه وجلاله

ذو النون المصري وسعدون :

قال ذو النون المِصري: رأيت سعدون في مقابر البصرة ، وهو يناجي ربه ويقول بصوت عالٍ : أحدٌ أحد ! فسلمت عليه ، فرد عليّ ، فقلت : بحق من تناجيه ألا وقفت ! فوقف ، ثم قال : قُلْ : قلت : أَوْصِني بوصية أحفظها عنك ، أو تدعوَ

---

(١) من الأشربة : المِزر : قال ابن عمر رضى الله عنهما : هو من الذُّرة (انظر مسلم) : الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر رقم ١٧٣٣ .

والمِزْر : نبيذ الشعير أو الحنطة . والنبيذ : ما ينبذ أي يترك حتى يشتد .

(٢) الثرى : التراب المبلل بالندى . ورثّت حباله : بليت وتقطعت الصلات بينه وبين دنيا الناس .

(٣) درست : تغيرت ملامحه وذهبت معالم وجهه ، والأوصال جمع وصل : المفصل أو مجتمع العظام .

(٤) الغُبرة : لون الأغبر ، وهو شبيه بالغبار .

بدعوة فأنشأ يقول :

يا طالبَ العلمِ من هنا وهنا ... ومعدنُ العلمِ بينَ جَنْبَيْكا[1]
إن كنتَ تبغى الجِنانَ تسكنُها ... فأَسْبِل الدمعَ فوق خَدَّيْكا[2]
وقم إذا قام كلُّ مجتهد ... وادعُه كى يقولَ لَبَّيْكَا[3]

ثم مضى وهو يقول : يا غياثَ المستغيثين ، فقلت له: ارفق بنفسك ؛ فلعله ينظر إليك برحمته. فنزع يده من يدى وهو يقول :

سلام على طيب المقام سلامُ ... فليس لعين المستهام مَنامُ[4]
ولو ترك الإغماضَ يوما لجَفْنِه ... لأيقظـــه مِمَّا يجن ضرام[5]

ثم مضى وتركنى .

يا فاطر الأشباح والأرواح !

قال رباح القيسى : سمعت مالك بن دينار[6] يقول : أصاب الناسَ بالبصرة قحط شديد فخرجنا نستقى[7] فإذا أنا بسعدون فى بعض الخرابات ، فقلت له : بالذى خلقَك استسق لنا ، فرفع رأسَه إلى السماء وقال : يا فاطرَ الأشباحِ[8] والأرواح ومُنْشِىءَ السحابِ والرِّياح ، وفالق الإصباح ، بحق ما جرى البارحةَ أن ترحم عبادَك وبلادَك ولا تُهتِك بلادَك بذنوب عبادِك . قال فما استتم كلامه حتى أرخت السماء

---

(١) معدن الشيء : أصله وحقيقته .

(٢) أسبل الدمع : سَحّه وأذرفه وأسِلْه .

(٣) كى يجيبك إجابة بعد إجابة ..

(٤) المستهام : المحب الهائم .

(٥) مما يجن : مما يستر . والضِّرام : اشتعال النار ويقصد نار المحبة .

(٦) مالك بن دينار البصرى أبو يحيى ، من رواة الحديث كان ورعا يأكل من كسب يده ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفى ــ رحمه الله ــ بالبصرة سنة (١٣١ هـ) .

(٧) نطلب من الله بالدعاء إليه أن يسقينا وينزل علينا المطر مدرارًا .

(٨) فاطر : الفَطْر الابتداء والاختراع . قال ابن عباس ــ رضى الله عنه : كنت لا أدرى ما فاطر السموٰات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها . أى ابتدأتها .
والأشباح : الأجساد ، مايقابل الأرواح .

غرابيلها[1]، وجادت بوابلها ، فخرج يخوض الماء ، وهو يقول :

قل لدنياى ابعدى وتولى ... إن تريني فإننى لا أراك
وصِلِى وامْلكى ودَادَ سوائى ... إننى مُغرَمٌ بحبٌ سِواكِ
إن تكونى أسرتِ بالذنبِ قوما ... فاذهبى أنتِ لستُ من أسراكِ

لو كانت قلوبُكُم سماوية لسُقِيتُم !!

قال محمد بن الصباح: خرجنا بالبصرة نستقى فلما أصحرنا ، إذا بسعدون يفلى جُبّة صوف له ، فلما رآنا قام ، وقال : إلى أين ؟ قلنا: نستسقى المطر ، فقال: بقلوب سماوية ، أو بقلوب خالية ؟ فقلنا بقلوب سماوية . فقال : اجلسوا ههُنا فجلسنا حتى ارتفع النهار ، والسماء لا تزداد إلا صحوًا فقال : يا بطّالين ، لو كانت قلوبكم سماوية لسُقيتُم ، ثم توضأ وصلّى ركعتين ، ولحظَ السماءَ بطرفه ، وتكلمَ بكلامٍ لم نسمعه فما استتم كلامَه حتى أرعدت وأبرقت وأمطرت مطرًا جوادا ، فسألنا عن الكلام الذى تكلم به فقال : إليكم عنى ، إنما هى قلوب حنّت فرنّت ، فعاينت ، فعلمت وعلى ربها توكلت . وأنشأ يقول :

اعرض عنِ الفخرِ والتّمادِى ... وارْحَلْ إلى سيّدٍ جوادِ
ما العيش إلا جوارَ قومٍ ... قد شربوا صافى الوِداد

من اسمه فى السماء عبد مراءٍ ؟!!

قال: ورأيت مكتوبا على جُبّته :

يا ذنوبى ، عليكِ طالَ بُكائى ... صِرْتِ لى مأتمًا فَقَلَّ عَزائى
فى كتابى عجائبٌ مثبتاتٌ ... ليتنى ما لقيتُها فى بَقائى
نظرُ العينِ قادنى للخطايا ... إذْ أذنت اللحوظ للأهواء
تاليا للقرآن يتلو المعاصى ... اسمه فى السماء عبدٌ مرائى

---

(١) أرْخَتْ غرابيلها : كناية عن كثرة نزول المطر .
والوابل : المطر الشديد ، وفى التنزيل : ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ .

قال ذو النون المصرى[1]: خرجت بُكرة إلى مقابر عبد الله بن مالك ، فإذا أنا بشخص مقنّع[2] ، فلما رأى قبرًا منخسفًا[3] وقف عليه ، فقصدته فإذا هو «سعدون» فقلت : سعدون ؟ فقال : سعدون . فقلت : ما تصنع هٰهنا ؟ فقال : إنما يَسْأَل عما أصنع من أنكر ما أصنع ، وأما من عرف ما أصنع فما معنى سؤاله ؟ فقلت : يا سعدون ، تعالَ نبكى على هذه الأبدان قبل أن تبلى ! فتأوه ثم قال : البكاء على القدوم على الله أولى بنا من البُكاء على الأبدان ، فإن يكن عندها شر ، فشرها عند ربها ، من أبلاها فى القبور فسوف يبعثها للعرض والنشور .

ياذا النون ، إنك إن تدخل النار فلا ينفعك دخول غيرك فى الجنة ، وإن تدخل الجنة لا يضرك دخول غيرك النار ! ثم قال: ياذا النون : ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾[4] . ثم صاح واغَوثاه ! بالله ماذا يقابلنى فى الصحف ؟ قال : فغشى علىَّ فلما أفقت ، إذا هو يمسح وجهى بكُمّه ويقول : ياذا النون ، من أشرف منك إن مت مكانك هذا ؟!

مكتوب على قميصه :

قال محمد بن الصباح : قرأت على قميص سعدون :

عين ابكى علىّ قبل انطلاق بدموع منها تسيل المآقى
واندبى مصرعى فقد مضّنى الشو .... قُ ، ونُوحى علىّ قبل الفراق[5]

عـلام يبـكى ؟!

قال مالكُ بن دينار : دخلت جبّانةَ البَصرة ، فإذا أنا بسعدون ، فقلت له : كيف

---

(١) ذو النون (أبو الفيض ثوبان المصرى) (ت ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩م) صوفى من الكبار ، نوبى الأصل ، ولد فى أخميم (الصعيد) وحج إلى مكة ، وقصد الشام ، سجن فى بغداد ، ثم أطلق المتوكل سراحه ، توفى فى الجيزة . وكان ذا فصاحة وحكمة .

(٢) تقّنع : تغشّى بثوب . والمقّنع : المغَشّى بثوبٍ ، وكذلك الذى عليه بَيْضَة من حديد . والمراد هنا المعنى الأول .

(٣) منخسفا : غائرا . مفتوحا .

(٤) ١٠/ التكوير .

(٥) مضّنى الشوق : أوجعنى : يقال : أمضه الجرح : أوجعه ومَضّه : لغة فيه. والكحل يمض العين : أى يحرقها .

حالك ؟ وكيف أنت ؟ فقال : يا مالك ، كيف يكون حال من أمسى وأصبح ، يريد سفرًا بعيدًا بلا أهبة ولا زاد ، ويقدم على ربٍّ عدلٍ ؟! ثم بكى بكاء شديدا ؛ قلت : ما يبكيك ؟ قال : والله ما أبكى حرصًا على الدنيا ، ولا جزعًا من الموتِ ؛ لكنى بكيت ليوم مضَى من عمرِى لم يَحْسُن فيه عملى . أبكانى — والله — قلةُ الزاد ، وبعد المفازة ، والعقبة الكئود ، ولا أرى بعد ذلك أصير إلى الجنة أو النار ؟ .

فسمعت منه كلام حكيم ، فقلت له : إن الناس يزعمون أنك مجنون ! فقال : وأنت قد اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا . زعم الناس أننى مجنون وما بى جِنّة ، ولكن حبُّ مولاى قد خالط قلبى وأحشائى ، وجرى بين لحمى ، ودمى ، وعظمى ، فأنا — والله — من حُبّه هائم مشغوف .

قلت : فلمَ لا تجالس الناس وتخالطهم ؟ فأنشد الأبيات المشهورة :

خذ عن الناس جانبا كى يظنوك راهبا

وأنشد أيضا :

ولو لم يكن شيئا سوى الموتِ والبِلى وتفريق أعضاءٍ ولحمٍ مُبَدَّدِ
لكنتَ حقيقا يا بنَ أدمَ بالبُكا على نائباتِ الدهرِ مع كل مُسْعِدِ[1]

سعدون وهارون الرشيد :

قال عبد الله بن خالد الطّوسِىّ : لما خرج هارون الرشيد[2] إلى مكة ، فُرش له

---

(١) حقيقا بالبكاء : أهلا له وجديرًا به ، ومع كل مُسْعِدٍ : مع كل ما يساعدك عليه من التفكير فى المصير والخوف من عذاب السعير إلى غير ذلك .

(٢) هارون الرشيد: الخليفة العباس (١٧٠ — ١٩٣هـ/ ٧٨٦ — ٨٠٩م) ابن المهدى والخيزران . ولد بالرى ، وتوفى بسناباذ من قرى طوس (إيران) . جاء إلى العرش بعد اغتيال أخيه الهادى . ولعب البرامكة دورا هاما قبل أن يوقع بهم .

وجاء فى كتاب الذّيْل الأول لكتاب «ثمرات الأوراق» لابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧هـ قصة طويلة تحت عنوان : لماذا حج الرشيد ماشيا ؟!

ذكر فيها أن سبب ذلك أن أخاه موسى الهادى كانت له جارية تسمى «غادِر» وكانت أحْظى النّاس عنده ، وكانت من أحسن الناس وجها وغناء ، فبينما هى تغنى يوما وهو مع جلسائه إذ عرض له سهو وفكر ، فتغير له ، وقطع ما هو فيه . فقال الجلساء : ما شأنك يا أمير المؤمنين ؟ فأجاب : قد وقع فى قلبى أن جاريتى غادر يتزوجها=

من جَون العراق[١] إلى مكة لبد مَرْعَزِىّ[٢] ، وكان حلف الحج راجلاً[٣] ، فاستند يوما إلى ميل[٤] وقد تعب ، فإذا « سعدون » قد عارضه[٥] وهو يقول :

هبِ الدّنيا تُواتِيكاَ ... أليس الموت يأتيكَا ؟!
فما تصنع بالدنيا ... وظل الليل يكفيكَا
ألا يا طالبَ الدّنيا ... دع الدنيا لشانيكَا[٦]
فما أضحكك الدهرُ ... كذاك الدهرّ يبكيكا

فشهق الرشيد شهقة فخرّ مَغْشِيًّا عليه ، ثم أفاق بعد أن فاته ثلاثُ صلواتٍ !

ذو النون وسعدون :

قال ذو النون : بينا أنا فى أزقّة مِصر إذا أنا بسعدون المجنون وعليه جُبَّة صوفٍ جديدة ، مكتوب عليها خطوط ـ قد أدخل رأسه فيها ـ فسلّمت عليه ، فردّ السلام . فقلت : قف يا أبا سعيد حتى أنظر ما على جبتك ، فوقف فقرأت على كمه الأيمن سطرين :

عصيت مولاك يا سعيدُ
ما هكذا تفعل العبيد !!

وعلى كمه الأيسر سطرين :

تبًّا لمن قوتُه رغيفٌ ... يأتى به السيِّدُ اللّطيفُ[٧]

= أخى هارون الرشيد بعدى !!
ثم لما تمكن هذا الخاطر مِن نفسه أخذ المواثيق على أخيه ، ولكن لم يلبث الهادى إلا شهرا ثم مات .
فلما أفضت الخلافة إليه أرسل إلى الجارية يخطبها .. وتزوجها وحج ماشيا ليكفر عن يمينه وشغف بها أكثر من أخيه ..
ولكن أخاه أتاها فى المنام فذكرها بما كان من خلف الوعد فظلت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة !! وقد ذكر السيوطى هذه القصة فى كتابه فاكهة الصيف وأنيس الضيف من إصدارنا .

(١) جَوْن العراق : سواده .
(٢) لبد مرعزى : جلد ماعز .
(٣) ماشيا .
(٤) ميل : منار يبنى للمسافر فى الطريق يهتدى به ويدل عليه .
(٥) عارضه : سار حياله ، وماشاه . وأخذ فى عروض من الطريق ناحية . وهو المراد هنا .
(٦) الشانى : الكاره .
(٧) تبًّا : هلاكا .

يعصى إلهًا له جَلالٌ وهُوَ بِهِ راحمٌ رءوف

ومن خلفه سطران :

كل يوم يمر يأخذُ بعضى يَذْهَبُ الأطيبان مِنّى ويَمضى[1]
نفسُ كُفّى عن المعاصِى وتُوبِى ما المعاصى على العباد بفرضٍ[2]

ومن بين يديه سطران :

أيها الشامخُ الذى لا يُرام نحنُ من طينةَ عليك السلام
إنما هذه الحيـاةُ متاعٌ ومع الموتِ يستوى الإقدام

وعلى عكازه مكتوب :

اعملْ وأنت من الدنيا على وجَلٍ واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدّمت من عملٍ مُحْصًى عليك وما خلّفت مَوْرُوثُ

قال :فقلت له : أنت حكيم ، ولست بمجنونٍ . قال : أنا مجنون الجوارِح ولستُ بمجنون القَلْب ثم ولى هاربا !

قلوب العارفين :

قال ذو النون : بينا أنا أطوف ذات ليلة حول البيت وقد هدأت العيون إذا أنا بشخص قد حاذى البيت وهو يقول : « ربِّ عبدُك المسكين الطريد الشريد من بين خلقك أسألك من الأمور أقربها إليك ، وأسألك بأصفيائك الكرام من الأنبياء إلا سقيتنى كأسَ مَحَبَّتك ، وكشفتَ عن قلبى أغطية الجهل ؛ حتى أرقى بأجنحة الشوق إليك فأناجيك ، فى أركان الحقّ بين رياض بهائك » . ثم بكى حتى سمعت وقع دموعه على الحصى . ثم ضحك وانصرف . فتبعته ، وقلت فى نفسى : أنا عارف أو مخذول ؟! حتى خرج من المسجد ، فأخذ خرابات مكة ، فالتفتَ إلىّ وقال : مَالك ، ارجع . أمالك شغل ؟ قلت : ما اسمك ـــ رحمك الله ـــ؟ قال : عبد الله .

(١) الأطيبان ـــ كما جاء فى المعجم الوسيط ـــ مثنى الأطيب : الأكل والنكاح ، أو النوم والنكاح ، أو الشحم والشباب .

وقصة أطيب شيئين فى الجسم ، وأخبث شيئين فيه أيضا : (القلب واللسان) مشهورة معروفة ، فلا شئ أطيب منهما إذا طابا ، ولا شىء أخبث منهما إذا خبثا .

(٢) نفسُ : منادى حذفت منه أداة النداء : يا .

قلت : ابن من أنت ؟ قال : ابن عبد الله . قلت : قد علمت أن الخلق كلهم عبيد الله ، وبنو عبيد الله : فما اسمك ؟ قال : سمانى أبى «سعدون» . قلت : المعروف بالمجنون ؟ قال : نعم .

قلت : فمن القوم الذين سألت الله بهم ؟ قال : أولئك قوم ساروا إلى الله سير من قد نصب المحبة بين عينيه ، وتخوف تخوُّف من أخذت الزبانية بقلبه ، ثم التفت إلىّ فقال : ذا النون ؟! قلت : نعم . قال : ياذا النون ، بلغنى أنك تقول ؛ فقل لى شيئا أسمع فى أسباب المعرفة . فقلت : أنت الذى يُقْتَبس من علمك !. فقال : حق السائل الجواب .

ثم أنشأ يقول :

قلوبُ العارفين تَحِنّ حتى	تحلُّ بقربِه فى كل راح
صفت فى ود مولاها فما آن	لها من وُدّه أَبدًا بَراح[1]

سعدون عندما كان يشتد به الجوع :

قال موسى بن يحيى: كان «سعدون» إذا اشتد به الجوع يرمى بطرفه إلى السماء ويقول :

أتتركني وقد آليت حلفا	بأنك لا تُضَيّع من خلقْتَا
وأنك ضامن فى الرزق حتى	تؤدى ما ضمنت وما قسمتا
وإنى واثق بك يا إلهى	ولكن القلوب كما علمتا !

مُذْ عرفت الله ما فقدته :

قال عيسى بن على: رأيت «سعدون» ذات يوم والصبيان يؤذونه ، فطردت عنه الصبيان ، فقال بعض الصبيان : هو يزعم أنه يرى ربه ، فقلت له : أما تسمع ما يقول الصبيان ؟ قال : وما هو ؟ قلت : يقولون إنك ترى الله عز وجل . فقال : ياأخى ، مذ عرفت الله مافقدته . ثم أنشأ يقول :

زعم الناس أننى مجنون !	كيف أسلو ولى فؤاد مصون ؟!

(١) براح : زوال . أى لا تنفك ولا تبرح عن التنعم بهذا الود إلى غيره !

عَلِق القلبُ بالبُكا فى الدّياجى وهـو باللهِ مُغرم محزون !

قال: وقرأت على فروة له :

نغّص الموتُ ريحُه كلّ طِيبِ ودَهانى بفقدِ كُلِّ حبيبِ
ولكم إذ رأيت من حَدَثِ السّن غَريرًا كغصن بانٍ رطيبِ
أحَسَّ بالموت فانثنى بانكسارٍ واضعًا خدَّه بِذُلٍّ عجيبِ
قائلا : إخوتى سلام عليكم آذنت شمس مدتى بالمغيب

قم يا حبيبى قد دنا الموعد !

قال مالك بن دينار : كنت حاجا فغلبتنى عيناى ، فرقدت عند الكعبة ، فوقف «سعدون» على رأسى ، فقال :

يأيها الراقـــدُ كم تَرقُــــد قم يا حبيبى قد دنا الموعدُ
وخذ من الليـل وساعاتِـه فازْدَدْ إذا ما سجدَ السُّجَّد !

رسالة إلى المتوكل :

كتب «سعدون» المجنون إلى جعفر المتوكل[1] : يا أخى . أما بعد فإنك قد طمعت بالحياة ، ونسيت تراصُـف الأقدام[2] ، وتطاير الصحف ، فى الشمائل والإيمان ، فاذكر حسراتك عند انكشاف الغِطاء ، واقرأ : ﴿**فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**﴾[3] .

وأخرى إلى المأمون :

عطية بن إسماعيل الموكل على زمام المأمون[4] قال : كتب «سعدون» إلى المأمون وقد بنى قصرا :

---

(١) المتوكل: جعفر بن المعتصم كما جاء فى تاريخ أبى الفدا هو عاشر خلفاء بنى العباس . بويع بالخلافة يوم مات الواثق . وكان عمر المتوكل لما بويع ستا وعشرين سنة

(٢) تراصف الأقدام: اصطفافها وتضامها .

(٣) المؤمنون : ١٠١ .

(٤) المأمون : عبد الله بن هارون الرشيد (١٧٠ ـــ ٢١٨ هـ/ ٧٨٦ ـــ ٨٣٣م) : الخليفة العباسى. أمه جارية فارسية . عهد إليه أبوه بالقسم الشرق من الامبراطورية . احتل بغداد وقتل الأمين . قضى على الخوارج فى خراسان . عنى بالثقافة والأدب والفلسفة والعلوم فأنشأ «بيت الحكمة» ازدهرت فى عهده الترجمة . توفى بالقرب من طرسوس .

يامن بنى القصر فى الدنيا وشيّده ... أسّست قصرك حيث السّيلُ والغرق
لو كنت تغنى بذخر أنت ذاخره ... أسَّستَه حيث لا سُوسٌ ولا حَرَق !!
والموت مصطبح منكم ومغتبق[1] ... فاحْتَلْ لنفسِك قبل الوِرد يا حَمَق[2]
واذكر ثمودًا وعادًا أين أنفُسهم ... فلو بقى أحدٌ من بعدهم لبَقُوا

ثم كتب عنوان الكتاب : ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾[3]

إلى والٍ ظالم :

عطاء بن سعيد قال: كتب سعدون إلى والينا : وكان قد آذانا .

أما بعد . يا هذا ، فإنك إن لم تستَحِ من نفسِك فاستحِ من ربك . لا يغرّك بسطُه عليك ، فإنه إن عاقبك أهلكك وهتكك» ثم كتب عنوانه: ﴿إن السمعَ والبصرَ والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا[4]﴾

إلى بعض الخلفاء :

عبد الله بن سهل : قال : كتب سعدون إلى بعض الخلفاء : أما بعد : فإن الله تعالى أخذ على السموات والأرضِ والجبال عهدًا فأودعه إيآهن . فأما السموات فتناثر أنجمها ، وانطمس شمسها ، واضمحل قمرها ، وتراصَّت أقدام سكانها ، وارتعدت أكنافها[5].

وأما الأرض فانزوى أطرافها واكدودر ماؤها وتناثر أوراق شجرها وأغصانها وثمارها .

وأما الجبال فتجلمد شوامخها ، وسالت أوديتها ارتعادًا وانتفاضًا من شدة الأمانة التي كلفتها ! وأنت فى ضعف حياتك ، وبلادة خواطرك وعجزك مذ كلفت الأمانة ، فما تحرك عليك عضو ، ولا يُذْعر منك مفصل . قد ركبت مجانب

---

(١) الصَّبُوح : الشرب بالغداةِ ، وهو ضدّ الغبوق. وصبحه فهو مصطبح. والمراد أن الموت يصبحهم ويمسيهم .

(٢) الوِرْد : الورود .

(٣) الإخلاص : (٣ – ٤) .

(٤) الإسراء : ٣٦ .

(٥) جمع كَتَف : جوانبها ونواحيها .

مخادعك ، وجعلت الدنيا نزهة بطالتك ، فانتبه من رَقدة الوسَن ، قبل أن يكشفك الحزَن . والسلام .

من رسائل سعدون إلى بعض إخوانه

قال عبد الصمد بن إسرائيل :

كتب سعدون إلى بعض إخوانه :

«أما بعد .. يا أخى ، جعلنا الله وإياك من الذين غاصوا فى بحار الشوق ، فاستخرجوا صدَف اللطف ، فسقط عنهم الأذى والأسف» ثم كتب عنوانه : «مَن بُعثَ راح ، ومن راح استراح» .

رسالة ثانية :

قال نصر بن خالد : كتب سعدون إلى بعض إخوانه :

«أما بعد .. ياأخى جعل الله قلبكَ سَماويًّا مُعَلّقا بجلال مودّته حتى تنصَبّ إليك ينابيعُ الدلائل ؛ فتسموَ إليه بمواريث الطاعة» . ثم كتب عنوانه : «ميراث صفاء القلوب ، ودوام الشبع يميت القلوب» .

رسالة ثالثة :

وديعة الواسطى قال: كتب سعدون إلى بعض إخوانه :

أما بعد .. فارحل قبل أن يرحَل بك وتزَوّد قبلَ المسيرِ إلى ربّك فإنك تريد قطعَ مفاوزَ لا يقطعها البطّالون . قطع الله عنك الطمعَ ، وجعلك ممن وصف فى كتابه ﴿لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾[1] .

رسالة رابعة :

سعيد بن أبى عبيد الله الآجرى قال : كتب سعدون إلى بعض إخوانه :

«أما بعد .. فقد بلغنى أنك تركت الآخرة وأقبلت على الدنيا . وإذا كان العبد من الله على كفاية، ومال إلى الدنيا سلبه الله جلّ جلالُه حلاوةَ الطاعة عنه فيظل حيران فيُقبل بعد ذلك عليه ، فيقول : عبدى ارجع إلى ما كنت عليه » .

رسالة خامسة :

إسماعيل بن عبد الله قال : كتب سعدون إلى بعض إخوانه :

(١) الحِجْر : ٤٨ .

«أما بعد .. من استعمل مِعْول الفهم قوى على حفر خنادق الكَدّ . ومن أتى جُبّ المعرفة استسقى بدلو الجد ، ومن نظر فى مرآة الفكر سقطت عنه لذة الكَرى» .

ثم أنشأ يقول:

ومن الناس من يعيشُ شَقِيًّا   جاهلَ القلب غافلَ اليقظة
فإذا كان ذا وفاءٍ ورأيٍ   حفظ الوقتَ واتقى الحفظه
إنما الناسُ راحلٌ ومُقيم   فالذى بانَ للمقيمِ عِظه

رسالة سادسة :

عبد الله بن سهل قال: كتب سعدون إلى بعض إخوانه :

« أما بعد .. يا أخى فإنه من تَعرض لعقوبة الله هوى وشقى ، ومن تعرض لرضاء الله كفى ووقى فاجعل حظك من دُنياك الاشتغال بطاعة مولاك . والسلام» .

رسالة شعرية سابعة :

قال: وكتب بهذا الشعر إلى بعض إخوانه :

تُحب الصالحين بزعم قلبك   وتَخلو إن فقدتهم بذنبك
فمن حب الخليل تَفرّ منه   وهذا كله من كذب حُبك
ستندمُ حينَ لاندم بمُجْدٍ   وتعلمُ ما يحلّ غدا بجنْبك

موعظة القبور كما بدت لسعدون !

قال مالك بن دينار : مات بعض قراء البصرة ، فخرجنا فى جنازته ، فلما انصرفنا من وقته صعد «سعدون» تلاً ونادى :

ألا ياعســـكرَ الأحيـــاء   هــذا عســكرُ المــوتى[1]
أجــابوا الدعــوة الصــغرى   وهــم منتظــرو الكــبرى[2]
يقــولون لكـــم : جــدُّوا   فهــذا غــاية الدنيـــا

رسالة ثامنة إلى بعض الإخوان :

سلمة بن عقيل قال: كتب سعدون إلى بعض إخوانه: « جعلنا الله وإياك من الذين

(١) عسكر الموتى : مجتمع قبورهم وأجسادهم .

(٢) الدعوة الصغرى : الموت . والدعوة الكبرى : البعث .

أدبوا أنفسهم بِدِرّة الجوع ، وردموا خندق الأحزان ، وجاوزوا عقاب الشدائد ، وقطعوا جسر الأهوال» . ثم كتب عنوانه : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[1] . والله تعالى أعلم .

إبراهيم بن سعيد النجيبي قال : كتب المتوكل إلى عامله بالبصرة : إنّ قِبَلَك رجلا أديبا ظريفا ذا حكمة فوجّه به إليّ على أحسن صفة غير مُرَوَّع ؛ فحمله إليه ، فلما ورد الباب قال له الحاجب : سلّم على الخليفة سلامك على الخلفاء ؛ فدخل ثم سلم عليه ، وقال : أنت المتوكّل قال : نعم قال : فلم سميت بالمتوكل ، ولم تسم بالمتواضع؟ ثم قال : السلام عليك يامن استوى على أُسِرّة الغنى ، وتقمص بقميص الخيانة متبعا للهوى . كأنّي بك وقد أتاك فَظٌّ غليظ ، فجذَبك عن سرير بهائك ، وأخرجك عن مقاصير علائك ، فلم يستأذن عليك حاجباً ، ولا قَهْرماناً[2] ، حتى أخرجك إلى ضيق الّلحد ، وفراق الأهل والولد ، فلو نظرت في صحيفة بطالتك ، يامن احتوى على أموال الضعفة بظلمه . غدا تبكي سرائرك بين يدى من لا تخفى عليه السرائر ، فتحمل على دقيق المسألة جوابا ، وعلى الصراط جوازا ، فستعلم وتستقرىء كل ما قد أحصى عليك بالتحقيق .

قال : فغاظه ذلك فأمر بحبسه ، فلما كان في اليوم الثاني ، أمر بإخراجه ، فلما وقف بين يديه قال : بلغني أنك قَدَرِيّ[3] تقايس في العظمة ، وتداخل في التكوين .

فقال : يامتوكل ، يامن له عقل موجود ، وفهم غير مفقود ، إن مثلك لا يتكلم في القدر . قال : فنظر إليه مغضباً ورده إلى السجن ، فلما كان في اليوم الثالث أخرجه ؛ فوقف بين يديه وقال : ياسعدون ، بلغني أنك ثَنَوِي[4] تقول : السماء خالية بلا مدبر فقال له : يامتوكل ، أسألك عن شيء تخبرني به . قال : نعم . قال : من جعل سطح الهامة مَنْبِت الشعر ، وسقاها من حرارة الدّماغ ؟ قال : الله .

قال : أخبرني من مد حاجبيك فأنبت عليهما الشعر ؟ قال : الله تعالى . قال : فأخبرني من فتق العينين ، وجعل للحدقة بياضا ، وجعل وسطها سوادا ؟ قال : الله .

---

(١) الطلاق : ٣ .

(٢) القهرمان بفتح القاف وضمها : أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه (فارسي معرب) .

(٣) القَدَرِيّة : قوم ينكرون القدَر ، ويقولون : إن كل إنسان خالق لفعله . (مولّد) .

(٤) الثَّنَوِيّة : المانوية ، وهو مذهب يقول بإلَهين اثنين : إلَه للخير ، وإلَه للشر ، ويرمز لهما بالنور والظلام .

قال : فمن جعل فيهما ماء عذبا وملحا أجاجا[1] ؟ قال : الله .

قال : أخبرنى من خرق السمعين فجعل فيهما سماعا ؟ قال : الله . قال : فمن ألزم القدم من الساقين فجعلهما اسطوانة[2] للكربتين ؟ قال : الله تعالى .

قال : فمن شد الحَقْوَين[3] بالوَركَيْن ؟ قال : الله تعالى .

قال : فمن عرفك أن تقول : الله ؟ قال : الله .

قال : فكيف أقول السماء بلا إله ؟! قال المتوكل : بلغنى أنك تقول : «القرآن مخلوق» قال : يامتوكل ارضَ عن الله ، وثق بالله ، وكل شئ بقضاء الله ، ما يبلغ الفطَنَةُ كُنْهَ الله ، ولا يفوت الخلق رزق الله ؛ الله لا يشبه خلق الله . القبض والبسط فعال الله . والجود والفخر أيادى الله . يأيها القائل بالله أرض بدين الله عبد الله لا شئ أحلى من كلام الله ، يكون مخلوقاً كلام الله ؟ ! يقولها مبتدع ــ والله ــ قال : فأمر به إلى الحبس ، ثم اتخذ مقصورة وأمر بفرش الزرابىّ[4] من الحرير الأخضر والخَزّ والديباج[5] . ثم دعى به . فلما نظر إليه ضحك ثم قال : يامتوكل ، هذا ملكك الدنئ الحقير الفانى . قال المتوكل : بلغنى أنك «حَرُورِىّ»[6] تطعن فى السلطان . فقال : إنى لست كذلك ، ولكنى أصف لك مرجا[7] أحسن من مرجك . وقصرا أحسن من قصرك . قال : هات . قال : فى الجنة مَرْجٌ من ورق الآس[8] فى وسط المرج

---

(١) أجاجا : ما يلذع الفم بحرارته أو ملوحته .

(٢) الأسطوانة : العمود .

(٣) الحَقْوَين : الحَقْو : الخصر .

(٤) الزرابى جمع زَرْبِيّة : وسادة تبسط للجلوس عليها وفى الكتاب العزيز : ﴿وزرابىّ مبثوثة﴾ .

(٥) الخز من الثياب ما ينسج من صوف وإبريسم (أحسن الحرير) وما ينسج من إبريسم خالص . أما الديباج . فهو ضرب من الثياب سَدَاه ولُحْمَتُه حرير (فارسى معرب) .

(٦) الحرورية : طائفة من الخوارج تنسب إلى حَرَوْرَاء بقرب الكوفة ؛ لأنها كان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا عليا ، وكان عندهم تشدد فى الدين حتى مرقوا منه (وهو من نادر معدول النسب) .

(٧) المَرْج : أرض واسعة ذات نبات ومرعى .

(٨) جاء فى نهاية الأرب فى فنون الأدب السِّفر الحادى عشر : وأما الآس فهو نوعان : برى وبستانى ، فالبرى هو الذى يسمى «قف انظر» سمى بذلك لحسنه ؛ وورقة يشبه ورق البستانى ، إلا أنه أعرض منه ، وطرفه ممدد يشبه سنان الرمح . واليونان تسمى الآس: مرسين ، وتسميه العامة : مَرسينا . وقال صاحب التاج : هو ريحان القبور . وقال ابن سينا : وأجود زهره الأبيض .

قصر من درر وشقائق[١] ، وفى وسط القصر قبة من ورق السَّوْسَن[٢] ، والقصر والقبة مبنياً على نبات القَرَنْفُل لها حدود أربعة :

الحد الأول — ينتهى إلى ناحية الوَجِلين .

والحد الثانى — ينتهى إلى نعيم المشتاقين .

والحد الثالث — ينتهى إلى طريق المُريدين .

والحد الرابع — ينتهى إلى غرف مملوءة بتحف ، وصنائع ووصائف ورفارف وإلى خيام وخدام وإلى ميدان يطوف فى ساحتها الولدان ، أرضها من الفضة ، ورمالها من اللؤلؤ ، وقضبانها من العنبر وشُرُفها من الياقوت الأحمر ، العرش سقفها ، والرحمة حشوها والأنبياء سكانها ، والملائكة عُمّارها ، والوِلدانُ خدامها ، وعلى أساسها الزعفران حشيشها ، والقرنفل نباتها ، والسندس ثيابها ، مُطَّرِدَة أنهارها ، دائمة ظلالُها ، دانية قطوفها ، مطهرة أزواجها ، خضر رياضها ، لذيذٌ عيشها ، ذكى مِسْكها وكافورها ، فهى دار العيش والنعيم المقيم ، فساكن هذه الدار فى نعيم لا يزول ، لا غِلَّ فى صدور سكانها قد رفعت عنهم الأسقام ، وزالت الآلام ، وصاحب هذه الدار أبداً معانق الأبكار فى مرافقة الأخيار ، وجوار الملك الجبار ، ثم قام يخطر فى مشيته ويقول :

قبة من جواهر الخُلْـ..................	ـد بالدر رُصّعَت
جوف قصر من الزَّبَرْ	جَد بالنور وشّعَتْ[٣]
مُذْ بَنَاها الجليل فى	داره ما تزعزعت
لـو عليها تساقطت	أرضها ماتصدعت
حُجِبَت كاعبٌ من الـ..............	ـحُورِ فيها فأبدعت[٤]

---

(١) شقائق النعمان ورد أحمر سمى باسم النعمان لأنه كان يحبه . وقيل سميت الشقائق لحمرتها تشبيهاً لها بشقيقة البرق ، وقيل:النعمان اسم الدم وشقائقه قطعه فشبهت حمرتها بحمرة الدم .

(٢) السوسن : فارسىّ معرب له ساق عليها زهر منحن فيه ألوان يشبه بعضها بعضا وشبه بقوس قزح . وشبهوه فى شعرهم بأذناب الطواويس .

(٣) وُشّعت : غطيت وحُلّيت ، ولُفّت .

(٤) الكاعب : الفتاة التى كعب ثدياها واستدار نهدها .

عجب الحُسنُ والجما ... لُ إذا ما تَطَلّعت
مُتِّع الحِبُّ بالحبيب ... كما قد تمتعت

قال المتوكل : أحسنت بارك الله فيك ! من زعم أنك مجنونٍ ؟! ثم أمر له بجائزة ؛ فردّها ، وقال : حسبيَ الله الذى جعل خزائن عطائه مفتوحةً لمؤمليه ، وحسبى من جعل مفاتيحها صحة الطمع فيه !!

٤ ـ بهلول[1]

قال إسماعيل بن أبى فديك : سمعت بُهلولا فى بعض المقابر وقد دلّى رجله فى قبر ، وهو يلعب فى التراب ، فقلت له : ما تصنع هٰهنا ؟ فقال : «أجالس أقواما لا يؤذوننى ، وإن غبت عنهم لا يغتابوننى» فقلت : قد غلا السّعر فهل تدعو الله فيكشف ؟! فقال : «والله لا أبالى ، ولو حبة بدينار . إن الله تعالى أخذ علينا أن نعبده ، كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا ، كما وعدنا» ثم صفق بيديه وأنشأ يقول :

يامن تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنامُ عن اللذّاتِ عيناه
شغلت نفسك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه ؟!

بُهلــول والرشــيد !

على بن ربيعة الكندى قال : خرج الرشيد إلى الحج ، فلما كان بظاهر الكوفة ، إذ مر بُهلول المجنون على قَصَبَةٍ[2] ،وخلفه الصِّبيانُ وهو يعدو ، فقال : من هذا ؟ قالوا : بُهلول المجنون . قال : كنت أشتهى أن أراه فادعوه من غير تَرْويع ![3] فقالوا له : أجبـ أمير المؤمنين ، فعدا على قصبته ، فقال الرشيد : السلام عليك يابُهلول . فقال : وعليك السلام ياأميرَ المؤمنين . قال : كنت إليك بالأشواق . قال:لكنى لم أشتق إليك .

---

(١) هو أبو وهيب بُهلول بن عمرو الصيرفى (ت نحو ٨٠٦) من عقلاء المجانين له أخبار ونوادر وشعر . وُلِدَ بالكوفة ، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه . كان من المتأدبين ، ثم وسوس فعرف بالمجنون . ويقول صاحب المنجد : ذكره الجاحظ فى كتاب «البيان» وجعلته الأسطورة مثلا أعلى «للعقلاء المجانين» !

(٢) عود من الغاب الفارسى يتخذه الأطفال حصانا يركب حيث يضعونه بين أرجلهم ويمسكون بطرف منه ويجرون .

(٣) من غير تخويف ولا إفزاع له .

عِظْنى يابُهلول !

قال : عظنى يابُهلول ، قال : وبم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم !! قال : زدنى ؛ فقد أحسنت ! قال : «ياأمير المؤمنين ، من رزقه الله مالا وجمالا ، فعفّ فى جماله ، وواسى فى ماله[1] كُتِب فى ديوان الأبرار[2]» فظن الرشيد أنه يريد شيئا ، فقال : قد أمرنا لك أن تقضىَ دينَك . فقال: لا يأميرَ المؤمنين ، لا يُقْضَى الدينُ بدينٍ !! ارْدُدِ الحقّ على أهلِه ، واقضِ ديَن نفسِك من نفسك . قال : فإنَّا قد أمرنا لك أن يُجرى عليك[3] . فقال : ياأمير المؤمنين ، أترى الله يُعطيكَ وينْسانِى ؟! ثم ولّى هارباً .

وروى بإسناد آخر أنه قال للرشيد : ياأمير المؤمنين ، فكيف لو أقامك الله بين يديه فسألك عن النقير والفتيل والقطمير[4] ؟! قال:فخنقته العَبْرة ؛ فقال الحاجب : حسبك يابُهلول ، قد أوجعت أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : دعه . فقال بُهلول : إنما أفسده أنت وأضرابك[5] . فقال الرشيد : أريد أن أصلك بِصِلةٍ[6] . فقال بُهلول : ردها على من أُخذت منه . فقال الرشيد : فحاجة[7] . قال : ألاّ ترانى ولا أراك ! ثم قال: ياأمير المؤمنين ، حدثنا أيمن بن نائل ، عن قُدامةَ بن عبد الله الكلابى ، قال : رأيت رسولَ الله ﷺ يَرمى جَمْرة العقبةَ على ناقةٍ له. صَهباءَ[8] لا ضَرْبَ ، ولا طَرْدَ ، ولا إليكَ[9] . ثم ولّى بقصبته ، فأنشأ يقول :

---

(١) واس البائس الفقير ، وأخذ بيد الضعفاء . وأنساهم آلامهم وخفف عنهم متاعبهم .

(٢) ديوان : سجل .

(٣) يجرى عليك : يخصص لك رزق ثابت ومعاش دائم .

(٤) النقير ، والفتيل ، والقطمير نجدها فى نواة البلح . فالنقير : النقرة فى ظهر النواة . والفتيل : ما يكون فى شق النواة . والقطمير : القشرة الرقيقة . والمراد : لأن الله سوف يسأله حتى عن الصغير من أعماله .

(٥) أضرابك : أشباهك وأمثالك .

(٦) أمدك بعطاء ، وأمنحك منحة : تصل ما بينى وبينك .

(٧) أى أقضى حاجة لك .

(٨) الأصهب : ذو اللون الأصفر الضارب إلى شئ من الحمرة والبياض ، وهى صهباء .

(٩) لا ضرب ولا طرد كما يحدث فى موكب الرشيد، ولا يقال لأحد : إليك عنى : أى ابتعد ! فلا يُصْرف عنه أحد .

فعُدك قد ملأتَ الأرضَ طُرًا   ودانَ لك العبادُ فكان ماذا ؟![1]

ألستَ تموت فى قَبرٍ ويَحْوِى   تراثَك ــ بَعْدُ ــ هذا ، ثم هذاَ ؟!

بهلول يجيب عن سؤال !

عبد الرحمن الأسلمى قال : قال أبى لبهلول : أى شئ أولى بك ؟ قال : العمل الصالح .

مافى الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم !

وبعض الكوفيين قال : حج الرشيد فذكر بُهلولا حين دخل الكوفة ، فأمر بإحضاره ، وقال : ألبسوه سَواداً ، وضعوا على رأسه قَلَنسُوةً طويلة ، وأوقفوه فى مكان كذا ، ففعلوا به ذلك ، وقالوا : إذا جاء أمير المؤمنين ، فادع له ، فلما حاذاه الرشيد ، رفع رأسه إليه وقال : « ياأمير المؤمنين أسأل الله أن يرزقَك ويوسّع عليكَ من فَضْله » فضحك الرشيد ، وقال : آمين . فلما جازه الرشيد ، دفعه صاحب الكوفة فى قفاه وقال : أهكذا تدعو لأمير المؤمنين ، يامجنون ؟! قال بهلول : اسكت . ويلَك يامجنون ، فما فى الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم ! فبلغ ذلك الرشيد فضحك وقال: ما كذب !

قال الحسن بن سهل بن[2] منصور : سمعت بهلولا وقد رماه الصبيان بالحصى ، وقد أدمته حصاة ، فقال :

حَسْبىَ اللهُ توكلت عليه   ونواصى الخلقِ طُرّاً بيديه[3]

ليس للهارب فى مهربه   أبدا من رَوْحة إلا إليه

رب رامٍ لى بأحجارِ الأذى   لم أجد بُدًّا من العطف عليه !!

---

(١) عُدّك : افترض . أحسب أن .

(٢) الحسن بن سهل (أبو محمد السرخسى) وزير المأمون العباس ، ووالد زوجته بوران ، أخو الفضل بن سهل : كان مجوسيا فأسلم قاد وتولى ورعى الشعراء والأدباء . توفى فى سرخس (خراسان) .

(٣) الناصية مقدم الرأس ، وطُرًا : جميعا ، وقاطبة . وقد جاء فى الكتاب العزيز ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ ١٥/ العلق وقوله : ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ ٥٦/ هود . وقوله ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام ﴾ ٤١/ الرحمن .

فقلت له : تعطف عليهم ، وهم يرمونك ؟! قال : اسكت ؛ لعل الله سبحانه وتعالى يطّلِعُ على غَمّى ووجعى ، وشدة فرح هؤلاء فيهب بعضنا لبعض .

ولبهلـــول :

حقيقٌ بالتواضع من يموت	وحَسْبُ المرءِ مِنْ دُنْياهُ قُوت[1]
فما للمرءِ يُصْبح ذَا اهتِمامٍ	وشُغْلٍ لا تقومُ له النعوت[2]
صنيعُ مليكِنَا حسنٌ جَميلٌ	ومـا أرزاقنـا مما يفـوت
فيا هذا ، سترحلُ عن قريبٍ	إلى قومٍ كلامُهم السكوت[3]

ســؤال عن الســخاء :

قال عبد الرحمن الكوفى : لقينى بهلول المجنون ، فقال لى:اسألك ؟ قلت : اسأل . قال:أَىُّ شىء السخاءُ ؟ قلت : البذل والعَطاء . قال : هذا السخاء فى الدنيا ، فما السخاء فى الدين ؟ قلت : المسارعة إلى طاعة الله . قال : أفيريدون منه الجزاء ؟ قلت : نعم . بالواحدة عشرة . قال : ليس هذا سخاءً ، هذه متَاجرة ومُرَابحة[4] . قلت : فما هو عندك ؟ قال : لا يطّلع على قلبِك وأنت تريد منه شيئًا بشىء !

رحم الله ذلك المجنون !

قال عمر بن جابر الكوفى : مر بهلول بصبيانٍ كبار ، فجعلوا يضربونه ، فدنوت منه ، فقلت له : ألا تشكوهم لآبائهم ؟ فقال : اسكت . فلعلىّ إذا مِتّ يذكرون هذا الفرح ، فيقولون : رحم الله ذلك المجنون !

قال صباح الوزان الكوفى : لقيت بهلولا يوما ، فقال لى : أُنت الذى يزْعُم أهل الكوفة أنك تشتم أبا بكر وعمر ؟ فقلت : معاذَ اللهِ أن أكون من الجاهلين ! قال : «إياك ياصباح ؛ فإنهما جبلا الإسلام ، وكهفاه ، ومصباحا الجنة وقنديلاها . وحبيبا محمد ﷺ وضجيعاه ، وشيخا المهاجرين وسيداهم» . ثم قال : «جعلنا الله من الذين على الأرائك يسمعون كلام الله إذا وفد القوم إلى سيدهم» .

---

(١) حقيق بالتواضع : جدير بأن يكون متصفا به مادام سيموت .

(٢) النعوت : جمع نعت والنعت الصفة ، أى شغل كثير لا يوصف .

(٣) كناية عن الموتى ، وصمتهم أبلغ من الكلام وفيه عبرة لمن يعتبر !

(٤) رابح على سلعته : أعطاه عليها ربحا .

هل يقضى القاضى بعلمه ؟

على بن الحسين[1] قال : لما مات أبو بهلول خلّف ستّمائة درهم ، فأخذها القاضى ، وحجر عليها ، فأتاه بهلول ، فقال : أصلح الله القاضى ، أو تزعم أنى مصاب فى عقلى ؟ فأنا جائع ، فادع لى بمائتى درهم ؛ حتى أقعد فى أصحاب الحلقات أبيع وأشترى ، فإن رأيت منى رشدا ضممت إليها الباقى ، وإن تلفت فالذى أتلفت أقل مما بقى . فدعا القاضى بالكيس ، ووزن له مائتى درهم ، فأخذها بهلول ، ولزم الحيرة حتى أنفدها ، ثم جاء إلى القاضى وهو فى مجلس الحكم ، فقال : يابهلول ؟ ما صنعت ؟ فقال : أعز الله القاضى ، «أنفقتها ، فإن رأى القاضى أن يزن من ماله مائتى درهم ، وردها إلى الكيس حتى يرجع الكيس إلى ما كان» فقال القاضى : فتجحد لى ما أخذت ؟ قال : كلا ، ولكنى ما أقمت عندك شاهدين لأنى موضع لها ، قال : صدقت ودعا بمائتى درهم ، وردها إلى الكيس .

ياهذا لقد تعجلت الحماقة !

قال عباس البناء : نظر بهلول إلىّ وأنا أبنى داراً لبعض أبناء الدنيا ، فقال لى : لمن هذه الدار ؟ فقلت : لرجل من نبلاء الكوفة ، فقال أرنيه فأريته إياه فناداه ، ياهذا لقد تعجلت الحماية ، قبل النهاية **اسمع إلى صفة دارٍ كونها العزيز** .

أساسها المِسْكُ ، وبلاطُها العَنْبر ، اشتراها عبد قد أزمع للرحيل ، كتب على نفسه كتابا وأشهد على ضمائره شهوداً . هذا ما اشترى العبد الجافى من الرب الوافى ، اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع ، إلى عز الورع ، فما أدرك المستحق فيما اشتراه من درك ، فعلى المولى خلاص ذلك وتضمينه . أراه شهد على ذلك العقل — وهو الأمين — والخواطر وذلك فى أدبار الدنيا . وإقبال الآخرة .

أحد حدودها : ينتهى إلى ميادين الصفا .

والحد الثانى ينتهى إلى ترك الجفا .

والحد الثالث : ينتهى إلى لزوم الوفا .

والحد الرابع : ينتهى إلى سكون الرضا فى جوار مَن على العرش استوى .

---

(١) زين العابدين : رابع الأئمة عند الشيعة ، ولد وتوفى بالمدينة ، تميز بأدب الدعاء ، وتحرير العبيد (٣٨ — ٩٥هـ/ ٦٥٨ — ٧١٢م) .

لها شارع ينتهى إلى دار السلام ، وخيام قد ملئت بالخدّام وانتقال الأسقام ، وزوال الضر والآلام . يالها من دارٍ لا ينقص نعيمُها ولا يَبيد .

دار أسست من الدر والياقوت ، شرف تلك الخدور . وجعل بلاطها من البهاء والنور . قال : فترك الرجل قصره ، وهام على وجهه ، وأنشأ بهلول يصيح خلفه ويقول :

ياذا الذى طلب الجِنانَ لنفسه — لا تهربن فإنه يُعطيكا

من كانت الآخرة أكبر همه !

قال عبد الخالق : سمعت أبى يقول : سمعت بهلولا يقول : من كانت الآخرة أكبرَ همّه أتته الدنيا وهى راغمة .

ثم أنشأ يقول :

ياخاطبَ الدنيا إلى نفسِه — تنحّ عن خِطْبتها تَسْلَمِ
إن التى تخطبُ غدّارةٌ — قريبةُ العرسِ من المأتمِ

أبيات كان يتمثل بها بهلول :

قال كثير بن روح : رأيت بهلولا ذات يوم يتمثل وهو يقول هذه الأبيات :

ياطالبَ الرزقِ فى الآفاق مُجتهداً — أتعَبْتَ نفسَك حتى شفَّك الطَّلَبُ[1]
تسعى لرزقٍ كفاكَ الله بُغْيَتَه — اُقْعُد فرزْقُك قد يأتى به السَّببُ
كم من دَنىٍّ ضعيفِ العقلِ تعرفُه — له الولايةُ والأرزاق والذَّهب
ومن حسيبٍ له عقلٌ يزينه — بَادِى الخصاصةِ لا يدرى له سبب[2]
فاسترزقِ الله مما فى خزائنه — فالله يرزقُ لا عقلٌ ولا حَسَبُ

---

(١) شفك الطلب : أصابك بالهزال وأنهكك .

(٢) الحسيب : ذوالحسب : والحسب : ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه . وقال ابن السِّكِّيت : الحسب والكرم يكونان بدون الآباء ، والشرفُ والمجد لا يكونان إلا بالآباء . بادى الخصاصة : ظاهر الجوع .

أيها الأمير ، ما هذا الحزن ؟!

قال بعضُ أهلِ الكوفة : وُلِد لبعض أمراء الكوفة ابنة فساءه ذلك ! فاحتجب ، وامتنع من الطعام والشراب ، فأتى بهلول حاجبَه ، فقال : إئذن لى على الأمير ، هذا وقت دخولى عليه ، فلما وقف بين يديه قال : أيها الأمير ، ما هذا الحزن ؟ أجزعت لذاتٍ خلق فسَوَّى هيأته رب العالمين ؟ ! أَيَسُرُّك أن لك مكانها ابنا مثلى ؟ ! قال ويحك ! فرّجت عَنىّ ، فدعا بالطعام ، وأذن للناس .

إن الكريم إذا قدر غفر !

قال عبد الواحد بن زيد : مر بهلول برجل قد وقف على جدار رجل يكلم امرأته فأنشأ يقول :

كن حَيِيًّا إذا خلوت بذنبٍ ... دون ذى العرش من حكيم مجيد
أتهاونت بالإلـــه بديـــا ... وتواريت عن عيون العبيد ؟!
أقرأت القرآن أم لست تدرى ... أن ذا العرش دون حَبل الوريد ؟!

ثم ولى ، وهو يقول : من نوقش فى الحساب غفر له . فقلت له : من نوقش الحسابَ عُذّب . فقال : اسكت يابطال . إن الكريم إذا قدر غفر .

ويل لأهل الأرض من أهل السماء !

ولبهلـــول :

إذا خان الأمير وكاتبـــاه ... وقاضى الأرضِ داهَنَ فى[1] القضـاءِ
فويل ، ثم ويل ، ثم ويل ، ... لأهل الأرض من أهل السماءِ

سعدون وبهلول يتواصيان !

قال الحُسَيْن الصّقِلّى : نظرت وقد زار سعدون بهلولا ، ورأيتهما ، فسمعت سعدونَ يقول لبهلول : أوصنى ، وإلا أوصيك ، فناداه بهلول : أَوْصـنى ياأخى ، فقال سعدون : أوصيك بحفظ نفسِك ، ومكنها من حبسك ؛ فإن هذه الدنيا ليست لك بدار .

قال بهلول : أنا أوصيك ياأخى ، فقال : قل . فقال : اجعل جوارحَك مطيتَك ،

(١) المداهنة : المصانعة ، وفى الكتاب العزيز : ﴿وَدّوا لو تُدهن فيدهنون﴾ [القلم : ٩] . والمقصود أظهر خلاف ما يضمر وخدع وغش .

واحمل عليها زادَ معرفتك ، واسلك بها طريقَ مَتْلَفِك ؛ فإن ذكّرتك ثِقَلَ الْحَمْلِ فذكرها عاقِبة البلوغ ، فلم يزالا يبكيان جميعا ، حتى خشيتُ عليهما الفناء .

فضُرب بينهم بسورٍ له باب !

قال على السيرافى : حَمَل الصبيان[1] يوما على بهلول ، فانهزم منهم ، فدخل دار بعض القرشيين ، ورد الباب فخرج صاحب الدار ، فأحضر له طبقا فيه طعام فجعل يأكل ويقول : ﴿**فضرب بينهم بسورٍ له بابٌ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِه العذاب**﴾[2] .

بهلولٍ يكتب إلى الواثق !

قال نعيم الخشاب : كتب بهلول إلى الواثق[3] . أما بعد فإن المِراء قد لعب بدينك ، والأهواء قد أحاطت بك ، ومقالات أهل البدع قد سلخت عنك عقلك .

وابن أبى داود المشئوم قد بدل عليك كلامَ ربّك . اقرأ:﴿**فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدس طُوى**﴾ . إلى قوله ﴿**فاعبدنى**﴾[4] أيكون هذا الكلام مخلوقا ؟ . فرماك الله بحجارةٍ من سجيلٍ مسومةً عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد ثم كتب عنوانه : من الخائف الذليل إلى المخالف لكلام الله تعالى .

من الصادق المتواضع إلى الكاذب المتجبر !

قال سالم بن عطية :كتب بهلول إلى ابن أبى داود : «أما بعد .. فإنك قد ميزت كلام الله من الله . وزعمت أنه مخلوق ، فإن يك ماذكرت باطلا فرماك الله بقارعة من عنده . ويلك أكنت معه فى حين كلم موسى ؟! فإن كنت رادا عليه فاقرأ : ﴿**عليها غبرة.ترهقها قترة.أولئك همُ الكفرة الفجرة**﴾[5] . ثم كتب عنوانه:من الصادق المتواضع إلى الكاذب المتجبر .

---

(١) حمل الصبيان على بهلول : هجموا وتجمعوا عليه .

(٢) ١٣/ الحديد .

(٣) الواثق بالله : هارون بن محمد المعتصم تاسع الخلفاء العباسيين (٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ ــ ٨٤٧م) ولد فى بغداد سنة ٢٠٠ هـ ٨١٥م ومات بسامراء. شغل بالاختلافات الكلامية .

(٤) ١٢ ــ ١٤ طه .

(٥) ٤٠ ــ ٤٢ عبس .

من بهلول إلى رئيس الشرطة !

قال عبد الرحمن الهاشمى : لما ولى الخلعى على شرطة بغداد وكان يرى برأى ابن أبى داود . كتب إليه بهلول : «أما بعد فإن السماء بأكنافها[1] . ونور كواكبها وضياء شمسها وقمرها ، وصفوف ملائكتها ، والعرش والملائكة المقربين . والحجب المزدلفة بقدرة خالقها ، والنار وزبانيتها والجنة وسُنْدُسِها[2] . والأرضين وجبالها . والجبال وكهوفها ، والحيتان فى بحارها ، والوحش فى قفارها ، والجن فى أقطارها ، والطير فى أوكارها ، والسباع فى وجارها[3] والأشجار وثمارها . يسبحون له فى الغدو والآصال[4] .

ولبهلول فى الترقيق :

أضمر من أضمر حبى له	**فيشتكى إضمار إضمارى**
رق فلـو مرّبـه ذرّةٌ	**لخضبتـــــه بدمٍ جارِى**

وله أيضا فى أرق منه :

اضمر أن يأخذ المرأة لكى	**ينظـر بمثالـه فأدناهـا**
فجاءَ وهْمُ الضميرِ منه إلى	**وجنته فى الهوى فأدماها**

وله أيضا :

شبهته قمرًا إذ مرّ مبتسما	**فكاد يجرحه التشبيه أو كَلَما**
ومرّ فى خاطرى تقبيل وجْنَته	**فسيلت فكرى من عارضيه دما**

قال محمد بن عبد الله : بينَا أنا فى مسجد الكوفة يوم الجمعة ــ والخطيب يخطب ــ فقام رجل به لمم وجنون ، فقال : أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا[5] فقام بهلول ، فقال : **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما﴾**[6]

(١) أكنافها : جمع كنف ، وهو الجانب .

(٢) السندس : نسيج الديباج أو الحرير .

(٣) الوجار جمع وَجْر : ما كان كالكهف فى الجبل .

(٤) الغدو : أول النهار ، والآصال : جمع أصيل : وهو الوقت قبيل نهاية النهار .

(٥) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف تقول : **﴿قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾**

(٦) الآية : ١١٤ من سورة طه .

يا طالب الحور ألا تستحى ؟!

قال على بن خالد : بت ليلة على سور طَرَسُوس[1] فمر بهلول فلكَزَنى[2] برجله ثم أنشأ يقول :

ياطالبَ الحورِ ألا تستحى	يحملك النومُ على السور ؟!
وخاطبُ الحورِ طويلُ البُكا	مُقَيّـــــد الأعضاء محصور
لا تطعم الغمض وما ان له	راحة جسم . أو يرى الحور
فى جنة زخرَفَها ذو العلا	ينعـــم فيها كلُّ مَحْبــور

قال:فانتبهت فزعا ، ولم أنم بعد ذلك فى الحرس .

ســؤال فى الميراث !

وسئل بهلول عن رجل مات وخَلَّف ابنا وابنة وزوجته ؟ . ولم يخلف من المال شيئا ، كيف تكون القسمة ؟ فقال : للابنة الثُّكل ، وللزوجة خراب البيت ! وما بقى من الهم فللعصبة !

دع الحرص :

قال محمد بن خالد الواسطى:أنشدنى بهلول يقول :

دَعِ الحرصَ على الدُّنيا	وفى العيشِ فلا تطمعْ
ولا تجمعْ من المالِ	فما تدرى لمن تجمعْ
فإن الرزقَ مقســومٌ	وسوءُ الظنِّ لا يَنْفعْ
فقيرٌ كل ذى حرص	غَنِىٌّ كلُّ من يَقنعْ

٥ ــ عليان

كان اسمه عليا :

عبد الملك بن أبجر قال : لقيت عُلَيَّانَ المجنون ، وكان اسمه عندى عُلَيّان ، فقلت

(١) مدينة فى جنوب تركيا الأسيوية فتحها المأمون ٧٨٨ وفيها دفن .

(٢) لكزه : ضربه بجمْع كفه فى صدره . أما وكزه فمعناها : ضربه بجمع يده على ذقنه . وفى التنزيل : ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ . والمناسب أن يقول : فركلنى . ومعناها : رفسنى برجله .

له : ياعُلَيّان ، فقال : لا إله إلا الله . قل خيراً يا بن أبجر . ولد لأبى مولود قبلى ، فسماه محمداً ببركات رسول الله ﷺ ثم ولدت فسمانى عَلِيًّا ببركات وَصِيّ رسول الله ﷺ فمن صَغّرنى فإنما يصَغّر وصيّ رسول الله ﷺ،ومن طيبت به للتصغير لى فما طيبت بك يابن أبجر . فجعلت عَلَيّ ألا أسميه إلا عليًّا أو كنيته .

من أراد سرور الدنيا وحزن الآخرة !

قال حفص بن غياث القاضى : مررت فى طاق[1] السراجين فإذا عُلَيّان جالس فلما جُزْتُه سمعته يقول : «من أراد سرور الدنيا وحزن الآخرة ؛ فليتمنّ ما هذا فيه» فوالله لقد تمنيتُ لو كنتُ مِتُّ قبل أن ألى القضاء !

كيف حاله مع المولى عز وجل ؟!

قال الحسن الكوفى : قال رجل لعليان : أجننت ؟ قال : أما عن الغفلة فنعم . وأما عن المعرفة فلا . قال كيف حالك مع المولى ؟ قال ما جَفَوْتُه مذ عرفته . قال : ومذ كم عرفته ؟ قال:مذ جعل اسمى فى المجانين !

عُليّان فى طريقه إلى دكان الطحان !

قال السريّ مولى ثوبان : أدركت بالكوفة مجنونا يقال له : عليان . وكان يأوى إلى دكان طحان ، وكانت معه عصى لا تفارقه ، وكان الصِّبيان قد علموا وقت مسيره إلى الدكان ، فيجتمعون ، ويعبثون به ، فإذا بلغت أذيتهم منه قال للطحان : قد حَمِيَ الوطيس ، وطاب اللقاء وأنا على بصيرة من أمرى فما ترى ؟ فيقول : شأنك . فيثب ، وهو يقول :

إذا هو ألقى بين عينيه عزمه ... وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

ثم يشد مئزره ويقول :

قوم إذا حاربوا شدُّوا مآزرهم ... دون النساءِ ولو باتت بأطهار[2]

---

(١) الطاق ما عطف من الأبنية وجمعه : طاقات . السَّراجين : من حرفتهم السراجة .

(٢) شدّوا مآزرهم : كناية عن عدم المعاشرة الجنسية . وقد يشد المئزر لوجود مانع كالحيض . لكن هنا لا مانع إلاانشغالهم بالحرب وتحقيق النصر .

ثم يتناول العصا ، ويشد عليهم ويقول :

أشد على الكتيبةِ لا أبالى أحَتفِى كان فيها أم سواها[1]

والصبيان يهربون ، فإذا أرهقهم ، طرح الصبيان أنفسهم وكشفوا عن عوراتِهم فيعرضَ عنهم بوجهه ويقول : «عورة المؤمن حِمىً لولا ذلك لتلف[2] عمرو بن العاص يوم صِفِّين ، والأخذ بكلام على رضى الله عنه أولى بنا : أمرنا ألاّ نَتْبَع مُوَلِّياً ، ولا نُذَفِّفَ[3] على جريح» ثم يرجع ويقول :

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خُشَاشٌ كرأسِ الحية المتوقد[4]

ثم يعود إلى دكان الطحان ، ويُلْقى عصاه ويتمثل :

ألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر[5]

عُليّان والصّبيـــان !

قال على بن ظبيان : مررت يوما بالكوفة فلما صرت فى سكك همدان إذا أنا بعليان المجنون وفى يده قصبة فارسية ، مثل القناة وفى رأسها كبة قطن ، وعليها خرقة ، وإذا هو يشد على الصّبيان ، فإذا أدركهم قالوا: القصاصَ ياعلىّ ، ثم يلقى القصبة مَن يده ، فلما رأيته تهيبت أن أمر بين يديه . فقال لى : مُرّ ياعلىّ فلستَ منهم ، فمررت فلما حاذيته ، قلت : «**من نوقش فى الحساب عُذِّب**»[6]. قال: كلا ياعلىّ ربنا أكرم من ذلك ؛ فإنه إذا قدر عفا .

قلت له : من العاقل ؟ قال : من حاسب نفسه وخاف ربّه !

دمه السائل يكتب : «الله» !!

قال على بن محمد الكنانى : كنت بمكة وعليان المجنون بها وضربه الصبيان ، وضربه بعض الفسقة بسكين ، فقطر منه الدم ، فكنت أنظر إلى الدم يقطر على الأرض ويكتب الله ، فبصرت ذلك فى تسعة عشر موضعا .

---

(١) الحتف : الهلاك .

(٢) تلف : هلك وقتل . وفيه إشارة إلى ما كان يوم التحكيم .

(٣) ذَفّ على الجريح ذفًّا: أجهز عليه.

(٤) الضَّرْبُ : الماهر فى الضرب . والخُشَاش ؛ الشجاع .

(٥) النّوى : البُعْد والتحول من مكان إلى آخر . والإياب : العودة والرجوع .

(٦) أخرجه أحمد فى مسنده (١٢٧/٦) ، والسيوطى فى الجامع الصغير رقم (٦٤٥٤) وصححه الألبانى ، و صاحب الكنز الثمين حديث رقم (٣٩٥١) وعزاه لابن ماجة من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن الزبير بلفظ هلك .

نذيـــر الكـــلاب !

قال الإمام أبو يوسف القاضى ـــ رحمه الله ـــ : كنت مارًا بطرقات الكوفة ، وإذا أنا بعليان المجنون ، فلما بصر بى سلّم علىّ ، وقال لى : أيها القاضى ، مسألة . قلت : هاتِ . قال : أليس قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿**وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾[1] قلت : بلى . قال : أليس قال الله عز وجل: ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾[2] قلت : بلى . قال : فما نذير الكلاب ؟ قلت : لا أدرى ! فأخبِرْنى . قال : والله لا أقول إلا بمنّ رقاق من شواء ، ونصف من فالوذج ، فأمرت من جاء بها ، ودخلت معه مسجدا فأكلها ، حتى أتى على آخرها . فقلت : هات الجواب . فأخرج من كمه حجراً . وقال : هذا نذير الكلاب !

مـــن المجنـــون ؟!

وقال له بعض الناس يوما : يامجنون ، قال : مهلا ، إنما المجنون من عَرَفَه ، ثم عصاه .

مع طبيب يداوى المرضى وهو سقيم !

قال عطاء السلمى : مررت ذات يوم فى بعض أزقة الكوفة فرأيت عليان المجنون واقفا على طبيب يضحك منه ، ومالى عهد كان بضحكه ، فقلت له : ما أضحكك ؟ قال : هذا السقيمُ العليلُ الذى يداوى غيره وهو مِسْقام !!

قلت : فهل تعرف له دواء يُنْجيه مما هو فيه ؟! قال : شربةٌ مَن شَرِبَها رجوت بُرْأه فقلت : صِفْها . قال : خذ ورَقَ الفقر ، وعِرْق الصبر ، وإهليلج[3] التواضع ، وبليلج[4] المعرفة ، وغاريقون[5] الفكرة ، فدُقّها دقًّا نَاعِمًا بهاوَن النّدم ، واجعله فى طنجير التقى ، وصُبّ عليه ماء الحياة وأوقد تحتها حطبَ المحبة حتى ترمى الزَّبَد ، ثم أفرغها فى جَامِ الرضا ، وروّحْها بمروحة الحمد ، واجعلها فى قدح الفكرة ، وذقها بملعقة الاستغفار ، فلن تعود إلى المعصية أبداً .

---

(١) الأنعام : ٣٨ .

(٢) فاطر : ٢٤ .

(٣) الإهْلِيلَج : شجر ينبت فى الهند وكابُل والصين ، ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار .

(٤) البليلج : ثمر شجرة فى حجم الزيتون .

(٥) غاريقون : هو أصل نبات أو شئ يتكون فى الأشجار المسَوِّسة ترياق للسموم صالح للنساء والمفاصل . ومن علق عليه لا يلسعه عقرب .

فشهق الطبيب شهقة خرَّ مغشيا عليه ؛ ففارق الدنيا . فقلت له: وعظت رجلا فقتلته !! قال : بل أحييته ! قلت : فكيف ؟ قال : رأيته فى منامى بعد ثلاثة من وفاته عليه قميص أخضر ، ورداء أخضر ، وبيده قضيب[1] من قُضبان الجنة ، فقلت له : حبيبى ، ما فعل الله بك ؟ قال : ياعُلَيّان وردت على ربٌّ رحيم غفر ذنبى ، وقبل توبتى ، وأقال عثرتى برحمته لا بِعَملى وها أنا فى جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ذو النون وعليان يلتقيان

قال ذو النون المصرى: رأيت فى منامى كأن قائلا قال : إن فى دِير هرقل حكيما من الحكماء أفلا تقصده ؟ فقلت : شأنك . قال : أفلا أكترى لك حماراً ، أو بغلا ؟ قلت : لا . قال: امشِ معى ؛ فإن الله سبحانه يُقوينا على ذلك . وكان بيننا وبين الدير عشرون فرسخا ، فمشيت معه نتحدث ، فأصبحنا ونحن على باب الدير ، كأنّا لم نمش إلا يسيراً ، فدخلنا الدير فسألنا عنه ، فقالوا : لا نعرف إلا معتوها ، أو ممرورا ، أو مريضا ، قال ذو النون : إنه وُصِفَ لنا هٰهنا حكيم . قال صاحب الدير : أيكما أحق بالحبس وشرب الدواء من هؤلاء ؟ ما يصنع الحكيم فى دير هرقل ؟! قلنا : فَأْذن لنا بالنظر إليهم . قال : شأنكما فما من محبوسٍ إلا تعرضنا له ، فما سمعنا ما دل على غرابة عقولهم حتى بلغنا إلى أقصى مقصورة فيها ، فرأينا رجلا مغلولاً مقيّداً قد شُدّ بسلسلة إلى حجر كبير . قال ذو النون : إن كان . فتعرضت له ، فقال : «قل خيراً تغنم أو اسكت تسلم» . فسلّمتُ عليه ، فردّ ، فقلت له : ما اسمك ؟ قال : اسمى على . وأُعْرَف بعُلَيّان الكوفى . قلت له أنت عُلَيّان الكوفى ؟! قال : نعم . قلت : فمن حبسك هٰهنا ؟ قال : الحب ينطق ، والحياء يسكت ، والحرق يقلق ، فتغير لونى ، وارتعدت فرائصى ، فقلت : ياعلى ما أطيبُ العيش ؟ قال : إذا قذف بك فى عين الأنس فكلك معه فى الجنة يكلمك بكلام السرور !

قلت : ياعلى ، فما بلغ بك ما أرى ؟! قال : كنت عاقلا ظريفاً ، وكان المدبّر والسايس غيرى ، وأنا منبوذ بين كنفه وعطفه ، فإن شاء عفا ، وإن شاء عاقب ، وإن شاء أبلى ، وإن شاء عافى ، أو هو الفعال لما يريد ، وإن الطبيعة النقية يكفيها من

---

(١) قضيب : عُود .

العظمة اللمحة ، ومن الحكم الإشارة إليها . قلت : فإنى أسترشدك . قال : إن كان همك طلب الدلالة فإن ذلك أمر لا نهاية له ، وإن كان همك وجوده فهو موجود ، فى أول خطرة ، ولو احتملت الزيادة لزدناك . قال ذو النون : فكنت رأيت كثيرا من العباد فما هبت أحداً قط منهم كهيبته !

تذكرة لعدم العصيان !

قال على بن ظبيان : أتانى عليّان ذات يوم وأنا فى دارى ، فقلت له : ما تشتهى ؟ قال :فالوذَج ، فأمرت أهل الدار فاتخذوا له فالوذجاً ، وقدم إليه فأكله ، ثم قال : ياعلى ، هذا فالوذج العوام فهل لك فى فالوذج[1] العارفين ؟! قلت : نعم . قال:خذ عَسَلَ الصّفا ، وسُكّر الوَفا ، وسَمْن الرّضا ، ونَشَا اليقين ثم ألقها فى طنجر التّقى ، ثم صُبّ عليها ماءَ الخوف ، وأوقد تحتها نارَ المحبة ثم حركها بأسطام[2] العصمة ، ثم اجعلها فى جام الذّكر ، ثم روّحْها فى مِرْوَحة الحمد ، حتى تبرد ، ثم كلْها بملْعَقة الاستغفار ، فإنك إن فعلت ذلك ضمنت لك ألا تعصى ربك أبداً» .

كنا اثنين فصرنا ثلاثة !

قال زهير بن حرب : أمر الخليفة موسى الهادى بإحضار بهلول وعُلَيّان ، فأحضرا ، فلما دخلا عليه قال لعليان : أَيْش معنى عليان ؟ قال عليان : وأيش معنى موسى أطبق[3] ؟ فغضب الهادى وقال : خذوا برجل ابن الفاعلة ، فالتفت عُلَيّان إلى بهلول وقال : خذها إليك كنا اثنين فصرنا ثلاثة .

مع عليان فى يوم العيد !

قال أبو جعفر السباح : لقيت عليان يوم العيد على شدة شوق إليه ، وقصد مقبرة فلما توسطها ، رفع رأسه وقال : اللهم بك صام الصائمون ، ولك قام القائمون ، وقربوا قُربانهم ، ودخلوا منازلهم ، وأَنِسُوا بأهاليهم ، وقد قَرّبتُ قُرْبانى . فليت شعرى . ما صنعت بقربانى ؟! اللهم إنى أصبحت لا منزلَ لى ، ولا عِندى طعام فاجعل قُربانى منك بالمغفرة ، فلما رآنى أرمقه ، وثب هاربا على وجهه .

(١) الفالوذ أو الفالوذج حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .
(٢) الأسطام بالكسر : المِسْعَر (حديدة مفطوحة يحرك بها النار) . .
(٣) كانت شفته العليا فى صغره لا تلتقى مع السفلى فوكل به أبوه خادما كلما رآه مفتوح الفم يقول له : ياموسى أطبق . فيضم شفتيه ويطبقهما وشهر بذلك .

مناجـــاة !!

وقال أبو على السيرافى : اشتقت إلى عليان لما كان بلغنى عنه ، ودخلت الكوفة فى طلبه ،فقالوا : هو فى المقبرة ، فدخلت المقبرة فلما رآنى هرب ، فدخل مسجدا ، ورَدّ الباب ، فدخلت عليه ، فإذا هو فى صلاة فلما فرغ أقبل على مناجاته فقال : إليك توجَّهَت الطالبون . وأرادوك ، وإياك قصد المحبون واشتاقوك فآثروك ، فدنوت منه فقلت : أحب أن تجيبنى . فقال : نعم . فجئت إلى منزلى به ، وقلت : ما تشتهى ؟ فقال : ما اشتهيت مذ أربعين سنة إلا المولى ! قلت : ألا أتخذ لك عصيدة جيدة ؟ قال : هذا إليك . فاتخذت له عصيدة بالسّكر ، ووضعتها بين يديه . فقال : لا أريد مثل هذا ، ولكنى أريد على الصّفةِ التى أصفها لك . قلت : صِفها لى : قال : خذ تَمْرَ الطاعة ، وأخرج منه نوَى العُجْب . وخذ دقيقَ العبودية ، وزعفرانَ الرّضا وسمن النية . واجعل ذلك فى طَنْجير التواضع ، وصُبّ عليه ماءَ الصّفا . وأوقد تحتها نارَ الشّوق ، بحطب التوفيق ، وحرّكه بأسطام الحمد ، واجعله على طبق الشكر ، وضعه بين يدىّ فمن أكل منه ثلاث لقمات يكون شفاء لصدره ، وشفاء لذنوبه . ثم قام ونفض ذيله وأنشأ يقول :

أفلح الزاهدونـا والعابدونـا ... إذْ لمولاهم أجاعوا البطونا
أقرحوا الأعين الغزيرة شوقا ... فمضى ليلُهم وهم ساجدونا
حَيَّرتْهم مخافةُ الله حتى ... زعم الناسُ أن فيهم جنونا

٦ ــ أبو الديك

رأيه فى المعروف :

قال عبد الله بن محمد الفقيه : أرسل إلىّ عمران بن إسحاق بن الصباح ؛ فأتيته وإذا «أبو الديك» عنده . وكان حَسنَ البديهة جيدَ الجواب ، فإذا هو يتحلّب[1] ويشير إلى الحائط كأنه يكلم شيئا ، وكان ذلك لا يعتريه إلا عند الجوع[2] فقال عمران : علىّ بالمائدة. ثم قال: هلمّ. قال: هذه التى قال الله تعالى فى كتابه حكاية

---

(١) تحلّب فمُه : سال بالريق .

(٢) وكثيرا ما يسيلُ اللعاب لرائحة الشواء وغيره ! .

عن نبيه عليه السلام : ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾[1]. قال لى: يا عبد الله هذه فطن العقلاء وأذهان الحكماء . ثم أقبل على عمران وقال : أيها الأمير ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً﴾[2] فأنا مسكين يتيم أسير فى حبس شيطان قد وُكل بى — أعاذنى الله منه — ثم أقبل على الطعام فإذا فتى يُنشِدُ شِعراً :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال أبو الديك : كذب الشاعر ؛ لا يكون المعروف معروفا حتى يصرفَ فى أهله وفى غير أهله . كيف كان ينالنى منه شيء وأنا معتوه ، وكنيتى أبو الديك.

عبد الرحمن بن الأشعث

قال سيف بن سوار قاضي واسط : كان عبد الرحمن بن الأشعث الكوفى جاراً لنا وكان جميلا وسيما من أمثل أهل زمانه ، وكان يقدم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . وكان أهلُه على غير ذلك ، ثم غلبت عليه المِرّة[3] فأحرقته وطيّرته .

ماذا كان يمنعه من الرد على الصبيان ؟

وكان إذا خرج من بيته أولع به الصّبيان يؤذونه ويقولون :يادَحْمَوية فلا يجيبهم ، وإذا قيل له : ياعبد الرحمن قال : لبيتكم ، أنا عبد الرحمن فرأيته يوما والصبيان يرمونه بالحجارة ، فقلت له : ارميهم ، وكُفّهم عنك . قال : لا أفعل ؛ يمنعنى من ذلك خصْلتان : خوفُ الله عز وجل ، وأن أكون مثلهم .

فمر بى ذات يوم وأنا جالس اقرأ «كتاب الصلوات لمحمد بن الحسن»[4] وكان أخى إلى جنبى ، وكان مكتُوفا[5] أسنّ منى ، وكان أحد الصالحين .

---

(١) المائدة : ١١٤ .

(٢) الإنسان : ٨ .

(٣) المِرّة : خلط من أخلاط البدن . وهو الصفراء ، أو السوداء .

(٤) محمد بن الحسن الشيبانى (١٣٢ — ١٨٩ هـ = ٧٥٠ — ٨١٥ م) : ولد بواسط ونشأ بالكوفة ، وفيها أخذ العلم عن أبى حنيفة ثم عن أبى يوسف ، وبعد أن تمكن من المذهب الحنفى ذهب إلى المدينة فاتصل بأهل الحديث ، وتتلمذ على الإمام مالك بن أنس ثلاث سنوات أخذ عنه فقه الحديث وروى الموطأ ، ثم انتقل إلى الشام وتلقى فيها آراء إمامها الأوزاعى وفقهه ، وقد ترك تآليف كثيرة .

(٥) يشتكى كتفه ، ولعلها وكان «مكفوفاً» .

فقلت: ياعبدَ الرحمنِ لو جلست فسمعت ؟ فقال : وكيف يابن جابر ؟! إنما يصيدُ كلُّ طائرٍ قدرَه .

ثم قال : يا بن جابر لئن أعجبت بحالك عندها . ولا الذين حولك ليعجبنى أخوك هذا يوم القيامة بمكانه من الله إن شاء الله تعالى . فبكى أخى حتى سقط على وجهه وهو واقف ينظر إليه . ثم قال : يابن جابر كأنى أنظر إلى استبشار الملائكة ببكائك فغُشِيَ على أخى فحُمِلَ ، ثم قال : ياسيف بن جابر : اخْزُن لسانك كما تخزُن دراهِمَك ، وإذا أعجبك الكلامُ فاصمُتْ . قال : فقلت له : اجلس . وما أقول لك إلا لآنس بك . قال : أقول يابن جابر . ما قال نبيه أيوب عليه السلام: ﴿رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾[1] فما بقى منا واحد إلا بكى ! فقال : ما يبكيكم ؟ أليس يكفى لى خيراً مما أخذ منى حُبّهُ وحُبُّ أنبيائه وصالِح عباده وتقديم أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . ثم ولى هاربا .

أنسى فى الوحدة !!

قال سيف بن جابر : خرجت يوماً إلى الجَبّانة فى جنازة ، فلما دفناها ، جعلت أدور فى المقابِر فإذا أنا بعبد الرحمن بن الأشعث جالس بين قبرين واضع خده على ركبتيه وهو يقول : شردتنى فى البلاد ، وطيرتنى فى الجبانين ، وآنستنى فى القبور . ثم قال : أستغفر الله أمَا إنى أعلم أنك مأمورة ولو عصيتِ الله لسلط عليك من هو شرٌّ منكِ علىّ. قال: فقلت: ياعبدَ الرحمن: من تكلم؟ قال: هذه المسلَّطة على! قلت : ومن هى ؟ قال:المِرّة . قلت : فلو دعوت الله سبحانهَ رجوت أن يذُهبها عنك . قال : يابن جابرِ ربما دعوتُ الله ، وربما سمع ، وهو الفعال لما يشاء ! فأما دعائى فاستغاثة بالله ، وأما إمساكى فتسليم لأمر الله ، ورضىً بقضائه . قلت : أفلا أجلس معك أونسك ؟ قال لى : لا قد جعل الله تعالى أنسى فى الوحدة ، كما جعل أنسك فى حِلَقِ الفِقْه .

ثم قال: ياسيف بن سوار ، أليس يُروَى : أن مورقاً العجلى قال : إنى لأسأل الله تعالى حاجةً منذ عشرين سنة ما أُعطيتُها ، وما يئست منها ؟! قلت : بلى ! قال لى وَهو مغضب بأرفع صوته:ياسيفُ ، والله لو قطعنى جذاماً وبرصاً لعلمت أن ذلك له ، وأنه الحكم العدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد !!

---

(١) الأنبياء : ٨٣ .

٧ ــ فليت

لا يحب أن يكون خليفة !

قال محمد بن عبد الرحمن الكوفى : كان لنا جار يقال له : «فليت» وكان معتوها له خالة ، وهى عجوز كبيرة ، قد أدركت عجائز الحى ، فكنت أتحدث عندها ، وكان لها عقل ودين . فكنت عندها ذات يوم إذ دخل «فليت» . فقلت له : يافليت أيسرك أنك أمير المؤمنين ؟ فقال : لا . فقلت : ولم ؟ قال: يثقل ظهرى ، ويكبر همى ، وتنسينى النعمُ ذكر ربى ! قلت : وفى الأرض عاقل لا يتمنى أنه خليفة ؟ قال : وفى الأرض عاقل يتمنى أنه خليفة !!

زاده إلى عشرة أيام !!

قال محمد بن ثابت : لقيت «فليتا» فقلت له : ما تشتهى ؟ قال : عصيدةً فجئته بها ، وأدخلته بعض المساجد فأكل حتى أتى على آخرها ، فظننت أن به جوعا فقلت : أتحتاج الزيادة ؟ فقال : لا ياأخى هذا زادى إلى عشرة أيام !!

ماذا كان يقول عندما يرمى بالحجارة ؟

قال عمرو العسكرى : رأيت «فليتا» يوما والصبيان يرمونه بالحجارة. وهو يقول : ﴿ولَمَنْ صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾[1] .

وَاوَيْــــلاَه !!

قال: ومرّ بى يومًا فقال لى : كم بقى من الشهر ؟ فقلت : ثلاثة أيام . قال : وَاوَيلاه ! انقضى الشهر ولِم أتزود فيه لمعادى!!

٨ ــ قِديس البصرى

لا طاقة لفتى بالكتمان !

قال رجل من الأنصار لقديس البصرى ــ وكان موسوساً ذاهب العقل ــ: ياقديس ، ألا تعدو من الصباح إلى الرواح ؟! أيوجعك جسدك إذا جاء الليل ؟

---

(١) الشورى : ٤٣ .

فقال :

إذا الليل ألبسنى ثوبه ثقلْتُ فيؤنسنى الموجعُ
رأيت التّصَبُّرَ ستر الهوى إذا اشتملت قوة الأضلعُ
وكيف يطيق فتى كتمه وأجفانه أبدا تدمع ؟!

فقلت: أسألك عما يشتكى جسدك فتنشدنى الشعر ؟! فقال: يابن الفاعلة قد أجبتك . فقلت : أتسبنى وأنا سيد من سادات الأنصار ؟! فقال :

وإن لقوم سوّدُوك لحاجةٍ إلى سيِّدٍ لا يظفرون بِسَيِّد

قال صالح السرى: قدم علينا محمد بن السماك العابد فقال: أرونى عُبّادكُم فذهبت به إلى قديس ، وقرأت : ﴿ **إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يُسْحَبون. فى الحميم ثم فى النار يُسْجَرون** ﴾[1] فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على هذا الحال .

٩ ــ *أبو سعيد الضبعى*

سؤال عن الأفضل والأحب :

قال سعيد بن عامر : مر بى أبو سعيد الضبعى ذات يوم ، فقلت له : ألا تجلس عندى ساعة ؟! قال : بلى متزينا بمجالستك ، فجلس ، فقلت : ياأبا سعيد ، ما أفضلُ الكلامِ ؟ قال: شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ .

قلت : وأى الأعمال أفضل ؟ قال : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام ، وبر الوالدين .

قلت : فأى الرجال أحب إليك ؟ قال : أحسنهم .

قلت : فأى النساء أحب إليك ؟ قال : المتحببةُ التقية . وإن كانت قبيحة .

لا يقول بقول المذاهب الباطلة !

قال بكار بن على : قلت لأبى سعيد يوما : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت

---

(١) عافر : ٧١ــ٧٢ .

مؤمنا بالله[1] ، لا أقول بقول القدرية ، ولا المرجئة ، ولا بقول الجهمية ، ولا الرافضة ، فقال : أما القدرية :

فتزعم أن العبد لو لقى الله بمثل حَبةِ خردلٍ من المعاصى مصرّا عليها كان فى نار جهنم ، مخلداً .

قال : وأما المرجئة :

فتقول : من لقى الله بشهادة لا إله إلا الله ، فهو فى الجنة وإن زنى وإن سرق .

وقالت الجهمية :

عِلْمُ اللهِ مخلوقٌ فكفرت بالخالق .

وقالت الرافضة : بعث جبريل عليه السلام إلى علىّ فغلط ؛ فجاء إلى محمد فكفرت بالله ،وجحدت محمدا ﷺ .

قلت:فما تقول أنت ؟ قال : أقول خلق الله الخلق كما يشاء لا كما يشاءون ، فمن عذبه منهم عذبه غير ظالم ، ومن رحمه فرحمته وسعت كل شئ عز وجل أن يقال له : لم ؟ وكيف ؟ فقد قال تعالى فى كتابه العزيز:﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يُسْألُون**﴾[2] .

ثم قال يابن عامر ، هل أنكرت شيئاً ؟ قلت : لا .

مـؤمن مـذنب !

سعيد بن عامر قال : كان بالبصيرة والٍ يقال له محمد بن سليمان ، وكان كلما صعد المنبر أمر بالعدل والإحسان ، فاجتمع قوم من نُسَّاكِ البصرة ، فقالوا : ما ترون ما نحن فيه من هذا الظالم الجائر وما يأمر به ؟! فأجمعوا أن ليس له إلا أبو سعيد الضبعى ؛ فلما كان يوم الجمعةاحتوشوا[3]أبا سعيد ، وكان لا يتكلم حتى يحرك ،

(١) جاء فى شرح العقيدة الواسطية أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل هم الوسط فى فرق الأمة . كما أن الأمة هى الوسط فى الأمم . فهم وسط فى باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل (الجهمية) ، وأهل التمثيل (المشبّهة) . وهم وسط فى باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية وغيرهم . وفى باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القُدرية وغيرهم وفى باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية . وفى أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج .

(٢) الأنبياء : ٢٣ .

(٣) احتوشوا : التفوا حوله .

فلما تكلم محمد بن سليمان حركوه ، وقالوا : ياأبا سعيد ، محمد يتكلم على المنبر ، يأمر بالعدل والإحسان ، فقال : يامحمد بن سليمان ، إن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[1] يا محمد بن سليمان ، إنه بينك وبين أن تتمنى أنك لم تخلق إلا أن يدخل ملك الموت بيتك . قال : فخنقت محمد بن سليمان العَبْرة ، ولم يقدر على الكلام ، فقام أخوه جعفر بن سليمان إلى جانب المنبر ، فتكلم عنه ، فقال : فأَحَبَّته النُّسّاك من حين خنقته العبرة فقالوا : مؤمن مُذنب .

قال سعيد بن عامر : كان لجعفر بن سليمان جارية اسمها «الخيزران» وكان مفتونا بها وشُهِرَ ذلك بالبصرة ، فركب يوما فى جماعة من الموالى ، يريد الجمعة ، فمر بأبى سعيد الضّبعى ، فلما حاذاه ، قيل لأبى سعيد : هذا جعفر ، فرفع رأسه ، وقال : ياجعفرُ ، تحب خيزران ؟! قال : نعم . فقال أبو سعيد :

نبئتها عَشَقِتْ حِشّاً؛ فقلت لها: لا يعشَق الحشّ إلا كلُّ كنّاسِ[2]

قال : فضرب جعفر وجهَ دابّته ، ومضى حياءً من الناس ، وله حكايات اكتفينا منها بهذا القدر .

١٠ ــ جعيفران

مقدرته الشعرية :

قال محمد بن جعفر الدِّينَوَرِىّ : لقيت جعيفران الموسوَس وقد جاء إلى على بن إسماعيل الهاشمى الملقب بالظاهرية وكانت له هيبة ، فوقف بين يديه ، فقال : أعطنى درهما فرماه الغِلْمان ونَحّوه . فقال :

قد زعم الناس ولم يكذبوا أنك من غير بنى هاشم

فقال على بن إسماعيل : فضحنى والله ، وهَمّ بقتله . ثم قال : يا جعيفران ما تريد؟ قال : درهماً صحيحاً ، ورغيفاً حُوّارَى[3] وفالوذجاً ، فجئ بها ، وقعد ، وأكله أجمع . وأخذ الدرهم وقال :

فكَذّبَ الله أحاديثهم ياهاشمىَّ الأصل من آدم

(١) الصف : ٢ـ٣ .

(٢) الحشُّ: موضع قضاء الحاجة . وهى مثلثة الأول .

(٣) الحُوّارَى : الدقيق الأبيض .

قال عبد الله بن عثمان : أبطأ عنا جعيفران يوما ثم عاد إلينا وهو عُريان ينشد ــ والصبيان يرمونه بالحجارة ــ ، فسلم عليّ ، وقال : ياعبد الله :

رأيت الناس يدعوني ... مجنونا على حال
ولو كنت كقارون ... وفرعون بإقبال
وما ذاك على حق ... ولكن هيبة المال

قلت : أيحضرك شيء على غير هذه القافية فى هذا المعنى حتى نعلم أنك شاعر ؟ فقال :

رأيت الناس يدعولى ... بمجنون على عَمْدِ
ومالى اليوم من حُسْن ... ولا لبس ولا عقد
ولو كنت كقارون ... ووالى رَحْبةِ الجُند
رأونى راجحَ العقل ... جميلاً حَسَنَ القَدّ
وما ذاك على حقٍّ ... ولكن هيبةُ النقد

فقلت : أعندك مزيد على هذا ؟ فإن جئت بالثالثة أقررت لك بأنك شاعر ، فأطرق ثم قال : قم بنا إلى المنزل فقمنا معه فقال :

رأيت الناس يرمونى ... بَوسْواس فى...لأيامى
وما كنت أخا مُوقٍ[1] ... قديما قبل تَهْيَامى
ولكنى أرى ذاك ... لإدقاعى وإعدامى
ولو كنت أخا ملكٍ ... وإسراج وإلجام
إذاً أكرمنى الناس ... ولم أرْمَ بإلمام
وكانوا كل أوقاتٍ ... يُبَاهون بإكرامى

قال : فأدخلته منزلى وغذّيته ، وقعدت أنا وقوم من أصحابنا ، ثم عاتبناه على ما يصنع بنفسه ، ووبخناه بأنواع اللوم ، فأنشأ يقول :

رأيت الناسَ أحياناً ... ليرمونى بوسواسِ
ومن يَضْبِطْ ياهذا ... مقالَ الناس فى الناسِ
فدع ما قاله الناسُ ... وعجّل صفوةَ الكأسِ

---

(١) موق : حمق .

فإن الناسَ يفرون بأمثالي وأجناسي
ولو كنت أخا ملك أتوني بين جُلاّسي
يقومون ويغدون على الرجلين والراس

ثم قال : يافتى ، هذه أربعة ، وقام قومة ، فقال لي : لو جئتنا بقَيْنة[1] ! قلت : ومن يجيء بقينة بين يدى مجنون ؟! دعونا اليوم . اليوم نلهو فقد حلَّ علينا فقال :

وندامى أكلوني إن تغيبت قليلا
زعموا أني مجنو ن أرى العرى جميلا !
كيف لا أعرى وما أبـ .... صر فى الناس مثيلا ؟!
باسطا للجود كفًّا قائلا خيراً فَعُولا
إنني أهوى كرام الناس لا أهوى البخيلا
إن أكن سؤتكم اليوم فخلوا لى سبيلا
وابتغوا غيرى نديما لكم منى بديلا
ثم حَيُّوا بغناء يترك المولى ذليلا
وأتموا يومكم حـ .... ياكم الله طويلا

قال : فندمنا على ما كان منا ؛ فقلنا : معك نلذ ونفرح ، فأتيناه بثوب فطرحناه عليه وأتيناه بقينة ، فأنشدت له :

لا تَزوّجْ فتهلِكَا حذرك اليومَ حُذرُكا
إن للعُرْسِ مرجعا عينها يُورِثُ البُكا
لا يغرنك سقفُ بيـ .... تٍ وفرشٌ ومُتّكا
عن قليل يشكى إليك فترثى لمن بكا

يكتب شعرا إلى بعض الولاة وقد حجبه :

قال محمد بن مهدى الكاتب : أتى جعيفران إلى بعض الولاة وهو يأكل ، فدعى إلى طعامه ، فأكله معه ، فلما كان من الغد حجب ، فقعد على الباب ، ثم كتب إليه شعراً :

لا عليك إذن فإنّا قد تغدّينا لسنا نعود ؛ فقد كنّا تَسَقّيْنا

---

(1) قينة : جارية مغنية .

بأكلة سلفت أنقت حرارتها ماذا بقلبك قد صُمْنا وصَلَّينا

وحديث فى الحب !

أبو العباس الأسدى قال : لقيت جعيفران فقلت له : أتُجِيزُ لى هذا البيت من[1] الشعر ؟ قال : نعم بدرهم صحيح . قلت له : نعم . قال : هاتِ ، فأعطيته وأنشدته :

وما الحب إلا لوعةٌ قدمت بها عيونُ المها باللّحظ بين الجَوانِح

فتفكر ، ثم قال :

ونارُ الهوى تُطْفى عن القلبِ فِعْلَها كفعلِ الذى جادَت به كفُّ قَادِح

أُفٍّ لهذا المَسوِّف !

وأنشد أيضا :

ياواعد الوعد ليس يُنجِزُه أُفٍّ لمن لا يُتِمُّ ما وَعدا !!
أُفٍّ لمن لا يزال صاحبُه فى تعبٍ من عذابِه أبدا !
أَكُلَّ طُولِ الزمانِ أنتَ إذا جئتُك فى حاجةٍ تقول غدا ؟!
لا جَعل اللهُ لى إليك ولا عندك ــ ما عشتِ ــ حاجةً أبدا !!

عِـــــبْرة !!

وله أيضا :

لاَ تيأسَنْ إن كنت ذَا فَاقَةٍ تتعب فى نزر من الرزقِ[2]
بينا الفتى فى شر أحوالُه صاحب خلقان على الطُّرْقِ
صار أميرا ، إن ذا عِبرة وقدرةٌ لِله فى الخلق !

مهارة فى التصريع :

وذكر ابن أبى خالد قال : كان بعض أصحابنا لقى جُعَيْفران فقال له : مِصْراع[3]

(١) الإجازة مباراة شعرية . يأتى شاعر ببيت له وزن وقافية مخصوصان فيأتى الآخر ببيت مماثل ينبنى على الأول ويشكلان مقطوعة شعرية نظمها شاعران .

(٢) الفاقة : الفقر .

(٣) بيت الشعر له مصراعان أى شطران ــ كمِصْراعى الباب ــ «درفتيه» كما تسميهما العامة . وهذا أيضا لون من المباراة الشعرية حيث يأتى شاعر بالشطر الأول من البيت ينتهى بحرف يشير إلى قافية البيت فى الشطر الثانى ، ويكون على من يقبل التحدى أن يتم الشطر الثانى فى وزن الأول ومتفقا معه فى نهاية الشطر وذاك يسمى تصريعاً .

بيتٍ إن أتممته فلك درهم قال : هات . قال :

ألا عجزت عن الصبر العقول ....

فقال بالبداهة : **لأن سبيله مُرٌّ ثقيلُ !!**

١١ ـــ سهل بن أبى مالك الخزاعى

هات الدرهم :

قال عبد الله بن إدريس : مررت بابن أبى مالك فقال : اسكت وغضب ، وانقلبت عيناه ، فإن أعمالك كلها حائدات[1] . قال : فوالله لقد داخلنى من الفَرَق[2] منه أمر عظيم ، فلما كان يوم الجمعة حملت معى ثلاثة دراهم فأمرت إنسانا بطلبه ، فوجدته ، فدفعت إليه الدراهم ؛ فتبسم يحسَبنى أنى أكلمه ، فوقفت حيث أراد .

رأيه فى النبيذ والغناء !

ثم أقبل علىّ فقال لى : قل : قلت يابن أبى مالك : ما تقول فى النبيذ ؟ قال : حلال . قلت : تشربه ؟ قال : إن شربتُه فقد شربَه وكيع وهو قدوة ، قلت : تَقْتَدى بوكيع فى تحليله ولا تقتدى بى فى تحريمه ، وأنا أسن منه؟ فقال: إن قول وكيع مع اتفاق أهل البلد معه أحب إلىّ من مقالتك مع اختلاف أهل البلد عليك! .

وقلت له : ما تقول فى الغناء ؟ قال : قد غنى البراء بن مالك ، وعبد الرحمن بن رواحة ، وسمع الغناء ابن عمر ، وكان عبد الله بن جعفر من التابعين ، وأمسك .

فقلت له : سمّيت جماعةً من الصحابة ، وأمسكت عن عبد الله بن جعفر ؟! فقال : لأنك سألتنى عن الغناء ولم تسألنى عن ضَرب العيدان !!

علمـه بالشــعر :

قال بكار بن على كان:« **سهل بن أبى مالك الخزاعى المجنون** » عالما بالشعر قال له رجل من أصحابنا : ما أجود الشعر ؟ فقال :ما لا يحجبه عن القلب حاجب ، مثل

---

(١) أى مائلات عن الصواب ، وحادّات : أى تغاضب الله !

(٢) الفَرق : الخوف .

قول جميل :

ألا أيها النُّوَّام وَيْحَكُمُ هُبُّوا أسائلكم هل يَقْتُلُ الرجلَ الحبُّ ؟!

فن السؤال ، وحسن الإجابة :

قال عبد الله بن إدريس: خرجت من عند عيسى بن موسى، فأنا عند طاق المحامل إذا أنا بابن أبى مالك المجذوب جالس ، قد نكسَ رأسَه كالمغشىّ عليه ، فوقفت علىْ رأسه فقلت : يابن أبى مالك ، فانتبه فزعاً فقال : ما تشاء ؟! قلت:أى شئ أعجب معنى ؟ قال : لو قلت : أى النساء ؟ لقلتُ : بيضاء شقراء مجدولة شَهْلاء .

ولو قلت : أى الرجال أعجب إليك ؟ لقلت : أصحهم جوابا ، وأحسنهم مسألة .

فغير مسألتى إياه ، ومدح إجابته إياى .

نقد لاذع :

قال:فلما وليت ، سمعته يقول : انظروا إلى ابن إدريس .

أَبا خالِدٍ لازلتَ سَبّاحَ غمرةٍ صغيرا فلما شِبْتَ خيَّمْتَ بالشّاطِى
كِسنّورْ عبدِ الله بيعَ بدرهم صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراطِ

قال: فقبعْت رأسى ، ودخلت فى أضعاف الناس ، ولم أعد بعدها إلى مسألته .

لقطات من حياته :

قال ابن إدريس: مررت ذات يوم جمعة بابن أبى مالك فسألته: متى تقوم الساعة؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ؟ غير أن من مات ، فقد قامت قيامته . والموت أول عَدْلِ الآخرة .

فقلت له : المصلوب يعذب ؟ قال : إن كان مستحقا فرُوحُه تعَذّب . وما أدرى ! لعل البدن فى عذاب من عذاب الله ، لا تدركه عقولُنا . ولا أبصارنا فإن لِلّه سبحانه لطفاً لا يُدرك .

وكان جالسا فى موضع رماد . ومعه قطعة جصّ[1] يخط بها فيستبين بياضُ

(١) الجَصّ بفتح الجيم وكسرها ما يطبخ فيصير كالحجارة فيبنى به ، وتسميه العامة (الجفصين) يونانية وما تطلى به البيوت من الكِلْس : وهو ما يقوم به الحجر والرخام بإحراقهما .

الجِص ، فى سواد الرماد . فقلت له : يابن أبى مالك أيْش تصنع[1] ؟ قال : ما كان يصنع صاحبنا . قلت : ومن صاحبكم ؟ قال: مجنون بنى عامر . قلت : وما كان يصنع ؟ قال : أما سمعته يقول :

وما لى بها من حيلةٍ غيرَ أننى بلَقْطِ الحَصَى والخطِّ فى الدارِ مُولَع

قلت : ما سمعته . فضحك ، وقال : أما سمعت قول الله سبحانه : ﴿ **ألم تر إلى ربّك كيف مد الظلّ** ﴾[2] فهل رأيته ؟ هذا يابن إدريس كلام العرب !

بين يدى رب العالمين :

قال : ومرّ بى — وأنا فى المسجد — فصحت به ؛ ليعطف[3] ، فقال :

أقبِلْ علىّ إن أنتَ بينَ يدىّ فأنت بين يدى رب العالمين

قال ابن إدريس: فأفزعنى والله !

١٢ — أبو نصر الجهنى

جلوسه مع أهل الصُّفة :

قال ابن أبى فديك : كان عندنا رجل يُكْنَى «أبا نصر» من جهينة ، ذاهب العقل ، وكان يجلس مع أهل الصُّفّة[4] ، فى آخر مسجد رسول الله ﷺ .

لكل سؤال جواب عنده !

وكان إذا سئل عن شىء أجاب ، فأتيته ذات يوم ودفعت إليه شيئا كان معى ، فقال: قد صادفَت مِنَّا حاجة . فقلت : ياأبا نصر ، وما الشرف ؟ قال: حَمْل ما ناب العشيرةَ أدناها وأقصاها . والقبولُ من مُحسنها ، والتجاوزُ عن مُسيئها .

قلت : فما المروءة ؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام . وتوقى الأدناسِ والآثام[5] .

---

(١) أى شىء تصنع ؟ .

(٢) الفرقان : ٤٥ .

(٣) يعطف : يميل ويجلس معى .

(٤) الصُّفة : مكان مظلل فى مسجد المدينة كان يأوى إليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول ﷺ وهم أصحاب الصُّفّة .

(٥) يقال : دَنِس ثوبه دَنَسًا ودناسة : توسخ وتلطخ . ويقال : دنس عرضه وخلقه فهو دنس والجمع أدناس . والآثام : جمع إثم . الذنب الذى يستحق العقوبة عليه .

قلت : فما السخاء ؟ قال : جهد المقِلّ .

قلت : فما البخل ؟ قال : أُفّ ! وحوّل وجهَه عنّى ! قلت : لم لا تجيبنى ؟ قال : قد أجبتك .

لقاء مع هارون الرشيد فى مسجد المدينة :

قال ابن أبى فديك: قدم علينا يوما هارون الرشيد سنة ثلاثٍ وسبعين ومائة ؛ فأخلى له المسجد فوقف على قبرِ رسول الله ﷺ ، وعلى منبره ، وفى موقف جبريل عليه السلام ، واعتنق اسطوانة التربة . ثم قال : قفوا بى على الصُّفة ؛ فلما أتاهم حُرِّك أبو نصْر ، وقيل له : هذا أمير المؤمنين ! فرفع رأسه إليه وقال : أيها الرجل ، إنه ليس بين عباد الله وأُمّة رسولِ الله ﷺ وبينك وبين رعيتك وبين الله خلق غيرك .

وإن الله سائلك عنهم ، فأعد للمسألة جوابا ؛ فقد قال عمر بن الخطاب : لو ضاعت سَخْلَةٌ[1] على شاطىء الفرات ، لأُخذ بها عمر يوم القيامة ! . فبكى هارون ؛ ثم قال : ياأبا نصر ، إن رعيتى ودهرى غيرُ رعيةِ عمرَ ودهرِه . قال : دع عنك هذا ، والله غير مغنٍ عنك ! فانظر لنفسِك فإنك وعمرَ لتُسألان عما خَوّلكما الله .

قال : ودعا هارون بمائة دينار ، فقال : ادفعوها إلى أبى نصر ، فقال أبو نصر : ما أنا إلا رجل من أهل الصُّفة ؛ فادفعوها إلى فلان يفرقها بينهم ، ويجعلنى رجلاً منهم .

بركـــة دعائـــه !

قال ابن أبى فديك : أجْدَبَت المدينة فى سنة ، واشتد حال أهلها ، وانكشف حال قوم كانوا مستورين بها ، فخرجوا يدعون ، وإذا أبو نصر جالس قد نكس رأسه ، فقلت : ياأبا نصر ؛ أما ترى ما فى أهل حرم رسول الله ﷺ ؟! قال : بلى . قلت : أفلا تدعو لعلّ الله أن يُفَرِّجَ عنهم ؟! قال : بَلَى . وحوّل وجهه إلى القبلة ، وقال : اجلس بجنبى ، فجلست ، فانكبّ وعفّر وجَهه فى التراب ، ثم رفع رأسَه وقال : يافارجَ الهَمِّ ، وكاشفَ الغَمِّ ، ومجيبَ دعوة المضطرين ، رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمَهما . صَلّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ وفَرّج ما أصبح فيه أهلُ حَرَمِ نَبِيِّكَ . ثم

---

(١) السّخلة : ولد الشاة . وجمعها سِخَالٌ .

غلب ، فذهب ، فقمت من عنده ، فوالله ما خرجت من السوق حتى رأيتُ الشمسَ قد تغطت ، فرفعت رأسى فإذا رَجْلٌ[1] من جَرَادٍ أرى سوادَهن فى الهواء فما زلن يَسْقُطْن ، وأنا واقف أنظر حتى ملأت المدينة ، فاشتغل كل قوم بما فى دارهم من الجراد فحشوا الأجواف ، وطحنوا ، وملحوا ، وملأ الناس الجرار ، والجباب ، والقواصير[2] ، والبواقى جانب بيوتهم ، ثم نهض بعد ثلاثة أيام فانتشر فى أعراض المدينة ، لم يخرج منها إلى غيرها ، ثم ما مرت بنا ثلاثة إلى أن جاءنا عشر سفاين إلى التجار ، فإذا هى فى الوقت الذى دعا فيه أبو نصر . فرجع السعر إلى أرخص مما كان ، ورجعت حال الناس إلى أحسن ما كانت ، فأتيت أبا نصر ـــ وهو فى مسجد رسول الله ﷺ ـــ فقلت : يا أبا نصر ، ألا ترى إلى بركة دعائك ؟! فقال:لا إله إلا الله ، هذه رحمة الله التى وسعت كل شىء .

أبو نصر فى يوم الجمعة :

وقال ابن أبى فديك : كان أبو نصر يخرج كل جمعة ، فيدخل السوق ، فيقف على مَرْبَعةٍ[3] ، ويقول : أيها الناس ﴿**واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولا يُقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون**﴾[4] .

إن العبد إذا مات صحبه أهلُه ومالُه وعملُه ، فإذا وُضِع فى قبره رجع أهلُه ومالُه ، وبقى عملُه ، فاختاروا لأنفسكم ما يؤنسكم فى قبوركم ، رحمكم الله .

ثم لا يزال يفعل ذلك فى مربعة مربعة حتى يأتى مصلى رسول الله ﷺ .

ثم يمضى إلى الجمعة فلا يخرج إلا للطُّهور حتى يصلىَ العشاء الأخيرة .

١٣ ـــ حيان بن خيثم المجنون

لقاء معه :

قال عطاء السلمي : مررت ببعض أصدقائى ظاهر البلد ، فنادانى وسألنى أن أبَرّ قسَمه ، وناولنى سُكَّراً وسمناً ونَشاً ، وقال : أصلحه لى ، فأمرت مَنْ يُصْلِحُه ، ثم أخذته تحت كسائى أمُرّ به إليه إذا أنا بحيان بن خيثم المجنون ، فقال : ما معك ؟ فقلت : شىء أصلحته لبعض أصدقائى . فقال : اكشف عنه ، فكشفت ، فقال :

---

(١) الرَّجْل : القطعة العظمية من الجراد .

(٢) القواصير : جمع قَوْصَرَّة وهى وعاء للتمر من قَصَب .

(٣) المَرْبعة : القوم يجتمعون على شىء .

(٤) البقرة : ١٢٣ .

ارفعه فإن نفوسنا نفرت من أن تأكله ! قلت : فما تريد ؟ قال : «فالوذج العارفين» ! قلت : وما هو ؟ قال : خذ قند[1] الصفا ، وسمن البها ، وزعفران الرّضا ، وماء المراقبة ، وانصب طنجير القلق ، وأوقد تحتها حطب الحرق ، واعقده باصطام الحياء ، ونار الشوق حتى يُزْبد زبد الصبر ، ويرغو رغوة التوكل ، ثم ابسطه على صحاف الأنس ، ثم كله .

قلت : فإذا أكلته ؟ قال : تضجّ أوجاع القلب إلى مداويها ، وتشكو ألم الضمير إلى مُبليها ، وتبكي العيون عن محبة مُبكيها شوقا إلى من تؤنسه محبتها ، ثم أنشد فقال :

فهامَ بحبِّ اللهِ فى القفْر سابحاً ... وحطت على سوق القدوم رواحله
نهاه النهى فارتاع للخوف باطنه ... وخاف وعيد الله فالحق شاغله
فلما جرى فى القلب ماءُ يَقينه ... فأنبت زرعاً لم تجف سنابله
طوى دهره بالصوم حتى كأنما ... عليه يمين أنه لا يزايله
فعاد بحزن قد جرى بضميره ... تنوح به أعضاؤه ومفاصله
يَسرُّ الفَتَى ما كَان قَدّمَ مِنْ تُقىً ... إذا عرف الداءَ الذى هو قاتِلُه

يخاطب قبرا :

قال عطاء : ومررت به يوما وهو فى المقْبَرة واقف على قبرٍ يخاطبه فقلت : من تخاطب ؟ قال : صاحب هذا القبر ؛ فإنه كان صديقى ورفيقى ! قلت : وما قلت ؟ قال : أقول :

يا صاحبَ القبر يا مَنْ كان يأنس بى ... وكان يكثر فى الدنيا موافاقى

قلت : وما جاوبك ؟ قال : قال :

شُغُلِتُ عنك بشئٍ لستُ واصِفَه ... من الغُموم ولَوْعاتٍ وبرحات

حَيّان فى أزقة البصرة :

قال عطاء : مرّ بى يوما فى أزِقّة البصرة ، فقلت له : كيف أصبحت ؟ قال :

أصبحت لا أعرفُ ما صَباحِى ... من الهموم لا ولا رَواحى
أفْرِطُ فى جُرمى وفى اجْتراحى ... فصرت كالبازى بلا جَناح

---

(١) القند : عسل قصب السكر إذا صفا . والطنجير : وعاء واصطام : حديدة يحرك بها .

١٤ ــ همام

همام والاعتزال :

قال قاضى أرّجان[١] : كان أبو همّام يقول بالاعتزال[٢] ، وكان همّام ولده يقول بقوله ؛ فغُلب على عقله ، فتاه ، فقيد وشُدّتْ يدُه إلى عنقه ، قال : فدخلت عليه ، فجلست بعيداً خوفا منه ، وقلت له : يا همّام كيف تجدك ؟ فقال لى : اسكت يا قَذِرىّ ، فقلت له : يا سُبْحانَ الله ! ما هذا الجواب ؟ أليس مقالتنا ومقالتك واحدة ؟! قال لا ، ولا كرامة لك يابن الفاعلة ! إنى نظرت فى مقالتك ومقالة عمك الضالّ المفتون فوجدتكما كافرين بالله تعالى ! فقلت : كيف ؟ قال : إنكما تزعمانَ أن الله سبحانه جعل فيكما استطاعةً ، تغلبان بها استطاعةَ الله تعالى ! وأنت يا بن الفاعلة تزعم أن الله سبحانه وتعالى لم يقض عليك الزنا ، وأنت قضيته على نفسك ، فتبارك الله فى حكمه .

وزعمت أن الله لو قال لك افعل فلعنك الله ولعن عمك .

قلت له : فأى قول أخذت لنفسك ؟ قال : رددتُ الأمورَ إلى مدبرها وخالقها ، وعلمت أن خيرها وشرها ونفعها وضرها منه .

قلت : ليتك مت قبل هذا الوقت ! فقال لى : يا بن الفاعلة ، الله سبحانه أرحم بى ، أمهلنى إلى هذا الوقت الذى عرفت فيه رشدى .

حوار ساخن حول العدل والجور !

شعيب بن مخلد الدهان : قال دخلت عليه يوما فقلت له : ياهمام ، ما هذا الذى يبلغنا عنك ؟ قال : وما يبلغكم عنى ؟! قلت : بلغنا أنك انتقلت من القول بالعدْل إلى القول بالجوْر .

قال له همام : يا بن الفاعلة ، لو كنت تقول بالعدْلِ لرددتَ الأمورَ إلى مدبرها وخالقها ! وبعد : فأنت تقول بالعدل ، وتفشى الإثم ؟ ، فرماه بحجر فلم يزل يعرج منها .

---

(١) أرّجان : مدينة فى إيران على الطريق بين شيراز والعراق كانت فى القرون الوسطى شهيرة بصناعة الحرير .

(٢) يرى رأى المعتزلة : وهم فرقة من المتكلمين يخالفون أهل السنة فى بعض المعتقدات . على رأسهم واصل بن عطاء الذى اعتزل بأصحابه حلقة حسن البصرى .

١٦ ـ يوحنا

حياته وعقيدته :

قال محمد بن عبد الرحمن : كنت أنا ووكيع بن الجراح ، بفناء دار ابن صالح الجبانة ، فطلع علينا عبادى على حِمار ، وهو من أهل الحيرة يقال له : « يوحنا » وكان مَمْرُوراً[1] وكانت مِرّتُه تهيج تارةً ، وتسكن أخرى فقلت لوكيع : اسمع جواب العبادى ، فلما حاذانا ، قال له وكيع : يايوحنا ، لو نزلتَ وتحدثتَ معنا فى هذا الفناء الكئيب ؟! قال يوحنا : ياأبا سفيان نعم المجلس لمن كفى أهله مصالحهم ، فقال له وكيع : ناولنى خاتمك ، فناوله ، فإذا عليه مكتوب العزة لله .محمد خير البرية .

موقفه من الصاحبين :

قال له وكيع : يا يوحنا ، ما تقول فى تقدمة أبى بكر وعمر ؟! قال أقدمهما ، فى الإمامة ، ولا أقدمهما فى المحبة !

ثم أقبل على وكيع وقال : يا أبا سفيان وفى المحبة .

١٧ ـ أبو علقمة

سؤال من غلام وردّ لاذع !

أبو زيد النحوى قال : كنت أنا ورجل من قيس ، ومعه ابن له تُريدُ الجمعة ، وأبو علقمة على باب المسجد جالس ، فقال الغلام لأبيه : أُكلم أنا أبا علقمة . فقال : لا . فأعاد عليه الغلام ثلاث مرات ، فقال له أبوه : أنت أعلم. فقال الغلام: ياأبا علقمة ، ما بال لحِىَ قَيسٍ قليلةٌ خفيفةُ المؤنة ، ولحى اليمن كبيرة عريضةٌ شديدةُ المؤنة ؟ قال : من قول الله تعالى : **﴿والبلد الطيب يخرج نباته﴾**[2] **﴿والذى خبث لا يخرج إلا نكدا﴾** مثل لحية أبيك . قال : فجذب القَيْسِىّ يده من ابنه ، ودخلَ فى غِمارِ الناس حياءً وتسترا !

---

(١) ممروراً مصاباً بالمِرّة وهى غلبة بعض أخلاط الجسم عليه فيختل .

(٢) الأعراف : ٥٨ .

١٨ ــ نُمير

أشد الناس بلاء !!

قال على بن ظبيان : كان نُمير من نُسَّاك أهل الكوفة ، وكان قد سمع سماعاً حسنا ، وكان مواظبا على العبادات ، فعرض له ، فذهب عقله ، وكان لا يأوى سقف بيت ، إذا كان النهار فهو فى جَبَّانَةِ القبور ، وإذا كان الليل فهو فى وسط السطح قائما على رجليه فى البرد والمطر والرياح ، وكنا فى بعض ما هو فيه من البرد والمطر والرياح ، فنزل بُكْرَةَ ذاتِ يوم يريد المقابر ، فقلت : يانُمير ، تنام ؟ قال : لا . قلت : وما العلة التى منعتك من النوم ؟ قال : هذا البلاء الذى تراه بى ! قلت له : يانمير ، ما تخاف الله ! تقول : البلاء ؟! قال : أليس قد جاء فى الخبر «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل**»[1]؟! فقلت: أنت أعلم منى قال: كلّا ، ومضى !

١٩ ــ سلمة

أتؤمن بالمعاد ؟

قال الحسن بن صالح : قلت لسلمة يوما من الأيام : ياسلمة ، أتؤمن بالمَعاد ؟ ففتح عينيه ، وغضب ، وقال : نعم ياحسن ، كأنى أنظر إلى القيامة وقد قامت ، وإلى كرسىّ القِصاص وقد وضع كما شاء الله ، وإلى الموازين قد نصبت ، وإلى الصحف قد نشرت كما شاء ، وكأنى أنظر إلى فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، ولكن ياحسن ، اتّقِ الله ولا ترد أمر الله ، فقال له الحسن : وكيف أرد أمرَ الله ؟ فقال: إنكم معاشرَ الشيعة تزعمون أن أبا بكر وعمرَ ليسا إمامَىْ عَدْلٍ . وقد قال الله فى كتابه العزيز : ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾[2] فتولية أبى بكر وعمر من عدلِ الله الذى أمر به ، فإن لقيت الله بهذه المقالة لقيته وأنت من الخاسرين !

مــن دعائــه !

قال عثمان : وقلت له يوما ادع الله لى فقال : أستعيذ بالله من الشيطان .

---

(١) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء وقال : رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم عن سعد بن أبى وقاص .

(٢) النحل : ٩٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب**﴾[1] . ثم قال : ياعثمان ، إن الله — سبحانه — لم يخصّ أحداً ، ولم يحصرها عن أحد ، ﴿**فليستجيبوا لى ، وليُؤمنوا بى لعلهم يَرْشُدون**﴾[2] . فيامن أمر بذلك ، هب لنا ولعثمان العافية فى الدنيا والآخرة .

٢٠ — عشرة المدنى

مع متولّى الشرطة !

كان رجلا عجميا ، وكان يجلس تحت دار سعيد بن العاص ، فمر به يوما أبان بن عثمان ، متولى الشرطة ، فقال لصاحب بابه[3] : احجب الناس من بين يدى ، ومن خلفى . ودنا إلى عشرة المدنى ، وكان إذا قيل له : ياعشرة ، تجرد ! فقال له أبان بن عثمان : ياعشرة ، فلم يتكلم ، فألحّ عليه ، فأمسك لحيته بيده ، وتكلم بالفارسية يا «ريش»[4] كان اللحم إذا فسد دوايناه بالملح ، وإذا فسد الملح بأى شئ يُدَاوَى ؟! قال أبان بن عثمان : إذا كان الأمر على ذلك ، فمن دعاه وصاح له بهذا الاسم يعنى : «عشرة» جلدته بكذا وكذا سوطا .

٢١ — سابق

قال أبو هاشم إسرائيل بن محمد القاضى : كان بالمهرجان معتوه يقال له سابق وكان مستوحشاً مأواه الخرابات، والمقابر، والغياض[5]، وكنت أحب أن أراه وأكلمه فأتيته يوما بالمقابر ، وقد وضع رأسه على قبر فلم يشعر بى حتى سلمت عليه ، فقال : وعليكم السلام ، ثم هبته ، فرفع رأسه إلىّ وقال لى : يا إسرائيل ! قد عرفت انقطاعى ! يا إسرائيل ، خَفِ الله خوفا لا يشغلك عن الرّجاء ؛ فإنك إن ألزمت قلبَك الرجاءَ يشغلك عن الخوف .

وفر إلى الله ، ولا تفر منه ؛ فإنه يدركك ولن تُعْجِزَه .

---

(١) البقرة : ١٨٦ .

(٢) بقية الآية : ١٨٦ .

(٣) صاحب الباب : الحاجب .

(٤) ياريش : يالحيتى ، وريش : فارسية .

(٥) الغِياض جمع غيضة : الأجمة وهى مغيض ماء يجمع فينبت فيه الشجر .

ولا تُطِع المخلوقَ فى معصية الخالق .

واعلم أن لله يوما ﴿**تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**﴾[1] ثم قام فدخل الخرابات .

علمنى كلمات أدعو بهن :

فعدت إليه بعد شهر ، فلما أبصرنى هرب ، فقلت له : ياسابق ، لا أعود إليك بعدها ، فوقف . فقلت : علمنى كلماتٍ أدعو بهن فقال :

أفضل الأعمال ما أُكرِهَتْ عليه النفوس .

ثم قال : قل : اللهم اجعل نظرى عبرة ، وسكونى فكرة ، وكلامى ذكراً .

ثم تخطى حائطا من الخراب ومضى !

مـــأواه :

قال خلف بن سالم : قلت له يوما : ياأبا على ألك مأوى ؟ قال : نعم . قلت : فأين هو ؟ قال : دار يستوى فيها العزيز والذليل ، قلت : وأين هذه الدار ؟ قال : المقابر .

قلت له : ياأبا على ، أما تستوحش فى ظلمة الليل ووحشته ؟! قال : إنى أذكر ظُلمةَ اللَّحدِ ووحشَتَه ؛ فيهون علىّ ظلمة الليل ووحشته !

فقلت له : فهل ترى فى المقابر شيئاً تكرهه ؟ قال : أرى ! ولكننى فى هول ما يشغلُ عن هولِ المقابر أعاذنا الله تعالى .

٢٢ ــ *أبو جوالق*[2]

سرقت الدراهم إن شاء الله !

قال بعضهم : خرج أبو جوالق يوما، فلقيه بعض أصدقائه، فقال: إلى أين ياأبا جوالق ؟ فقال:أشترى حماراً ، فقال له صديقه : قل : إن شاء الله ! فقال : ما هذا موضع إن شاء الله ! . الدراهم فى كمى ، والحمار فى السوق !

---

(١) إبراهيم: ٤٢ ــ ٤٣ .

(٢) الجوالق: الغِرارة .

قال : ومضى إلى السوق فسرقت منه دراهمه . فعاد فرآه صديقه حزينا ، فقال له : أشتريت الحمار ؟ فقال له : سرقت الدراهم إن شاء الله[1] !

٢٣ ـ ثوبان القرميني

أقسمت عليك يامأوى همم العارفين !

قال إسماعيل بن وهب : ركبت يوما فى مركب من البصرة أريد « سيرافَ » فهاج البحر بريح شديدة ، وكان معنا فى المركب « ثوبان القرمينى » فلحظ السماء بطرفه ، وقال : أقسمت عليك يامأوى همم العارفين إلا كشفت عنا الأذى ؛ فما استتم الكلام حتى سكنت الريح ، ونجَونا .

مـــناجـــاة :

وروى عنه أنه كان إذا جَنّه الليل ، يناجى ربه ، ويقول :

ياسُرورِى ومُنْيتى وعِمادى ... وأنيسى وبُغيتى ومُرادِى
أنت روحُ الفؤادِ، أنت رجائى ... أنت لى مؤنسٌ وشوقُك زادِى

٢٤ ـ أبو الصقر

مــاذا أمــلى ؟

قال بكر بن سليمان : مررت يوما بأبى الصقر ، فقال لى : أمعك سيورجة ؟ قلت : وما تريد ؟ قال : أملى عليك شيئا ، قلت : نعم . فأخرجت لَوْحا كان معى ، فقال : اكتب :

إنّا إلــى الله وإنّا بــه ... يرتفــعُ النــاس ، وألحــط
قد صرت نِضْواً فى فراش الهوى ... كأنــى مــن فوقــه خــطّ[2]

٢٥ ـ سلمة الموصلى

من مواعظه لبعض أصدقائه :

قال نعيم الخشاب : كان سلمة الموصلى أديبا ظريفا قبل أن خُولط[3] فماتت له

(١) ويرويها العامة فى مصر على لسان جحا .
(٢) النّضو : المهزول . وفلان نِضْو سفر : أى مجهد من السفر .
(٣) خُولِط فى عقله : اضطرب عقله .

زوجة ، فخولط ، فمررت به ذات يوم ، وهو يقول لبعض أصدقائه : عليك بِقِصَرِ الأمل ، والاختلاع من الحَوْلِ ، والقُوة ، والقُدْرةِ[1]. وكل الأمورَ إلى خالقها، ومُدَبِّرها تسترجع[2] ، وإياك والكسل ؛ فإن أخذه أليم شديد .

عبــرة القبــور !

وسمعته يوما ينشد وهو واقف على قبر :

حَسْبُ الخليلين أن الأرضَ بينَهُمَا   هذا عليها ، وهذا تحتَها بالى !

قال نعيم : وكان يجلس عِندى فى بعض الأحيان ، فأُطْعِمُه ، وأسقيه ، فقلت له يوما : ياسلمة ، ما الفرق بين الفعل والفِعَال فقال : الفعل العيار فى المصنوعات وهى عام والفِعَال : فى المكارم وهى خاص .

قال :وكان عندى ليلة ، فأراد الخروج ، فهبت ريح شديدة فقال : ياغلام ، هات الهلة ، قلت : وما الهلة ؟ قال : بيت السّراج[3] !

٢٦ ــ ولهان المجنون

ولهان حول الكعبة :

كان مجنونا ذاهب العقل ، قال ذو النون المصرى : رأيت ولهانَ يوما ، وهو يطوف حول البيت ، وهو يقول : شوقُك قَتَلنى ، وحبُّك أقلقنى ، والاتصال بك أسقمنى !

فقدت قلبا يحب غيرك ، وثَكِلْتُ خواطرَ تُسَرُّ بسواك !

من أقوالــه :

وحكى أحمد بن إبراهيم الدورى قال : كان ولهان المجنون مَهيباً ذا هيبة وكان كل من يراه يهابه من سلطان أو غيره ، وكان يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وكان يقول : يأيها الناس ، تزودوا ليوم الدين ، يوم تُنْشر فيه الدواوين ، وتُنصب فيه الموازين ، وينتصف فيه المظلومون من الظالمين .

---

(١) لاحول ولا قوة إلا بالله .

(٢) إنَّا لله ، وإنَّا إليه راجعون .

(٣) بيت السراج : المِسْرَجة .

اعملوا فليس فى الأيام تراخ ، ولا فى النفس مهلة قبل أن تؤخذوا على غِرّة !

٢٧ ــ بكار المجنون

بكار يعظ أهل السوق :

قال إدريس بن عبد الرحمن : خرجت يوماً من الجامع أريد الرجوع إلى منزلى ، وإذا أنا ببكار المجنون ، وهو قائم فى السوق يقول : ﴿واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ثم تُوَفّى كلُّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[1] . فلا يزال كذلك فى مربعة مربعة حتى إذا أفَلت الشمس نادى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[2] . ثم أنشأ يقول :

ولهت قلوبُ العارفين بحُبِّه ... فتناشروا وتبايعوا الأعمالا

فى جامع البصرة :

قال على بن بكار: سمعت «بكار المجنون» فى جامع البصرة يقول : يأيها الناس ، إستحيُوا من الله حقَّ الحياءِ ، ولا تعبدوه رهَباً من نيرانِه ، ولا طمعا فى جنّاته ، بل عبودية واستحقاقا !

٢٨ ــ نقرة المجنون

الأيام الضائعة !

قال عبد الله بن محمد العتبى : بينا أنا ذات يوم فى «صحن دارى» إذ هجم علىّ «نقرةُ المجنون» فخفت منه ، وقلت : أنا بين ضربة ولطمة ! فوقف فى جِوارى ، وأنشأ يقول :

نظرتُ إلى الدنيا بعين مريضةٍ ... وفكرةِ مغرورٍ ، وتأميلِ جاهلِ
فقلتُ : هى الدار التى ليس مِثلها ... ونافستُ فيها فى غرورٍ وباطلِ
وضيعتُ أيّامى أمامى طويلةً ... بلذة أيامٍ قِصارٍ قلائلِ

ثم ولى هارباً فوثبت إلى الدواة وكتبت الأبيات ، وأغلقت الباب !

---

(١) البقرة : ٢٨١ .

(٢) الطلاق :٢ ـ ٣ .

٢٩ ـــ سمنون

مقام العبادة :

قال ابن فاتك : قلت لسمنون ، : أى منزلٍ إذا نزله العبد قام مقام العبادة ؟ قال : إذا ترك التدبير .

محبة الله :

قال وقلت له يوما : ياسمنون ، أسألك عن المحبة ؟ قال : عن محبة الله إياك تسأل ؟ أو عن محبتك إياه ؟ قلت : عن محبة الله لى . قال : لا تطيق الملائكةُ أن تسمع ذلك ! فكيف تطيق أنت ؟! وأنشد سمنون :

لاَ لِأَنِّى أنساك أُكثر ذكراك ولكنْ بذاك يَجرى لِسانى !
أنت فى النّفس، والجوارح، والفكرِ وأنت المنى ، وفوقَ الأمانى
فإذا أنت غِبْتَ عَنّى عَيَانًا أبصرَتْك المنى بكل مَكَانِ

كيف وصل إليه ؟!

وقال له بعض الخلفاء : ياسمنون ، كيف وصلت إليه ؟ قال : ما وصلت حتى عملت ستة أشياء :

أَمتّ ما كان حيًّا وهو النفس ، وأحييت ما كان ميتا وهو القلب .
وشاهدت ما كان غائبا وهى الآخرة ، وغيبّت ما كان شاهدا وهى الدنيا .
وأبقيت ما كان فانياً وهو المراد ، وأفنيت ما كان باقيا وهو الهوى .
واستوحشت[1] مما تستأنسون ، وآنست مما تستوحشون .
ثم أنشد :

رُوحى إليك بكلها قد أجمعت لو أن فيك هلاكَها ما أقلعت
تبكّى عليك بكلّها فى كلّها حتى يقالَ من البكاء تقطّعت !
انظر إليها نظرةً بمودةٍ فلربما متّعتها فتمتّعت

---

(١) استوحش الشيء كان بينه وبينه وحشة ومفارقة، فلم يأنس به، ولم يقبل عليه! وقد عدّ ثمانية لا ستة .

مناجـاة شـعرية !

وله أيضا :

لطائـف بِــرّك لا تَنقضـى ... وطاعاتُ خلقك ليست تضى[1]

تقاضـوك بِـرًّا فأوْفيْتهـم ... ولـم يقتضوا لـك ما يقتضى

ومـا تُبصـر العيـنُ يـا سيدى ... سـوى ما تُحـبِ وما تَرتضـى

هاتف يهتف به !

قال سمنون:أقمت مطروحاً على باب بنى شَيْبة سبعة أيام مهموماً فهتف بى هاتف فى آخر ليلى : من أخذ من الدنيا فوق ما يجزيه أعمى اللَّيلُ عَيْنَى قلبه !

وأنشـد :

أُجلّك أن أشكو الهوى منك! إننى ... أجلك أن تُومى إليك الأصابع[2]

فأصْرِفُ طرْفى نحو غيرِك عامِدًا ... على أنه بالرّغمِ نحوك راجع !

أى الطعام أطيب ؟!

قال : سأل سمنون : أى الطعام أطيب ؟ قال : لقمة من ذكر الله ، فى فم النفس بتوحيد الله ، رفعتها من مائدة الرضا عن الله ، عند حسن الظن بكرامة الله .

وأنشـد :

حرامٌ على قلبٍ تحرّم بالهوى ... يكون لغير الحق فيه نصيبُ

تَفَرّدَ فيه فانفردْت بحبّه ... فصـار علـىَّ شـاهدٌ ورقيـبُ

علامة من يفى له ربه :

قيل له : ما علامة من يفى له ربه ؟ قال : ياهذا اجعل قبرك خِزانَتك ، وأحْسِنْها من كلِّ عملٍ صالح ، فإذا أوردت على ربك سرك ما ترى !

لقاء مع إبليس فى المنام !

وقال سمنون:رأيت إبليس فى المنام ولاشك أنه إبليس . فأخذت عصاى لأضربَه ، فهتف بى هاتف : هو لا يهرب من عصاك ، وإنما يهرب من نور القلب !

---

(١) أى ليست بحسنة بجانب لطائف برك .

(٢) تومى : تشير . والإيماء والإشارة .

وأنشـــد :

بين المحبين سر ليس ينسبه	قولٌ ولا قلمٌ فى الخلق يحكيه
سِرٌّ يُمازجه أنسٌ ، يقابله	نور ، تحيز فى جَوٍّ من التِّيه

الحب شيء لطيف :

وله أيضا :

الحب شيء لطيفٌ ليس يُدركُه	عقلٌ ، لإدراكه عِزٌّ وتدبيرُ
لكنه فى مجارى السِّرِّ يَعْرِفُه	أهل الإشارة عز لا كَيْفٌ وتقديرُ

روّحوا القلوب :

قال محمد بن عبد الله : سألت سمنون عن قول النبى ﷺ **«روّحوا القلوب تعى الذكر»**[1] فقال : معناه روّحوا القلوبَ من همومِ الدنيا تعى أذكار الآخرة !

بيان معنى حديث :

قال إبراهيم بن فاتك: سئل سمنون عن معنى قول النبى ﷺ : **«المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»**[2] فقال: واحد منها طبع، وستة حرص؛ فالمؤمن يأكل بمعى الطبع ، والكافر يأكل بأمعاء الحرص .

وأنشـــد فى المعنى :

لئن أمسيت فى ثوبَىْ عَديمٍ	لقد بَلِيَا على حُرٍّ كريمِ
فلا يَحْزُنْك أن أبصرت حالا	مُغَيّرةً عن الحالِ القديمِ
فلى نفس ستذهب أو سترق	لعمُرك بى فى أمرٍ جَسيمِ

بين سمنون وراهب :

قال سمنون : رأيت راهباً فى صومعة . قلت له : كم لك فى هذه الصومعة ؟ فقال : منذ ثلاثين سنة . فقلت : ما أفادتك الخلوة ؟ قال : ويحك ! هل رأيت وزيراً يُخْرِجُ سِرّ أميره ؟! .

(١) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء بلفظ : «روحوا القلوب ساعةً وساعةً» وقال : رواه الديلمى ، وأبو نعيم ، والقضاعى عن أنس رفعه ، وفى رواية القلب بالإفراد . ويشهد له ما فى مسلم وغيره من قوله ﷺ : **«ياحنظلة ، ساعةً وساعةً»** .

(٢) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء وقال : رواه الشيخان عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما .

ملامحه النفسية من خلال شعره :

ومما أنشد سمنون المحب قدس الله تعالى سره :

يامَن فُؤادى عليه مَوْقُوفُ ... وكُـلُّ هَمّى إليـه مصروفُ
ياحسـرةً حسـرةً أموتُ بها ... إن لم يكن لى لديك معروفُ

ولـه أيضـا :

ألستَ لى عوضاً مِنّى كفى شرفاً ... مِماّ وراءك لى حظٌ ومَطْلوبُ
رأيت أسبابَ راحاتى بها عَطفِى ... عن العَزاءِ فصَبْرى فىَّ مَغْلُوب
لو أن أيوبَ لاقى بعضَ ضُرِّك لى ... لضجَّ من بعضِ ما لاَقيتُ أيّوبُ

ولـه أيضـا :

أفْسَدْتَنِى بهواك هل أصلحتنى ؟! ... لم أرض بعدك كائنا من كانا
مَنْ ودِّنى قد كان وُدُّك فوقَه ... فتركَتنى أتَسَخّطُ الإخوانا[1]

لماذا سمى نفسه سمنون الكذاب ؟

قال أبو نعيم الحافظ :

سمنون هو : ابن حمزة الخواص ، أبو الحسين . وقيل : أبو بكر البصرى ، سكن بغداد ، ومات قبل الجنيد ، وسمى نفسه : «سمنون» الكذاب ؟ بسبب أبياته التى قال فيها :

فليسَ لى فى سواك حظٌ ... فكيفما شئت فامتحِنّى

فحصر بوله من ساعته ، فسمى نفسه : سمنون الكذاب !

ومن شعره قوله :

وكان فؤادى خالياً قبل حُبِّكُم ... وكان بِذكْرِ الخلق يلْهو ويمرحُ
فلما دعَا قلبى هواك أجابه ... فلستُ أراه عن فنائك يَبْرحُ
رُميتُ بِبَيْن منك إن كنتُ كاذِباً ... وإن كنتُ فى الدنيا بغيرك أفرحُ
وإن كان شىء فى البلادِ بأسْرِها ... إذا غِبتَ عن عينى بِعَيْنىَ يَمْلُحُ
فإن شئت واصِلنى، وإن شئت لاتِصل ... فلست أرى قلبى لغيرك يَصْلُح

---

(١) تَسَخّطَه : لم يُرْضِه .

٣٠ ــ عبيد المجنون

فى الطريق إلى بيت الله الحرام :

قال ذو النون : أُردت الخروج إلى بيت الله الحرام ، فإذا أنا فى الطريق بفتى قد افترش التراب وتوسده وهو يئنُّ انيناً شديدا فقلت لرفيق كان معى : مُرَّ بنا نعوُد هذا العليل ، فقال : ما هو عليل ، بل هو «عبيد المجنون» فعدَلْت إليه فإذا عليه جُبَّةُ صوف خَلَق قد أدخل رأسه فى جيبها وهو يبكى[1] ويقول :

يا طبيبَ السّقامِ داوِ اعتلالى فعليلُ الفؤاد ليس يُعَادَى
أو يزورَ الفؤاد منى اللحاداً حلف السُّقْم لا يُزايلُ قَلْبى

ثم قال : عجبت ممن خلقه الله بشراً سويّاً ، وجعل له عقلا سنيا ، وبصراً مُضِيًّا ، كيف لا تهدى جوارحه ؟ وكيف لا تلوح[2] جوانحه ثم بكى ، وقال :

قطعوا اللّيالِى فى الظّلامِ فأعقبوا يوم المَعَادِ تحيةً وسلاماً

٣١ ــ عبدان

كلكم مجانين !

قال عمرو بن مدرك : مرّ «عبدان المجنون» يوما بقوم من بنى تيم الله بن ثعلبة ، فعبثوا به ، وآذوه ، فقال : يابنى تيم الله ، ما أعلم ما فى الدنيا خير منكم ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : بنو أسد ليس فيهم مجنون غيرى ، وقد قيّدونى ، وسلسلونى ، وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد واحد !

٣٢ ــ صباح الموسوس

الحزم سوء الظن بالناس !

قال محمد بن المغيرة : وقف «صباح الموسوس» على قوم فسألهم شيئا ، فردّوه ، فوَلى يقول :

أسأت إذْ أحسنت ظنى بكم والحزم سُوء الظـنِّ بالنـاسِ

---

(١) عدلت إليه : عرّجت عليه ، واتجهت لأعرف حاله ؛ خَلَق : بالٍ قديم قذر ؛ والجيب : الفتحة فى الثوب .
(٢) كيف لا تضىء جوانحه بنور الحق ؟!

أيـن مـالك ؟!

قال محمد بن المغيرة : مر «صباح» بقوم فظن خيراً ، فردّوه ، وكانوا سبعة ، فسأل أحدهم فقال : ما اسمك ؟ قال : غليظ . وقال للثانى : ما اسمك ؟ قال : الخشن ، فقال للثالث : وأنت ؟ فقال : وَعْر . فقال للرابع : وأنت ؟ فقال: شداد . فقال للخامس : وأنت ؟ فقال : رَدّاد . فقال للسادس : وأنت ؟ فقال : ظالم . فقال للسابع : وأنت ؟ فقال : لاطم . قال صباح : وأين مالك ؟ قالوا : ومن مالك يامجنون ؟ قال : ألستم خَزَنَةَ النار الغلاظ الشداد ؟!

٣٣ ـ شقران المجنون

أخرب من الدنيا :

قال أبو عثمان الواسطى : خرجنا غزاةً فى الصائفة، فنحن فى بعض الثغور إذْ رأيت الناس مزدحمين ، فجئت فإذا أنا بمجنون يقال له : «شقران» وهو يقول : الدنيا دار خراب ، وأخرب منها قلب من يطلبها .

الدنيا والآخرة :

وسمعته مرة أخرى يقول : الدنيا دار زوال وانتقال واضمحلال والآخرة دار جلال ، وجمال ، وكمال .

مَنْ الحكيم ؟

قال : وسألته من الحكيم ؟ فقال : من لا يتعرض للعذاب الأليم قلت : وما العذاب الأليم ؟ قال : البعدُ عن الكريم .

٣٤ ـ هتاهية

يا نيام ! انتبهوا !

قال محمد بن إبراهيم: قال لى أبى: كان عندنا مجنون يقال له: «هتاهية» يُجَنّ ستة أشهر . ويُفيق ستة أشهر ؛ فيكون فى إفاقته ساكتاً ، وإذا هاج أكثرَ الكلامَ وصَعَد إلى السطوح . ويقول ، يانيام! انتبهوا من رقدة الغفلة ، قبل انقطاع المهلة ، واعملوا فى إعداد العُدّة قبل انقطاع المدة ، واعلموا أن أحبالكم مقصوصة ، وأعمالكم محفوظة . والموت يأتى بغتة ! .

٣٥ ـ بكار العريان

كفى حزنا !!

قال أبو يعقوب السوسى : رأيت ببلد مجنونا يقال له «بكار العريان» على سوأته خِرقة ، وبيده قصبة ، على رأسها كالعَلَم ، وهو يعدو ويقول :

كفى حزناً أنى مُقيمٌ ببلدةٍ أحبایَ عنها نازحون بعيدُ
أقلبُ طَرْفِي فى البلادِ ولا أرَى وُجُوهَ أحبائِى الذين أُريدُ

قال : قلت : ومن أحباؤك ؟ فأخذ بيدى ، وأدخلنى المقابرَ وأشار إليها وقال : هؤلاء !

٣٦ ـ شيبان المجنون

آنسك الله بقربه :

قال سالم خادم ذى النون : بينا أنا أسير مع «ذى النون» فى جبل لبنان ، إذ قال لى مكانَكَ ياسالمُ ، لا تبرح حتى أعود إليك .

فغاب عنى ثلاثة أيام ، وأنا أتغمس فى نبات الأرض[١] وبقولها ، وأشرب من غُدْرانها ، ثم عاد بعد ثلاثة أيام مُغْبَرَّ اللَّوْنِ حائراً! فلما رآنى عادت إليه نفسه،فقلت له : أين كنت ؟ قال : إنى دخلت كهفا من كهوف الجبل ، فرأيت رجلاً أغبر أشعث نحيلا ، نحيفا ، كأنما أخرج من حُفرته وهو يصلى . فلما قضى صلاته ، سلمت عليه ، فردّ علىّ السلام ، وقام إلى الصلاة ، فما زال يركع ، ويسجد حتى قرب العصر ، فصلى العصر ، واستند إلى حجر بحذاء المحراب يسبّح ، فقلت : يرحمك الله ، توصينى بشئ ، أو تدعو لى بدعوة ؟! فقال : «يابُنى ، آنسك الله بقربه» ،. وسكت .

من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال :

فقلت : زدنى . فقال : يابنى من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال : عِزًّا من غير عشيرة ، وعلما من غير طلب ، وغنىً من غير مال ، وأنساً من غير جماعة .

---

(١) أتخذ من النبات غموساً وطعاماً .

ثم شهق شهقة فلم يُفق إلى الغد ، حتى توهمت أنه ميت ، ثم أفاق فقام وتوضأ ، وقال : يابني ، كم فاتني من الصلاة ؟ قلت : ثلاث ؛ فقضاها ؛ ثم قال : إنّ ذِكْرَ الحبيب هيجّ شوقي ، وأزال عقلي .

قلت إني راجع فزدني ! قال : أَحِبّ مولاك ، ولا تُرِدْ لحبه بديلا ؛ فإن المحبين لله هم تيجان العباد ، وزين البلاد ، ثم صرخ صرخة فحركته ، فإذا هو ميت ! ، فما كان إلا بعد هنيهة إذ بجماعة من العباد منْحَدرين من الجبل ، فصَلوا عليه ، وواروه ، فقلت : ما اسم هذا الشيخ ؟ قالوا : شيبان المجنون ! . قال سالم : فسألت أهل الشام عنه ، فقالوا : كان مجنونا ، هرب من أذى الصبيان . فقلت : هل تعرفون من كلامه شيئا ؟ فقالوا : نعم . كان إذا خرج إلى الصحراء يقول : فإذا لم أُجَنّ بإلٰهي فبمن ؟! وربما قال : فإذا لم أجن بك فبمن ؟!

٣٧ ــ عفان الموسوس

لم لا تتعالج مِمَّا بك ؟

قال الأصمعي : قيل لعفان الموسوس : لم لا تتعالج مِمَّا بك ؟! فقال : قصر الرّشاء[1] ، وطالت البئر ، وأين الملتقى ؟!

٣٨ ــ لقيط المصري

كيف يرى الناس ؟

قال ذو النون المصري : مررت ذات يوم بلقيط المِصْري وهو يَخُطّ على الأرض بإصبعه :

فتأملت : فإذا قد كتب :

قَلّ حياءُ الناسِ مِن ربِّهم	وكُلُّهم يُظْهِرُ تَقْواهُ
ليس ينالُ المرءُ من دِينه	ما نالَ في عاجِلِ دُنْياه
يخاف أن يَمقُتَه أهلُه	ولا يُبالي مقتَ مَوْلاهُ
وعابدُ الله يَرى بِرّه	في كل ما سَرّ وما ساه[2]

(١) الرِّشاء : الحبل . ويقال : أرشي الدلو : جعل لها رِشاء ، وهو قريب من قولنا في أمثالنا العامية : «العين بصيرة ، واليد قصيرة» . وهو يقصد : أن علاجه بعيد المنال !

(٢) المقصود في كل ما سرهُ وساءه . خففت همزتها رعاية للقافية كما في المساوي .

همته في كل أسبابه رضوان ذى العزة مولاه[1]

٣٩ ـ ميمون الواسطى

حوار مع الحجاج :

قال المسيب بن شريك : بلغنى «أن ميمون الواسطى» المجنون أُدخل على الحجاج ابن يوسف ، وكان ميمون عابدا بليغاً فقال له الحجاج : أَتُجَنِّنُ أهلَ[2] مثل هذا الكلام ، وتسمى مجنونا ؟! فقال : ياحجّاج ، إن أهلَ البطالةِ إذا نظروا لأهلِ المحبة سمّوهم مجانين ! وقد سبق القول منهم ، لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوْكم لقالوا : لا تؤمنون بيوم الحساب ، وأنت ياحجاج ! لو كنت تؤمن بالله واليوم الآخر بِكُلِّيَّة قلبِك لشغلك عن أكل الطيب ، ولبس الليّن ، ولكنه استقذرك فطردَك ، ولو أرادك لاستعملك .

إن لله عبادا مُطَهّرين ، مُطيعين ، بالعبادة مُشْتَغلين ، وهم ثلاثة أصناف : فقوما عبدوه شوقا إليه ، فقلوبهم لا تشتغل بغيره ؛ لأن قلوبَهم قد ألفت ، وسقاهم ربهم بكأس الوداد شربة ، فقاموا شوقا ، فلا تحط رحالهم إلا فى قرب الله ؛ فهم خاصته فى أرضه .

وقوما عبدوه خوفا من النار ، لما سمعوا قوله تعالى : ﴿**قوا أنفسكم وأهليكم نارا**﴾[3] فحذروا ، وبادروا ، واجتهدوا خوفا من النار من تحتهم ، ومن فوقهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، فالأفاعى تلسعهم والعقارب تلذعهم ، كلما استغاثوا جُدّدَ لهم العذاب ، وهو عدل من الرحمن .

وقوما عبدوه طمعا فى الجنة . دار أوليائه ، ومحل أصفيائه ، لما سمعوا قوله تعالى : ﴿**سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾[4] فصبروا على الألم ، حتى استوجبوا الرضى ، والعفو عما مضى ، فقلوبهم تحن إلى جوار الله سبحانه ؛ ليسكنهم فى قصورٍ من فِضة ، وخيام مزينة ، ومجالس متخذة ، والحور أزواجهم ، والطير يظلهم ، والملائكة تخدمهم .

---

(١) كل هدفه وأمله وغايته رضوان الله لا رضوان الناس ، فإن رضا الناس غاية لا تدرك .

(٢) أى أترميهم بالجنون ؟!

(٣) التحريم : ٦ .

(٤) الرعد : ٢٤ .

فقال الحجاج : ياميمون ، وصفت الجنة ، ولم تصف أزواجها فهل لك أن أريك شيئا يُذهل عقلك ، ويُلجلج لسانك ؟! ثم نادى الحجاج يا أملس ! فخرجت جارية معتدلة القامة فى حسن تام عليها قِباء رقيق وهى تمشى ، وتخطر لها ذوائب ، قد جللت أكتافها ، فلما نظر إليها ميمون قال : ويحك ياحجاج ! ما تصنع بهذه الجارية ؟! ولها أجل مسمى ، وأيام مُحْصَاة ، ثم أخرج من كمه رغيفا يابساً فقال : ياحجاج ، انظر إلى هذا الرغيف ويُبوسته ، إن أطعمتُه جائعا ملهوفا رجوت الله أن يزوجنى جاريةً ، كأن الشمس تطلع من بين عينيها ، وكأن الغُنْج يجرى فى حركاتها ، فأطرب ، وتكلمنى فأنعم ، وأرجو أن أكون قد استوجبتها فى هذا الوقت ؛ لقولى الحق ، وتركى الهوى .

قال الحجاج : ياميمون ، امدحنى فأُحْسِنْ جائزتك .. فقال : ياحجاج والله ما أعرف فيك خيراً ، فأقولَه ، وإن قلت ما أعرف فيك ذممتك! ولكن ما أذم الناس ؛ لأن فى نفسى ما شغلنى عن عيب غيرى ! قال الحجاج : قد أمرت لك بأربعة آلاف درهم . قال : المال فرده إلى الموضع الذى سرق منه ، ولا تكن لصّاً جَواداً تجود على من إن ذمك لا يضرك ، وإن مدحك لا ينفعك ، خَلِّ سبيلى ، أسأل الله بقُوتٍ يُغنى عن نَوالِك ونوالِ أضرابك . فخلى سبيله .وسيجىء باقى قصة مأمون معه !

٤٠ ــ طيورية

طيورية والشرط :

كان يحيى بن متمم الدَّوْسى : يقول كان بدير العاقول مجنون يقال له «طيورية» ، وأخذه الشُّرط ، وهو يبول على باب المسجد ، فضربوه فقال : أرأيتم لوبال هٰهنا حِمار أكنتم تضربونه ؟ فهبونى حمارا فتركوه .

٤١ ــ غورك

جنون وعشق :

قال إسحاق بن إبراهيم الأبلّى : رأيت غورك المجنون يوما خارجا من الحمام ، والصبيان يؤذونه . فقلت : ما خبرك يا أبا محمد ؟ قال : قد آذانى هؤلاء الصّبيان ! أما يكفينى ما أنا فيه من العشق والجنون ؟! قلت : ما أظنك مجنونا ! قال : بلى والله ، وبى عشق شديد ، قلت : هل قلت فى حبك وجنونك شيئا ؟ قال : نعم .

وأنشد :

جُنونٌ وعِشْق، ذا يروح وذَا يغدو ... فهذا له حد ، وهذا له حدّ
هما استوطنا قلبي وجسمى كليهما ... فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحَشَا وتحالفا ... على مُهجةٍ ألّا يفارقَها الجهد
فأيُّ طبيبٍ يَستطيعُ بحيلةٍ ... يُعالج من دائين مامِنهما بُدّ

قال الأبلى : فوليت عنه ، فقال : قف ، واستمع ما أقول ، فإن شرح غرامى على الخلىّ يطول ، فوقفت فأخذ ينشد من شعره .

سبب حيرته :

قال محمد بن الزراد : قلت لغورك : ماحَيّرك ؟ قال: جنون وعشق قد بليت بهما ! والذى بليت به من هؤلاء الصبيان أشد ! وقال :

جنونٌ ليسَ يَضبِطُه الحدِيدُ ... وحُبٌّ لا يزولُ ولا يبيد
فجسمى بين ذاك وذا نحيل ... وقلبى بين ذاك وذا عَميدُ

ثم قال لى: انصرفْ ؛ ما سمعته يكفيك ، وأخذ يوما بيد المتهم بعشقه ، فقال له المحبوب — برجاء الخلاص منه — كيف أصبحت ؟ قال :

أصبحت منك على شفا جُرُفٍ ... متعرضاً لموارِدِ التّلَــفِ
وأراك نحوى غير مُلْتَفِتٍ ... متحرفا عن غير مُنحرف
يا من أطال بهجره أسفى ... أسفى عليك أشدّ من تَلَفِى

أحسن ما قال فى الحب :

قال : وقلت لغورك يوما : أخبرنى بأحسن ما قلت فى الحب ؟ قال :

كتمتُ جُنُونى وَهْوَ فى القلبِ كامن ... فلما استوى والحبُّ أغلبه الحبّ
وقلبى والجسم الصحيح مُذيبه ... فلما أذاب الجسم ذَلّ لَهُ القلبُ
فجسمى محلّ للجنون وللهوى ... فهذا له نهب ، وهذا له نهب

غورك وطبيبه :

قال جعفر بن إسماعيل : أُتِىَ غورك بطبيب يعالجه ؛ فقال الطبيب : لو تركتنى لعالجتك ، وأصلحتك . فأنشا غورك يقول :

اعلم وأيقن أيها المتكلم ... ما بى أجلّ من الجنون وأعظم
أنا عاشق ، فإن استطعت لعاشقٍ ... برءاً مننت به فأنت مُحَكّم
حَسْبى عذابى فى الهوى حَسْبى به ... إذْ مَن أهيم به يَصُدّ ويَصْرِمُ
هيهات ! أنت بغير دائى عالم ... وسواك بالداء الذى بى أعلم
دائى رَسِيسٌ قد تضَمّنَه الهوى ... تحت الجوانح ناره تتضرم

وله أيضا :

هَلُمُّوا انظروا ما أورث الحبّ أهلَه ... أحَذّرُكُمْ شرّ الهوى وعواقِبَه
وأغرى بنفسى الشوقَ والهمّ والأسَى ... فأرّقنى بالليل أرعى كواكبَه

٤٢ ــ عباس المجنون

ياحبيب القلب !

قال محمد بن المبارك : صعدت جبل لبنان ، فإذا برجل عليه جُبّة من صوف مكتوب عليها : لا يُباع ، ولا يُوهب ! قد ائتزر بمئزر الخشوع ، وارتدى برداء الورع ، وتعمم بعمامة التوكل ، فلما رآنى استخفى وراء شجرة بلوط ، فناشدته الله أن يظهر ، فظهر ، فقلت : كيف تصبر على الوحدة فى هذه القفار ؟ فضحك وأنشأ يقول :

ياحبيبَ القلبِ من لى سواكا ... ارْحَم اليومَ مُذْنبا قد أتاكا
أنتِ سُؤْلِى ومُنْيتى وسُرورى ... قد أبى القلبُ أن يُحِبَّ سِواكا
يامرادى، وسيدى، واعتمادى ... طالَ شوقى متى يكون لقاكا؟!
ليس سؤلى من الجنان نعيم ... غير أنى أريدها لأراكا

ثم غاب ، وعدت مِراراً فلم أرَه ، فسألت عنه ؛ فقيل لى : إنه العباس المجنون له أكلتان فى كل شهر : من ثمر الشجر والعشب !

٤٣ — مانى الموسوس

أصلح الله الأمير :

قال بكار بن على : عزم صاحب الشرطة علىّ[١] ، فالتمس منى من ينادمه[٢] ، فأشرت عليه بمانى الموسوس[٣] ، فأحضر فأَمَرَ به ، فأدخل الحمام ، وأُلبِس ثيابا ، ثم أُدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ! فقال : وعليك السلام يامانى ! قد آن لك أن تزونا على شوقنا إليك ، فقال : أصلح الله الأمير ، الشوق شديد ، والوُدّ عتيد[٤] ، والحجاب صَعْب ، والبوّاب فظّ ، ولو سهل لنا الإذن ، لسهل علينا الزيارة ! فقال محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب الشرطة للحسن بن طالوت : ما أحسن ما يلفظ فى تسهيل الإذن ! فأمره بالجلوس فجلس ، ودعا محمد بجارية تُدْعى بنّوسَة جارية ابن المقرى ، وكان يحب سماعها ، وكان أول ما غنت به :

ولستُ بناسٍ إذْ غدَوْا فتحملوا ... دموعى على الخدّين من شدة الوَجْدِ[٥]

وقولى وقد زالت بعينى حَمُولهم ... بَواكر تحدَى لا تكن آخر العهد[٦]

فقال مانى : أتأذن لى ياسيدى ؟ قال : فى أى شئ يامانى ؟ قال: فى استحسان ما أسمع . فقال : أذنت لك . فقال ما أحببت . فقال : أحسنتِ ! بحق الأمير إلا زدتِ هذين البيتين :

وكيف أناجى الفكر والدمْع حائرٌ ... بمُقلةِ موقوفٍ على الصّبرِ والجَهْدِ[٧]

---

(١) عزم علىّ : أمرنى وشدّد علىّ وأقسم .

(٢) المنادمة : المصاحبة والمجالسة والمرافقة والنديم : المصاحب على الشراب المسامر .

(٣) مانى هو : محمد بن القاسم المعروف بمانى الموسوس شاعر كان من أظرف الناس وألطفهم من أهل مصر ، ورحل إلى بغداد أيام المتوكل فكانت له فيها أخبار .

ومن الجدير بالذكر أنه غير « مانى » مؤسس مذهب المانوية (٢١٥ — ٢٧٦) القائل بمبدأين : مبدأ الخير ومبدأ الشر ، والنور والظلام ، وإليه مرجع اليزيدية . أدخل مانى فى التصوير الفارسى نسق التصوير الصينى ، ورسم الملائكة والشياطين .

(٤) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٥) لست ناسها يوم رحيل المحبين مبكرين دموعى من شدة الشوق !

(٦) ولست ناسيا اختفاء رحلهم عن عينى وأنا أقول : يارب اجعل لى لقاء آخر ، ولا تجعل هذا الفراق نهاية عهدى بمن أحب .

(٧) الجهد : غاية المشقة .

ولم يُعدنى هذا الأميرُ بعدِله على ظالم قد لجّ فى الهجر والصّدّ[1]

فقال له محمد : ومن أى شيء استعديت يامانى ؟ أفعاشق أنت يامانى ؟ فاستحيا وقال : سيدى ، لا من ظلم أيها الأمير ولكن حرك الطرب شوقا كامنا ، فظهر ، وهل بعد الشيب من صبوة ، ثم غنت بنوسة بشعر أبى العتاهية :

حجبوها عن الرياح لأنى قلت للريح بلغيها السلاما
لو رَضُوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرحيل الكلاما !

فقال مانى : ما كان على قائل هذا الشعر لو زاد فيه هذين البيتين :

فتنفسْت ثم قلت لطيفى : ويكَ لو زرتَ طيفَها إلماما[2]
حَيِّهـا بالسلام سراً وإلا منعوهـا لشـقوتى أن تناما

قال محمد بن عبد الله :أحسنت يامانى ثم غنت بنوسة بشعر أبى نواس :

ياخليلى سـاعة لا تُرِيمَـا وعلى ذى صبابـةٍ فأقيمَـا[3]
مـا مـررنا بقصـر زينـبَ إلاّ فضـحَ الدّمـعُ سِـرِّىَ المكتـومَا

فقال مانى : والله لولا رهبةُ الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يَرِدَان على سمع ذى لُبّ فيصدر إلا عن استحسان منه لهما، فقال الأمير محمد: الرغبة فى حُسْنِ ما تَأْتِي بِهِ حَائِلَةٌ ــ بينى وبينك ــ عن كلّ رهبة[4]؛ فقل ما بدا لك . فقال :

ظَبْيَةٌ كالهلالِ لو تلحظ الصّخْــــرَ بطـرف لغادرتـه سقيمـــا[5]
وإذا ما تَبَسَّمتْ خِلْتَ مايَبْـــدو من الثّغرِ لؤلؤاً منظوماً[6]

---

(١) يُعْدِنى : ينصرنى ويقف إلى جانب مظلمتى !

(٢) وَىْ : كلمة تعجب ، وقيل زجر .

تقول : وَىْ لزيد . وقد يكني به عن الويل . وقد تليها كاف الخطاب . تقول : ويك .

ويقال : وَىْ بك يافلان : للتهديد .

والإلمام : الزيارة غير الطويلة .

(٣) لا تريما : لا تبرح ، ولا تفارق .. وكن معى وإلى جانبى لأنعم بك .

(٤) إن رغبتى فى شعرك الجميل ، وإقبالى على سماعه يجعلك تقول دون رهبة أو خوف .

(٥) الطرف : العين .

(٦) الثغر : الفم وما فيه من أسنان تلمع كاللؤلؤ فى عقوده .

قال محمد: أحسنت ياماني فأجز[1] هذين البيتين :

لم تطِبِ اللذاتُ إلا بما	دارت به ألفاظ بَنوسَهْ
غنت غناءً مُظهِراً عَبْرَةً	كانت بحسن الصَّبر محبوسهْ

فقال مانى :

وكيف صبرُ النفسِ عَنْ غادةٍ	تظلمها إن قلت: طاوسه![2]
وجُرْتَ إن شَبَّهتَها بانةً	فى جَنّةِ الفِرْدَوْسِ مَغْروسَه[3]
وغيرُ عدلٍ إن عَدَلْنا بها	لؤلؤةً فى البحرِ مَغْموسَه
جَلّت عن الوصفِ فما فكرة	تدركها بالنّعتِ مَحْسُوسَه

فقالت بنوسة : وجب شكرى ياماني ! فساعدك الدهر ، وعطف عليك إلفُك[4] ، وقارنك سرورُك ، وفارقك محذورُك ، واللهُ يُديم لنا ولك مَنْ ببقائه اجتمع شملُنا ، وطاب يومُنا[5] .

ثم قال مانى :

مُدمِنُ الإغضاء موصولُ	ومديم العَتْبِ مَمْلُولُ
ليس لى خِلٌّ فيقطعنى	فارقَتْ نفسى الأباطيلُ
أنا مَغْبُوط بزورةِ مَنْ	رَبْعُه بالجود مأهول

ثم أومأ إليه الحسن أن قُمْ فنهض ، وهو يقول :

طاهرى فى مواكبه	عرفه فى النفس مَبْذُولُ
دَمُ من يشقى بصارمه	مع هبوب الريح مَطْلُول[6]

فلما خرج قال محمد : ليستْ خساسةُ المرء باتّضاع حالِه ، ولا بنُبُوّ[7] العين عن ناظره ، بل يهذّبُه جوهرُه الذى الأدب مُرَكَّب فيه ، وما أخطأ صالح بن عبد

(١) الإجازة : أن يتم مابدأه غيره بشعر مماثل وزنا وقافية فى موضوع واحد .

(٢) الغادة : الناعمة اللينة من الفتيات .

(٣) البان : جمع بانة شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف ويشبّه به الحسان فى الطول واللين .

(٤) الإلف : الأليف والصاحب ومن نألفه ونحبه .

(٥) كناية عن صاحب الشرطة .

(٦) دمه مطلول : مُهدر . لا دية له .

(٧) نبوّ العين : بعدها ونفورها من رؤيته .

القدوس[1] حيث يقول :

لا يعجبنك من يصون ثيابَه حذَرَ الغُبارِ وعِرضُه مبذولُ
ولرُبمّا افتقر الفَتى فرأيتَه دَنِسَ الثّيابِ وعِرْضُه مغسول[2]

كيف يرى محبوبه ؟!

وأنشد أبو محمد بن الحسين الوضاحى لمانى :

لما رأيت البـــدر فى أفقِ السّماءِ قد استَقَلاّ
ورأيت قَرْن الشمسِ فى أفق الغروبِ وقد تدلّى
شبهت ذاك ، وهـــذه فأرىَ شَـبيهَيْهمـا أجَـلاّ
وجهُ الحبيب إذا بدا وقَفَا الحبيب إذا تولى[3]

٤٤ ـــ رزام المجنون

يلقى أعداء الدين :

قال على بن عبد الملك : كان بطرسوس[4] مجنون اسمه «رزام» وكان إذا خرج المعسكر ، خرج مع الناس وأخذ سيفا ، ودَرَقة[5] ، ولا يزال يلقى أعداء الدين ، فإذا دخل فى الحرب زال عنه جنونه ، فإذا انقضى القتال فعاد إلى البلد رجع إلى جنونه .



(١) من شعراء الحكمة . وقيل إن شعره فى الحكمة لو وزع على الشعر العربى جميعه لزانه !
(٢) نقى طاهر .
(٣) كلمة « قفا الحبيب » لا تناسب شعر الغزل . وربما ناسبت الهجاء كما جاء فى شعر ابن الرومى : وأقفاؤهم طبول . بل وكانت مستملحة !
(٤) قال ياقوت : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم يشقها نهر البردان وبها قبر المأمون .
(٥) الدرقة : الترس من جِلْد ليس فيه خشب ولا عقَب .



مجانين الأعراب



١ ـــ جساس الموسوس

قال الأصمعى : قال عمى : دخلت بعض أحياء العرب فرأيت شيخا موسوساً يَهْذِى ، وقد اجتمع إليه الناس ، فقلت : من هذا ، قالوا : «جساس الموسوس» لا يزال ينام ليلَه ونهارَه ، وربما ينتبه فزِعاً مرعوباً فيجلس ساعةً ، ثم يَصيح ، ويَهيم على وجهه ، ثم يعود إلى نومه .

فبت ليلة هناك ، وهو على الحال الذى وصفوه ، فلما أصبحنا انتبه !

حوار معه :

فقلت : ما اسمك ياشيخ ؟ «أنت أنوم من فهد»[١] مالك تنام دهرك ؟ فقال : النوم لا تَبِعةَ علىّ فيه ، وفى مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات ! قلت : وأىّ تبعةٍ عليك فى مجالستى ؟ قال : أشتغل بك عمن أنشأنى !

ثم أنشأ يقول :

لقد أغنيتُ عن هذا السؤال ... وعما أنت فيه من المقال
فإن كنتَ الغداةَ تريدُ قولاً ... فما فيه رضى مولى الموالى

ثم عدا هائما على وجهه ، فى تلك الرمالِ قائلا : ما أكثرَ فضولَ أهل الحضر[٢] !!

٢ ـــ أوفى البدوى

فكره فى الله !

قال المدائنى[٣] : كان بمكة مجنون يقال له «أوفى البدوى» من مجانين الأعراب وكان يصلى الليل كلّه ، فإذا أحسّ بالصبح رمى بطرفه نحو السماء[٤] وأنشأ يقول :

رُبَّ مكحولٍ بمحلول الأرق ... قلبُه وقفٌ بنيرانِ الحَرَق
فكره فى اللهِ فى أوقاته ... وبه يفتح فاه إن نَطَق

(١) مَثَل يضرب لطول النوم. قال فى مجمع الأمثال : لأن الفهد أنوم الخلق وليس نومه كنوم الكلب ، لأن الكلب نومه نعاس ، والفهد نومه صمت ، وليس شئ فى جسم الفهد أى فى حجمه إلا والفهد أثقل منه .

(٢) سؤالهم عما لا يعنيهم ، وتدخلهم فى أمور غيرهم !،والحَضَر المدن غير البادية والقرى والصحراء .

(٣) هو على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف . إخبارى نسّابة ، وله مؤلفات كثيرة توفى ببغداد سنة ٢٤٢ هـ.

(٤) رفع بصره وتطلع إلى السماء .

٣ ــ مجنون من بنى سعد

الأمير يود لو أنه مثله !

قال الأصمعىّ : بينما أنا قاعد عند محمد بن سليمان الهاشمىّ ، والى البصرة ، إذ دخل عليه رجل فقال : أصلح الله الأمير ، إن بالمِرْبدِ[١] أعرابيا مجنونا من بنى سعد ، لا يتكلم إلا بالشعر ، فقال :عَلَىّ به . فأُتى به فلما نظر الأعرابى إليه أنشأ يقول :

حيّاك ربُّ الناسِ من أميرِ ... يافاضَل الناسِ عظيم الخير

فقال محمد : وأنت فحياك الله ياأخا سعد ! فقال الأعرابى :

إنى أتانى الفارسُ الجِلْوازُ ... والقلب قد طار به اهتزازُ[٢]

فقال الأمير : إنما بعثنا إليك لنشترى ناقتك .

فقال الأعرابى :

ما قال شيئا فى شراءِ الناقه ... وقد أتى بالجهل والحماقة !

قال الأمير :

وما الذى أتى ؟

فقال :

قد شق سربالى وشق بُرْدتى ... وكان زينى فى الملا ومَجْدتى[٣]

فقال الأمير :

إذن نَخْلع عليك[٤] !

فقال الأعرابى :

نعّمك الله ، وأرخى بالك ... وأكثر الله لنا من أمثالك

فقال الأمير :

بكم اشتريتها ؟

فقال :

---

(١) ساحة بالبصرة كسوق عكاظ ملتقى الشعراء والأدباء والتجار .

(٢) الجلواز : الشرطى والحارس وجمعه جلاوزة . والجلوزة : الخفة ذهابا وإياباً .

(٣) السّربال : القميص وكل ما يلبس جمعه سرابيل وفى القرآن ﴿سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ . والملا : الملأ خففت همزتها . ويروى : البيت وكان وجهى فى الملا وزينتى .

(٤) نخلع عليك : نمنحك ونعطيك خِلْعة أى ملابس بديلة .

شراؤها عشر ببطن مكهْ	من الدنانير القيام السّكهْ[1]
ولن أبيع الدهَر أو أزادْ	إلى لربحٍ فى الشرا معتادْ[2]

فقال الأمير : فبكم أخذها ؟ فقال :

خذها بعشرٍ وبخمسٍ وازِنَه	فإنها ناقة صِدْقٍ مازنه[3]

فقال الأمير : بل تحط ، وتُحسِن[4] .

فقال :

سبحان ربى ذا الجلال العالى	تسأل إحسانى وأنت الوالى ؟!

قال الأمير : فنأخذها منك ،ولا نعطيك شيئا ! فقال :

فأين ربى ذو الجلال الأفضلِ	إن أنت لم تخش الإله فافعلِ

فقال الأمير : إنى أسألك أن تَحُط[5] ، فقال الأعرابى :

والله ما يَجْبُرُنى ما تُعْطى	ولا يُدانى الفقرَ مِنّى حَطِّى[6]

فأمر بقبض الناقة ، وتوفير ثمنها ، ثم رده وأمر له بألف درهم وثياب من خاصة ملبسه فقال :

إنى رمتنى نحوك الفِجاجُ	أبو عيال معدمٌ مُحتاج
طاوى المصير مع ضيق العيش	فأنبت الله لديك ريشى[7]
شرفتنى منك بألف حاضرة	شرفك الله بها فى الآخرة
وكسوة طاهرة حسان	كساك ربى حُلَلَ الجِنان

قال:فضحك الأمير وقال : من زعم أن هذا مجنون ؟! وددت أنى كنت مثله !!

(١) سكّ النقودَ : طبعها على السكة وهى حديدة منقوشة تضرب عليها النقود .

(٢) لن أوافق على البيع طول العمر إلا إذا كان هناك زيادة على ثمن الشراء . فهذه عادتى .. لا أقبل غيرها !

(٣) مازنة : سريعة .

(٤) تحط : تنزل عن الزيادة وتحسن إلىّ فى البيع !

(٥) أى تنزل عما ذكرته من ثمنها ولا تغالى . والحطيطة : إنقاص السعر .

(٦) كما أن عطاءك لا يجبر ما أنا فيه ؛ فكذلك حَطّى وتخفيض ثمن الناقة لن يقرب الفقر منى ، لأننى قد استغنيت بالله عن عباده !

ولا يدانى الفقر : لا يقربه .

(٧) المصير : المِعى وجمعه مصران ومصارين .

٤ ـــ أعرابى

يقدم نصيحة لوالى مكة :

قال العباس بن على الهاشمى : كنت واليا بمكة ، فجلست ذات يوم فى مسجد ، وعندى جماعة ، فوقف بنا أعرابى وقال : أيكم الأمير ؟ فأشير إلىّ فقال :

يا من ترفّع بالإمارة طاغياً اخفض عليك ؛ فللأمورِ زوالُ[١]
فلئن أفَادك ذا الزمانُ بَصرفه فبصرفه تتقلب الأحوال ![٢]

٥ ـــ أبو الشريك

مع والى البصرة :

قال الأصمعى : بينا أنا ذات يوم عند والى البصرة إذ أقبل مجنون بالباب يتكلم بالشعر ، فقال : أدخلوه . فدخل فإذا هو رجل كأنه نخلة سَحُوق[٣] ، نَتِنُ الأطراف ، موسوس ، فسلّم على الأمير ، فرد عليه السلام وقال من أنت ؟ فقال :

إنى أنا أبو الشريكِ الشاعر من سأل عنى فأنا ابن الفاغر[٤]

فقال الوالى : ما أمدحَكَ لنفسك ! فقال :

لأننى أرتجل ارتجالا ماشئتُ يامن أُلبس الجَمالا

الأصمعى يسأله حتى يستحى من كثرة ما سأله :

قال الأصمعى : فقال لى الأمير : ما هذا مجنونٌ ! فألْقِ عليه ما عندك ؛ فقلت له : ما الرّيم ؟ فقال :

الرّيمُ فَضْلُ اللّحم للجزّار ينحــره للفتيــةِ الأيسَارِ[٥]

فقلت: ما الحُلْوَانُ[٦] ؟ فقال :

أليس ما يُعطَى على الكهانه ؟! والحُرُّ لا يَقْنَــعُ بالمَهَانــه

---

(١) يقال : خَفّضْ عليك أمرك : أى هوّنه !
(٢) صرف الدهر : نوائبه وحِدْثانه .
(٣) نخلة سَحُوق : طويلة .
(٤) الفاغر : الفاتح فمه شاعرا أو خطيبا .
(٥) يقال : رام ريما : فضَلَ وزاد .
(٦) الحُلْوان : أجرة الدلال والرشوة .

فقلت : ما الدكاع ؟ فقال :

إن الدكاع هو سعالُ الماشيه ... واللهْ لا تَخفَى عليه خافِيه[1]

قلت: فما التولة ؟ فقال :

عوذةُ عُنُقِ الطِّفلِ عندى تِوَلَه ... وقد تُسَمَّى العنكبوتُ تِوَلَه[2]

قلت: فما الرُّفَةُ ؟ فقال :

الرُّفَةُ التِّبن فَسَلْ ماشِيَتَا ... لقد وجدت عالِماً خِرِّيتَا[3]

وهو يسأل الأصمعى :

قال الأصمعى : فاستحييت من كثرة ما سألته ، فقال : قل لى :

ما الهلقس السّحاح ... والحمل الراوح لا يراح

قلت : الهلقس : الطمع للحريص . والسحساح : الذى لا يستقر فى موضع .

والراوح : المهزول .

فقال :

ما أنت إلا حافظ للعلم ... أحسنت ما قلت بغير فهم !

فقال الوالى: فحبّذا كلُّ مجنون مثل هذا . ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . فلما قدم إليه المال قال :

أكل هذا هو لى بمرّه ... ثمَّ سُرورى واعترتنى مَسَرّه

ثم أقبل على الأمير فقال :

رِشْتَ جَناحى يا أخا قريش ... أقررت عينى وأطبت عَيْشى

٦ ـــ هبنقة

قال عبد العزيز بن سعيد السيرافى : قال لى أبى: قد أنشد رجل هَبَنَّقَة :

(١) الدُّكاع ــ كما جاء فى المعجم الوسيط ــ سُعال يصيب الخيل والإبل .

(٢) التِّوَلة : السِّحر وشبهه ، وخرزة تحبب المرأة إلى زوجها ــ فى زعمهم ــ .

(٣) الرُّفَةُ : : كما جاء فى المعجم الوسيط ــ: التِّبن وفى المثل : « أغنى من التُّفَةِ عن الرُّفة » . يضرب للئيم إذا شبع ! والخِرِّيت : الدليل الحاذق بالدلالة . ويقال : هو فى الأمر خِرِّيت ، وهوخِرِّيت، هذا الأمر : حاذق ماهر فيه . وفى حديث الهجرة : « فاستأجر رجلا من بنى الدِّيل هاديا خِرِّيتا » .

وفى سل « ماشيتا » تورية لطيفة أى اسأل الماشية التى تأكله . أو اسأل ما شئت فستجدنى مجيبا !

اهجر محل السَّوء لا تُلِمَّ به   وإذا نبا بك منزل فتحوّل

فقال : هذا أحمق بيت قالته العرب ! وكيف يُطيق أهلُ السجن النُّقْلةَ ؟!

هلّا قال :

إذا كنت فى دارٍ يُهينُك أهْلها   ولم تكُ مَكْبولاً بها فتحَوّلِ

٧ ــ جارية سوداء

الذئاب مع الأغنام ؟!

قال بلال بن جماعة : فكرت ذات ليلة فقلت ياربِّ ، من زوجتى فى الجنة ؟ فأُرِيتُ فى منامى ــ ثلاث ليال ــ أنها جارية سوداء فى أوطاس[١] . فأتيت أوطاس فسألت عن الجارية ، فقال لى رجل : ياهذا ، تسأل عن جارية سوداء مجنونة كانت لِى فأعتقتها ؟! قلت : وكيف كان جنونها ؟ قال : كانت تصوم النهارَ فأعطيناها فُطورها ، فتصدقت به ! وكانت لا تهدأ بالليل ، ولا تنام ، فضجرنا منها !

قلت : فأين هى ؟ قال: ترعى غنما للقوم فى الصحراء ، فإذا أنا بها قائمة تصلى فنظرت إلى الغنم ، فإذا ذئب يدلها على المرعى ، وذئب يسوقها ، فلما فرغت من صلاتها سلمتُ عليها ، فقالت : يابلال ، أنت زوجى فى الجنة ! قلت : قد رأيت ذلك فى النوم . قالت : وأنا بُشّرتُ بك . فقلت : ياهذه ، الذئابُ مع الأغنام؟! قالت : نعم . أصلحت شأنى بينى وبينه فأصلح بين الذئب والغنم !!

٨ ــ عوسجة

ارضَ بالله صاحباً !!

قال محمد بن المبارك الصورى : خرجت حاجا فإذا أنا بجارية سوداء يقال لها : عوسجة بلا غِطاء ولا وِطَاء[٢] فسلمت عليها فردت السلام . ثم قالت : أنت يابن المبارك على بطالتك[٣] بعد ؟ قلت لها : وكيف عرفتنى ؟ فقالت :

أضاءت مصابيح الآمال ، فى قلوب العُمّال فتنورت جوارحى بنور الصفاء ،

---

(١) جاء فى قاموس الأمكنة والبقاع : أوطاس : وادٍ فى ديار هوازن كانت فيه واقعة حنين للنبى ﷺ .

(٢) ليس عليها ما تلتحف به ، وليس تحتها ما تجلس عليه .

(٣) أى: أما زلت لم تعرف الطريق وتهتدى ؟

فعرفتك بمعرفة من على العرش استوى ! قلت : وما الصّفا ؟ قالت : ترك أخلاق الجفا ! قلت لها : من أين جئت ؟ قالت : من عنده . قلت : وإلى أين تريدين ؟ قالت : إليه . قلت : بلا زاد ولا راحلة[1] ؟! قالت : يا أعمى ، أسألك عن مسألة: لو أتى أحدكم واستزار[2] خاله إلى منزله ، أيجمل أن يحمل معه زادا ؟! ثم أنشأت تقول :

ارْضَ بالله صاحبَا وذَرِ النَّاسِ جانِبَا[3]
صافِهِ الوُدّ شاهداً كنتَ أو كنتَ غائبَا
لاتودّتْ غيرَه ذا رفيقا مُصَاحِبَا

أملها عند طوافها !!

قال صالح بن إسماعيل : سمعت عوسجة ، وهى تطوف بالبيت الشريف تقول :

سرائرُ كتمانٍ يبوحُ بها الهوى وإظهار وعد ما يُرادُ سِواه

لم جُعل الظلام ؟

قال عبد الرحمن الواسطى: سمعت عوسجة ذات ليلة تقول :

جعل الظلامُ مطيةً لقيامِه لينالَ وصلاً ما يريد سواه

٩ ــ ريحانة

حديث حول الآخرة :

قال إبراهيم بن أدهم[4] ــ رحمه الله ــ: ذُكرت لى « ريحانة » فخرجت إلى الأُبُلّة[5] فإذا أنا بجارية سوداء قد أثر البكاء فى خديها خطّاً ، فذاكرتها شيئا من أمر الآخرة ، فأنشأت تقول :

من كان راكبَ يوم ليسَ يأمنُه ولَيْلَهُ ، تائهاً فى عقب دنياه[6]

(١) الراحلة ما يُرتحل عليه من وسائل النقل .
(٢) طلب منه أن يزوره .
(٣) ذر : اترك ودع .
(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم من أهل بلخ ــ مدينة بخراسان كان من أبناء الملوك والمياسير ، وخرج للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته ، فترك طريقته فى التزين بالدنيا ، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع ، وخرج إلى مكة ، وصحب بها سفيان الثورى ، والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات فيه .
(٥) بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى وهى أقدم من البصرة .
(٦) يجرى وراء الدنيا غير آمن من يومه وليله .

فكيف يلتذُّ عيشاً لا يَطيبُ له ؟!   وكيف تعرفُ عينَ الغمضَ عيناه[1]

سلوكها فى حياتها :

وأنشدت أيضا :

صبرتُ عنِ اللذاتِ حتى تولّتِ   وألزمت نفسى صبرَها فاستمرّتِ
وما النفس إلا حيثُ يجعُلها الفتى   فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت[2]

عاشـق الدنيـا :

ولها أيضا :

وما عاشقُ الدنيا بناجٍ من الرَّدَى[3]   ولا خارجٍ منها بغيرِ غليلِ
فكم ملكٍ قد صفّرَ الموتُ بيتَه   وأخرِجَ من ظِلٍّ عليه ظَليلِ

علمه بحالى يغنى عن سؤالى :

ولها أيضا :

حسبُ المحِبِّ من الحبيبِ بعلمه   أن المحِبّ ببابِه مَطروحُ
والقلبُ فيه إن تنفّس فى الدُّجَى   بسهامِ لوْعَاتِ الهوى مَجْروحُ[4]

أمَلُها الفوز بدار القرار :

وأنشدت أيضا :

بوجهِك لا تُعذّبنى فإنى   أُؤمّلُ أن أفوز بخير دارْ
مُنَجّدةٍ مُزَخرفةِ العَلالى   بها المأوى ونعم هى القرارْ
وأنت مجاورُ الأبرار فيها   ولولا أنت ما طاب المَزارْ

---

(١) عين الغمض : حقيقته .

(٢) ولله در الإمام البوصيرى حيث يقول :

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على   حبِّ الرضاع ، وإن تفطمه ينفطم

وهو يلتقى مع ما قالته ريحانة .

(٣) الرّدَى : الموت . وصفّر الموت بيته : جعله صِفْرا وخالياً بوفاته . وهى تقول : ليس هناك من ينجو من الموت ومهما تعلقوا بالدنيا فهم إلى فراق ولن يشبعوا منها أو يرتووا .. حتى ملوك الأرض لم تدم لهم وأخرجوا من عزهم وقصورهم إلى قبورهم فكيف الركون إلى الدنيا ؟ ولِم التهالك على عشقها ؟!

(٤) حب المحب يكفيه ممن يحبه ، الدّجى : الظلام .

نصيحة إلى النوّام :

وأنشدت أيضا :

اجْعلْ لنفسِك فى الليالى نُبهةً ... تُنبِهْك من خَلَلِ المَنام قيام[1]

وَأْنسْ إلى طول القيام مخلدا ... واترك لِذاذَ النومِ والأحلام

رُهبانُ الليل :

وأيضا :

تعود سهر الليالى ... فإن النومَ خُسْرانُ

ولا تركن إلى الذنب ... فإن الذنبَ نيرانٌ

فكن للوحى دَرَّاسا ... وللقُرّاءِ آخدان[2]

إذا ما الليل فاجأهم ... فهم فى الليل رُهبانُ

يميلون كما مال ... من الأرياح أغصانُ

نظرتها إلى الدنيا :

وأيضا لها :

أرى الدنيا لمن هى فى يديه ... عذاباً كلّما كَبرَت لديه

تُهين المكرماتِ بها بصغر ... وتُكرم كلّ من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيءٍ فدعه ... وخذ ما كنت محتاجاً إليه

١٠ ــ *آسية*

سر صمتها :

قال إبراهيم : ذُكرت آسية لعبد الله بن طاهر[3] ، فدعا بها ، فأدخلت عليه ، فلزمت الصمت خمسة أيام ، فقال لها عبد الله : أخرساء أنت ؟ مالك لا تنطقين ؟! قالت : لا . ولكنى أقول :

---

(١) النبهة : الصحوة والإيقاظة ، وخَلَل المنام : ما يتخلله من ركون إلى لذيذ النوم والأحلام .

(٢) الأخدان : جمع خِدْن وهو الصديق والزميل والمرافق .

(٣) فى نيسابور كان بيته ملتقى الأعاريب والأدباء ويبدو أنهم من الكثرة بحيث ذكر أبو حامد الخزرنجى فى مصادره كتاباً باسم نوادر الأعاريب الذين كانوا مع ابن طاهر .

قالوا : نراك طويلَ الصّمتِ ! قلت لهم: ما طولُ صَمْتِىَ مِن عِيٍّ ومِن خَرَسِ[1]
الصمت : أحْمَدُ فى الحالَيْن عاقبةً عندى، وأحسنُ بى من مَنْطقٍ شَكَسِ[2]
قالوا: وأنت مصيبٌ لستَ ذَا خَطأٍ فقلت : هاتوا ، أرونى وجْهَ مُعْتَبِسِ[3]
أأنْشُرُ البِرّ فيمن ليس يعرفه أم أنثر الدُّرَّ بين العُمْيِ فى الغَلس ؟

١١ ــ حيونة

مــن دعائهــا :

قال راشد بن علقمة الأهوازى: كانت «حيونة» إذا جَنّها الليل[4] تقول فى دعائها :

«ياواحدى ، تمنعنى بالليل التلاوة ، ثم تقطعنى عنك بك فى ضياء النهار؟ ! إلٰهى! وَدِدْت أن النهارَ ليلٌ ؛ حتى أتمتعَ بقربِك» !

وَلَهٌ بالله !

قال سلام الأسود : طلعت عليها الشمس يوما فآذتها ؛ فقالت :

إن كنتَ تعلمُ أننى بك والهٌ فاصرف سُمُوم الشمسِ عَنّى سيدى[5]

قال : فغمت السماء فى الوقت[6] .

لامنى خلقك فى خدمتك !

قال سلام : صامت حيونة حتى اسودت ؛ فعوتبت فى ذلك ، فرفعت طرْفها إلى السماء وقالت : قد لامنى خلقك فى خدمتك . فوعزتك وجلالك لأخدُمنّك حتى لا يبقى لى عصب ولا قصب[7] ثم أنشأت تقول :

(١) العِىّ : بكسر العين . العجز عن الكلام .
(٢) فيه سوء خلق وعسر منطق وفى التنزيل: ﴿ فيه شركاء متشاكسون ﴾ .
(٣) فى الأصل معتبس بالعين من العبوس ، والمراد : أنها لا ترى مظاهر الخوف من الآخرة على الوجوه اللاهية . ويمكن أن تكون « مقتبس » : من الاقتباس . أى مستفيد بكلامى عندما أصيب حتى أخرج عن صمتى . والغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .
(٤) سترها وغطاها بظلامه .
(٥) الوله : شدة الوجد والحب .
(٦) حلّ بها الغيم ليحجب ضوء الشمس ، وما ذلك على الله بعزيز .
(٧) العصب : ما يشد المفاصل ويربط بعضها ببعض ، والقصب : العظام .

ياذا الذى وَعَدَ الرِّضَى لحبيبِه	أنت الذى ما إن سواك أريد

لقاء معها فى يوم شديد الحر :

قال سلام الأسود : فنظرت إليها فى يوم شديد الحر ! فقالت : اسكت عند المَبْلَغ تفرح الواردون ، وعند العرض تنقطع الأسباب . وعند قوله خذوه تنشر أعلام العارفين(1) .

جاء عُرْس المهتدين !

زارت رابعة حيّونة ، فلما كان جوف الليل ، حمل النوم على رابعة ، فقامت إليها حيونه فركلتها(2) برجلها ، وهى تقول : قومى ، قد جاء عُرْسُ المهتدين ، يا من زين عرائس الليل بنور التهجد .

درس للمتكلمــين :

قال سلام: وقفت حيونة يوماً على عبد الواحد ، ثم نادت : يا متكلم تكلمتَ عن نفسِك ، والله لو مت ما تبعت جنازتك ! قال : ولِمَ ؟ قالت : تتكلم على الخليقة ، وتتقرّب لهم ، ما شبهتك إلا بمعلم صَبِىّ علّمه أن يحفظ بالعَشِيّ فإذا بَكّر من بيت أمه نسى ، فيحتاج المعلم إلى ضربه . اذهب يا عبد الواحد اضرب نفسك بدرّة الأدَب ، وتزود زادَ القناعة ، واجعل حَظّك مما أنت فيه الكلام على نفسك ، ثم تكلم على الخليقة، قال سلام : فلقد عرفَ ، عبد الواحد وأقام ما يتكلم على الناس سنة .

حــال المــوتى :

وأنشـــدت :

وليس للميت فى قبره	فِطْر ولا أضْحى ولا عشر
بانَ من الأهل على قُرْبِه	كذلك مَنْ مَسْكَنُه القبر(3)

(1) مهما كان فى الطريق من صعاب فعند الوصول إلى الغاية يكون الفرح ويُنْسىَ كل تعب . وعند العرض على الله لا ينفع الإنسان إلا عمله ، فلا أنساب بينهم ولا وسائط . وعند قوله : خذوه : لعلها تقصد ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم﴾٤٧/ الدخان . أو ﴿خذوه فغلوه﴾٣٠/ الحاقة . عندئذ تنشر للعارفين أعلام ، ويسعدون برؤية ذى الجلال والإكرام .

(2) ركلتها : رفستها برجلها .

(3) بان:بعد ، فبينما هو على مسافة خطوات من مساكن الأحياء إلا أنه بعيد بعيد ! وتختلف حياتهم عن حياتنا ومظاهرها وأعيادها .

طريق المعرفة :

قال سلام : سمعت حيونة تقول : من أحب الله أنس ، ومن أنس طرب ، ومن طرب اشتاق ، ومن اشتاق وَلِه ، ومن وله خدم ، ومن خدم وصل ، ومن وصل اتصل ، ومن اتصل عرف ، ومن عرف قُرب ، ومن قرب لم يرقد ، وتسورت عليه بوارق الأحزان(١) .

يا أمـــل الآمـــلين !

وكانت تقول :اللهم هب لى سكون قلبى بعقد الثقة بك ، واجعل جميعَ خواطرى واثقةً برضاك ، ولا تجعل حظّى الحرمانَ منك ، يا أمل الآملين !

لقاء بين ريحانة وحيونة :

قال إبراهيم زارت «ريحانةُ» «حيونة» فلما جَنّ الليلُ جاء المطر والريح الشديد ، ففزعت ريحانةُ ! فضحكت حيونة ، وقالت لها : يامُدْبِرة ، العملَ . لو علمتُ أن فى قلبى محبةَ غيرِه أو خوفَ سواه لوجأته بالسكين(٢) !

١٢ ـــ سلمونة

فى الليل :

قال سهل بن سعد : كانت عندنا بعبّادان امرأة مجنونة اسمها «سلمونة» وكانت تُغيبُ شخصَها بالنهار فلا تُرى . فإذا كان الليل صعدت السّطح وجعلت تنادى إلى الصباح : سيّدى ومَولاى جنّبتنى عن عقلى ! وأوحشتنى عن خَلْقك ، وآنستنى بذكرك ، وقد نُفيتُ عن خَلْقك فواأسفا إن نفيت عنك !! .

١٣ ـــ ميمونة

الموعد فى الجنة !

قال إبراهيم بن الأدهم : رأيت فى المنام كأن قائلا يقول : إن ميمونة السوداء زوجتك فى الجنة ! قال : فكنت أطلبها حتى وجدت أثرها بحِمْص ، فطلبتها فقيل :

(١) أطلّت عليه الأحزان فى خلوته .

(٢) وَجَأه بالسكين :.ضربه . وكأنها تقول لها : مما تخافين ؟ أتخافين غير الله ؟! والمدبر : غير المقبل .. وقد يكون الإدبار خوفا وفرارا .. فلما خافت وفزعت طلبت إليها العمل الجاد حتى لا يكون فى قلبها محبة غيره أو خوف سواه .

إنها مجنونة لا تألف أحدا ! قلت : فأين هى ؟ . قيل : دفعنا إليها أغناما ترعاها فى الجبانة ، فخرجت إلى الجبانة ، فإذا هى قائمة تصلى والشاة والذئب فى مكان واحد ، فوقفت متعجبا ! فلما قضت الصلاة . قالت : ياإبراهيم ، الموعد فى الجنة لا هنا ، فعجبت من فِطْنتها ؛ فقلت : ياسبحانَ الله ألستِ مؤتَمنةً على هذه الأغنام ؟ قالت : بلى . قلت: فلم عَطّلْتِها حتى سَوّطَها الذئاب[1]؟ قالت : سلمتها إلى منشئها . ثم قالت : ارتفعت الحشمة بينى وبين من أنا قائمة بين يديه ، فهو الذى رفع الوحشة بين الشاة والذئاب ، ثم ولّت وأنشأت تقول :

قلوب العارفين لها عيونٌ	ترى ما لا يراهُ الناظرونا
وألسِنةٌ بِسرٍّ قدْ تُناجــى	تغيبُ عن الكرامِ الكاتبينا
وأجنحة تطيرُ بغيرِ ريشٍ	إلى ملكوت رِبّ العالمينا
فتسقيها شرابَ الصدقِ صِرْفاً	وتشرب من كئوس العارفينا[2]

١٤ ــ بجة

قال إسماعيل بن سملة بن كهل: كانت لى أخت أَسَنُّ منى، فذهب عقلها فكانت فى غرفة فى أقصى السطح، فمكثت بضع عشرة سنة ، وكانت مع ذلك تحرص على الطّهورِ والصلاة ، وتتفقد الأوقات[3] ، وربما إذا غُلبت على عقلها أياما فتحفظ ذلك حتى تقضيه ، فبينا أنا ذات ليلة إذا باب بيتى يدق نصف الليل ، فقلت : من هذا ؟ قالت : «بجة». فقلت : أختى ؟ قالت : أختك . قلت : لَبّيْكِ ! وقمت ، وفتحت الباب ، فدخلت ولا عهدَ لها بالبيتِ من أكثر من عشرين سنة ! فقلت لها : ياأختاه ، خيرٌ . فقالت : خير ، رأيت الليلةَ فى منامى ، فقيل لى : السلام عليك يابجة ، فرددت ، فقيل لى : إن الله قد غفر لجَدّك ، وحفظك بأبيك إسماعيل. ، فإن شئت دعونت الله ، فأذهب ما بك ، وإن شئتِ صبرت ، ولك الجنة ، فإن أبا بكر وعمرَ قد شفعا لك إلى الله ، بحبك أبيك وجدك وحبكم إياهما . قالت : فقلت : إن كان لابد من اختيار أحدهما ، فالصبر على ما أنا فيه ، والجنة . وإن الله تعالى لواسع لخلقه ، لا يتعاظمه شيء ، إن شاء جمعهما .

---

(١) أى خلطها كما جاء فى أساس البلاغة .

(٢) صِرْفًا : خالصاً صافيا .

(٣) تنتظر قدوم الصلاة ، وتبحث وتسأل عن مواعيدها ؛ لكيلا تفوتها !

قيل : فقد جمعهما لك ، ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ فقومى وانزلى . قال: فأذهب الله ما كان بها ، وعادت إلى أحسن الحالات ، وكانت إذا حضر إليها طبيب تقول : خلوا بينى وبين طبيبى ، أشكو إليه بعض ما أجد من بلائى ؛ فلعله يكون عنده شفائى[1] .

١٥ ــ مجنونة

فتق الحبُّ بين قلبى وقلبك فعرفتك !

ذو النون : بينا أنا أسير فى طريق أنطاكية إذا «بجارية مجنونة» عليها جُبّة صوف فقالت : ألست ذا النون ؟ قلت : بَلَى . وكيف عرفتِنى ؟ قالت : فتَق الحبُّ بين قلبى وقلبك فعرفتك .

معارف الألباب :

ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت : تاق قلب أوليائه شوقا إليه فقلوبهم مربوطة بسلاسل الأنس ، ينظرون إليه بمعارف الألباب .

ثم قالت : أسألك ؟ قلت : نعم . فقالت : أى شئ السخاء ؟ قلت : البذل ، والعطاء . قالت : هذا السخاء فى الدنيا ! فما السخاءّ فى الدين ؟ قلت : المسارعة إلى طاعة الله . قالت : فإذا سارعت فى طاعته ترجو منه شيئا ؟ قلت : نعم بالواحدة عشرة . قالت : مَهْ يا بطّال[2] ! هذا فى الدين قبيح ، وإنما المسارعة فى الطاعة أن يطلع المولى على قلبك ، وأنت لا تريد منه بديلا .

ثم قالت : إنى أريد أن أقسم عليه منذ عشرين سنة فى طلب شَهوةٍ[3] فأستحى منه ؛ مخافةَ أن أكون كأجير السوء يعمل للأجرة ؛ ولكننى أعمل تعظيما لهيبته .

١٦ ــ مجنون

يُنْشد هارون الرشيد بعض شعره :

قال إسحاق بن أحمد الخزاعي عن أبيه قال : قدم هارون الرشيد مدينة الرقة وبها دير يقال له : دير زكى . فلما أقبلت المواكب ، أشرف أهل الدير ينظرون ، وفيهم

---

(١) ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (٨٠/ الشعراء) .

(٢) مَهْ : اسكت ، وكف عن هذا الكلام .

(٣) المراد : ما يشتهى .

مجنون مسلسل ، فلما أقبل هارون ، رمى المجنون بنفسه ، فقال : ياأمير المؤمنين قد قلت فيك ثلاثة أبيات ، فأنشدك ؟ قال : نعم . فقال :

لحظاتُ طرفِك فى العِدَى ثُغنيك عن سَلّ السُّيوف[1]
وعَزِيمُ رأيك فى النُّهى يكفيك عاقبة الصُّروفِ[2]
وسيولُ كفِّك فى الندى بحرٌ يفيض على الضعيف[3]

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هات ثلاثة آلاف دينار ، أشترى بها كساءً وتمراً . فقال الرشيد : تُدفع إليه ثلاثةُ آلاف دينار ، فحملت إلى أهله وأخرج من الدير وكان من أهل الشرف !

١٧ ــ شيخ مجنون

لقاء فى الحمّام !

قال سوار بن عبد الله القاضى : دخلت بعض حمامات البصرة فقلت لصاحب الحمّام : فيه أحد ؟ قال : لا . إلا شيخ مُوَسوس[4] ! فدخلت ، فإذا شيخ . فقلت : ياشيخ ، ماحرفتك ؟ قال : أنا أبيع الكِعَابَ والدّوّامات من الصبيان[5] . فقلت فى نفسى : مع من وقعت[6] ! فقال لى الشيخ : فما حرفتك ؟ قلت : لا أخبرك . قال : والله ما أنصفتني ! سألتنى عن حرفتى ؛ فأخبرتك ، وسألتك عن حرفتك ، فلم تخبرنى ! فقلت : أنا أنظر فيما بين الناس ، وأمنع الظالم من المظلوم ! قال الشيخ : ويَقْبَلون منك ، قلت : من لم يقبل حبسته وأدبته ، قال : ومنك ذلك[7] ؟ قلت : نعم . إن معى أعوانا من السلطان .

---

(١) نظراتك الثاقبة ومهابتك تغنيك عن استخدام السيوف .

(٢) ورأيك المدعوم بالعقل والعزم يكفيك ، صروف الدهر وأحداثه .

(٣) وكرمك بحر يفيض على كل ضعيف .

(٤) الوسوسة : مرض يحدث من غلبة السوداء يختلط معه الذهن .

(٥) الكِعاب : جمع كِعب : من القصب والقنا : العقدة بين الأنبوبتين . يركبها الأطفال حِصَانًا ، أو ينفخون فيها فتحدث صوتا ونغما .

أما الدوامات : فهى إما جمع دَوْمة . ثمرة شجرة فى غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر وله نواة ضخمة ذات لب اسفنجى ، أو جمع دُوّامة وهى لعبة مستديرة يلفها الصبى بخيط ثم يرميها على الأرض فتدور .

(٦) أى أنه أصبح مع من لا يناسبه وهو القاضى !

(٧) أى ويحدث منك ذلك وتمارسه ؟!

قال الشيخ : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ! قال سوار : فتصاغرَت إلىّ نفسى[1] .

١٨ ــ مجنون

مجنون أديب !

محمد بن يعقوب الأزدى عن أبيه قال : دخلت «دير هرقل» فوجدت فيه مجنونا مكبلا[2]، فكلمته ، فوجدته أديبا فقلت : ما الذى غيرّك إلى ما أرى ؟! فقال :

نظرت إليها فاستحلّت بنظرة ... دَمى! ودمى غالٍ فأرخَصَه الحُبُّ
وغاليّت فى حُبّى لَها ورأت دمى ... رخيصاً؛ فمِن هذين دَاخلها العُجْبُ!!

قال بعضهم : لقيت بعض المجانين ، فقلت له : يوم غيم . قال :

أرى اليوم يوماً قد تكاثف غَيْمُه ... وإقتامُه فاليومَ لاشكَّ مَاطِرُ[3]
وقد حَجَبَتْ فيه السحائِبُ شمسَه ... كما حَجَبَتْ وردَ الخدودِ المحاجِرُ[4]

وقال أيضا :

ما الماءُ منحدر من رأسِ رائسه ... يوما بأسرع من غازٍ إلى غازى[5]

١٩ ــ مجنون بالكوفة

الجاحظ والمجنون :

قال الجاحظ : رأيت مجنونا بالكوفة ، فقال لى : من أنت ؟قلت :عمرو بن بحر الجاحظ . قال : يزعم أهل البصرة أنك أعلمهم ! قلت : إنّ ذلك لقال[6] .

من أشعر الناس ؟

قال : من أشعر الناس ؟ قلت : امرؤ القيس . قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت :

---

(١) رأيتها صغيرة أمام ما قاله هذا المجنون وما يعتقده !

(٢) يقال : كبَّل الأسير : قيده .

(٣) أقتم اليومُ: اشتد غباره وكان أغبر ضاربا إلى سوادٍ أو حمرة . والمصدر إقْتام: شدة الغبار .

(٤) المحاجر : جمع مَحْجِر : ما أحاط بالعين .

(٥) الرائس : رأس الوادى وكل مشرف . والغازى : الذى يغزو غيره ويقاتله .

(٦) القال : القول، ونهى النبى ﷺ عن القيل والقال ، ويروى : عن « قيل وقال » بلفظ الماضى : عن فضول القول مما يوقع الخصومة بين الناس .

كأن قلوبَ الطّيرِ رطباً ويابساً لدى وكْرِهَا العُنّاب والحَشفُ البالى[1]

قال : فأنا أشعر منه . قلت : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

كأن وراءَ السّتْر فوقَ فراشِها قناديلُ زيتٍ من وراءِ قِرام[2]

فأينا أشعر ؟ قلت : أنت .

أيهما أقوى ؟!

قال : فأيهما أقوى ، الماء أو الريح ؟ قلت : الريح . قال : لم تُصِبْ . قلت : وكيف ؟ قال : يقع الثوبَ فى الماء ، فيبتل فى طرفة عين ، ويبسط فى الريح فلا يجف ، إلا بعد ساعات . أصبت أم أخطأت ؟ فقلت : أصبت !

٢٠ ـــ مجنون أسود

قال ذو النون : ركبت البحر ومعنا مجنون أسود ، ذاهب العقل ، فلما توسطنا البحر قال الملاح : زِنُوا الكراء[3] ، فوزَنّا حتى إذا بلغوا إليه ، فقالوا له : زِنْ ، فأنشأ يقول :

ليس القلوبُ تَفُوزُ أنسَ أنيسها فتحيرت بين المحبة والهوى !

قال الملاّح : زِنْ . قالَ : بعثنا إلى الخازن لِيَزِن لك . قال : وأين الخازن ؟ قال: فى البحر صَيْرَفِيّ خَازِن ! قال ذو النون : فبينا نحن فى ذلك إذ هاج موج عظيم ، فخرجت منه سمكة فاغرة فاها مملوءَ فوها دنانيرَ ، فجاءت حتى وقفت بقرب الأسود ! فقال الأسود : ياملاّح ! خذها إليك ، وإياك أن تسرق فأخذ منها دينارا ، فلما خرجنا ، سألت عنه فقيل : هذا مجنون لم يفطر منذ خمسين سنة ، لا يطعم فى الشهر إلا مرة !

٢١ ـــ شاب مجنون

لقاء مع المبرد فى دار المرضى :

قال المبرد : دخلت دار المرضى ، فإذا أنا بشاب مقيد إلى جدار ، فقال لى : من

(١) العُنّاب : ثمر شجرة العناب وهو أحمر لذيذ الطعم على شكل ثمرة النبق . أما الحشف فهو ردىء التمر ، وهو الذى يجف ويصلب ويتقبض قبل نضجه ، فلا يكون له نوى ولا لحاء ولا حلاوة ولا لحم .

(٢) القِرام : سِتْر فيه رقم ونقوش ، وثوب غليظ من صوف ذى ألوان يتخذ سترا ، ويتخذ فراشا فى الهودج .

(٣) أى ادفعوا أجرة السفينة دراهم موزونة .

أنت ؟ وما حرفتك ؟ فسكتّ ، فنظر إلى المِحْبرة فى يدى فقال : أمن أهل الحديث، وحملة الآثار ؟ أم مِن أهل الأدب والنحو؟ قلت: من أهل الأدب والنحو. قال : من أصحاب من ؟ قلت : من أصحاب أبى عثمان المازنى .

قال : فهل لك معرفة بصاحبه الذى قعد فى مكانه ؟ قلت : إنى به لعارف . قال : ما سمعت فى نسبه ؟ قلت : يقولون : إنه من ثمالة الأزد . قال : إنه مطعون فيه ؟ قلت : لا .

قال : قد قال عبد الصمد فيه :

سألنا عن ثُمَامَةَ كلَّ حَيٍّ فقال القائلون: ومَنْ ثمالة؟!
فقلت : محمد بن يزيد منهم فقالوا: زدتنا بهمُ جهَالة!

٢٢ ـ ولد مجنون

عندما غلبت عليه المِرّة :

معقل بن على : كان عندنا بالمدينة رجل من ولد كثير بن الصلت ، حسن الوجه ، نظيف الثياب ، كثير المال ، ملازما لمسجد رسول الله ﷺ فغلبت عليه المِرّة ؟ فأحرقته ، فذهب عقله ، فكان بعد ذلك يجلس فى المزابل فمررت به ذات يوم فقلت له : يابن كثير ! عزّ علىّ ما أرى بك ! فقال : الحمد لله الذى لم يجعلنى ساخطا لقضائه وقدره ، يا أخا الأنصار ، رَوَى أهل العراق أن عطاءَ الخُراسانى كان يغازيهم فى سبيل الله ، فيقوم الليل حتى إذا انفجر الصبح ، نادى بأعلى صوته : ياعبدَ الرحمن بن يزيد ، ويا هشام بن الغار ، قُومَا فَصَلِّيَا ، فإن مكابدَة هذَا اللّيلَ الطويلَ خير من مقطّعاتِ[1] النيرانِ والسّلاسِلِ والأغلال .

النجاةَ النجاةَ يا أخا الأنصار فلعلّ ما أنا فيه بدل من النار !

٢٣ ـ مجنون بالبصرة

قال أبو القاسم الصوفى : دخلت البيمارستان[2] بالبصرة فرأيت فى المجانين من تفرست فيه ، فسلمت فردّ علىّ ، فقلت : ما جاء بك فى هذا المكان ؟ فقال:رضى لى بهذا ؛ فلا يعارض فيما يريد ! ثم أنشد يقول :

(١) فى الكتاب العزيز : ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ (١٩/ الحج) .
(٢) المستشفى الخاص بالأمراض العقلية .

تعــرف فى الفكــــر إذا رحّــله الشـــوقُ رحَــــل
وحيـــث مـــاكـــان إذا أنـــزله الحـــبّ نـــــزل
وهكـــذا أهـــل الهـــوى يَلْقَـــون فى الحـــب الخَبــل
مختبـــل معـــــــتبر يَهيـــمُ فى كـــل جَبَـــل
لو خطـــر الوهـــم بـــه على التجـــنّى لاعـــتدل

٢٤ ـــ فتى مجنون ببغداد

أحمد بن يحيى قال : كان ببغداد فتى يجن ستة أشهر ، ويُفيق ستة أشهر ، كما كان فاستقبلنى يوما فى بعض السكك فقال : ثعلب ؟ قلت : نعم . قال : فأنشدته :

وإذا مررت بقبره فاعقر به كُومَ الهجانِ وكلّ طـرْفٍ سابِح[1]
وانضَحْ جوانبَ قبـرِه بدمائِه فلقد تكون أخا دمٍ وذبائح

فتضاحك ، وسكت ساعة ، ثم قال : ألا قال :

اذهَبَا بِى إن لم يكن لكما عقـ...... ر إلى تُرب قَبرِه واعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كا ن دمى من نداه لو تعلمان

ثم بعد ذلك رأيته ، فتأملنى وقال : ثعلب ؟ قلت : نعم . قال : أنشدنى فأنشدته :

أعـار الجـودَ نائلــهُ إذا مـا مالُـه نَفِــدا[2]
وإن أســدٌ شــكا جُبْنــا أعــار فــؤادَه الأســدا

ثم ضحك ، ثم قال : ألا قال :

علم الجودَ الندّى حتى إذا ما حكاه علّم البأسَ الأسد[3]
فله الجودُ مُقِرّ بالندى وله الليثُ مُقرٌّ بالجَلَد

٢٥ ـــ رجل مجنون

إياك أبغى !

قال أبو إسحاق الرملى : كان رجل يشير إلى الحقائق ، ويلحقه الوجد[4] مع كل

(١) أعلى الإبل البيض الكرام . والطرف : الكريم من الناس والخيل ونحوها . السابح : سريع الجرى والعدْو . والكوم : القطعة من الإبل .
(٢) نال فلان ـــ نيلا . ونائلا . ونوْلا . صار كثير النوال .
(٣) الندى : الجود والسخاء والخير . والبأس الشدة والقوة .
(٤) الوجد : الحب والشوق .

لحظة ، ولفظة ، فغُلِبَ على عقله ، فلقيتُه فى المقابر وهو ينشد :

قد ضلّ عقلى وذابَ جِسمى	**وصُنْتَ عَهْدِى وخُنْتُ عهدَك**
لو قلتَ للنارِ : عذّبيه	**إذا ابتلانى . أخفرتُ وعدك[1]**
لصرتُ فى قَعْرها أنادى	**إياك أبغى إياك وحدك !**

٢٦ ـــ *مجنون فى جزر الصين*

مناجــاة :

قال حيان بن على التونسى : ركبت بحر الصين ، فوقعت فى جزيرة ، فدخلت بعض سككها ، فقيل لى : احذر فإن هناك فتى مجنوناً ، فبينما أنا واقف إذ خرج علىّ فتى مدهوشاً ، مرتديا بأشجانه ، مؤتزراً بأحزانه ، وهو يقول : لك هطلت الآماق[2] ، ولك بكت الأحداق[3] ، وذكرك مشهور فى الآفاق ، يا من ينعم بحبه أهل الإشفاق . يا من يداوى جراحاتِ أهل الوجدِوالاحتراق افسلمتعليه فرد علىّ ثم أنشأ يقول :

وكن لربك ذاحُبٍّ لتخدُمَه	**إن المحبين للأحباب خُدّام**
قوم يبيتون من وجد ومن قلق	**ومن محبته فى الليل قُوّامُ**
قد قطعوا الليلَ دَهْراً فى مَحبّتِه	**ما إن ترونهم بالليل نُوّام**

٢٧ ـــ *مجنون بالكوفة*

حب ذى العرش :

قال ابن جبلة الساوى : رأيت بالكوفة مجنونا قد تمنطق بمنطقة عريضة[4] عليها مكتوب :

حب ذى العرش سناء وشرف	**وهدايــا وعطــاءٌ وتُحــف**
فتهجد فى دُجَى اللّيل له	**لتــرى منه أعاجيب اللطـف**

---

(١) أخفر الوعد : نقضه .

(٢) الآماق : جمع مُؤْق . أوموق ـــ مخففة ـــ مجرى الدمع من العين أو مقدمها أو مؤخّرها .

(٣) الأحداق : جمع حدقة : السواد المستدير وسط العين . والمراد العين .

(٤) شد على وسطه ما يتمنطق به .

٢٨ ــ مجنون فى دمشق

قال الحسن بن على بن جعفر الخياط ، بالكوفة : سمعت أبى يقول : رأيت مجنونا فى سوق دمشق ، وهو يقول :

يا غافلا مُقبِلاً على أمله ... وجاهلاً والنَّسَاء فى عمله[١]
كم نظرةٍ لامرىءٍ يُسَرّ بها ... لعلها منه مُنْتَهى أجله !

٢٩ ــ شاب مجنون

الحسن بن على بن عبد الرحمن القناد قال : دخلت دار المَرْضَى بالشام ، فرأيت شابا مسلسلا ، مغلولا ، مستوقَراً[٢] ، فقال : يا شيخ إن روّيْتُك أبياتا تحفظها ؟ قلت : نعم . قال :

يانفسُ! قومى بى؛ فقد نام الوَرَى ... إن تفعلى خيرا فذُو العرشِ يَرَى[٣]
وأنت يا عينُ، دعى عنكِ الكرَى[٤] ... عند الصباح يَحْمَد القومُ السُّرَى[٥]

٣٠ ــ رجل مدهوش

من أجل حبك ياسيدى !

قال سهل بن على الأنبارى : اجتمع قوم إلى المنصور ، فقالوا له : ياأبا السرىّ ، فى جوارنا رجل مدْهوش ، ذاهب العقل ، لا ترى له صورة[٦] ، فقال المنصور : أوقفونى عليه ، فأتوا به بابه ليلا ، فلما غارت النجوم ، وهدأت العيون سمعوه يقول :

طال القيام لهجعةِ النوّامِ ... وتراكَ مُطّلِعاً لطول مَقامى
ياسيدى ومُؤَمَّلى وموثقى ... من أجل حُبّك قد هجرتُ مَنامى!

فأجابه المنصور :

---

(١) النَّسَاء : التأخير والتأجيل والتسويف .
(٢) يحمل حملا ثقيلا .
(٣) الورَى : الخلق .
(٤) الكرى : النوم .
(٥) السُّرى : المشى ليلا ، وعند الصباح يحمد القوم السُّرى : مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . مجمع الأمثال للميدانى .
(٦) غير ثابت على حال .

ياذا الذى هجر الرقادَ لديه   أبشر بدارٍ تحيةٍ وسلام !
يوم القدوم عليه فى دار البقا   يوم تزف إليــه باالخدّام

٣١ ــ شيخ بدار المرضى ببغداد

من كان أذنب ذنبا !!

قال محمد بن جعفر الطيب الخاقانى الطبرستانى : دخلت دار المرضى ببغداد فإذا شيَخ مقيد يُبكى وقد خنقته العبرة فقلت له:مالك فأنشأ يقول :

من كان أذْنب ذَنْباً   فلْيَــدْنُ منى قليــلا
لعلنـــا نتباكـــــى   على الذنــوب طويــلا

٣٢ ــ مجنون

ليس على فائتٍ أسفُ !!

قال مهلهل بن على العنزى: كان عندنا فى عنزة مجنون، يُرمى ، ويضرب ! فقلت له : الآن ترمى وتشد ؟! فأنشأ يقول :

ليس على فَوْتِ فائتٍ أسفُ   ولا ترانى عليه ألتهــف
ما قدر الله لى فليس له   عَنّى إلى من سوايَ ينصرفُ
ومانع ما لديه ، قلت له :   لاضير فى الله منك لى خلف[1]

٣٣ ــ شيخ بدار المجانين

أتعجب منى ؟!

قال بعضهم : دخلت دار المجانين ، وعلىّ شارة حسنةٌ ، وثياب فاخرة ، فإذا شيخ مقيد مغلول ، فجعلت أنظر إليه ، فقال : مَهْ[2] !

أتعجب منى فى قيودى وأغلالى ؟!   وأنت رضى البالِ فى العِزّ والمال

---

(١) ضاره : أضرّبه . ولا ضَيْرَ . لا ضرر ولا حرج وفى التنزيل : ﴿قالوا لا ضير إنّا إلى ربنا منقلبون﴾ . الشعراء: ٥٠

(٢) اسم فعل أمر بمعنى . اكفف .

فلا أنت تبقى بعد مالٍ كسبْتَه ... ولا أنا أبقى فى قيودى وأغلالى

٣٤ ـ شاب حسن فى دار المجانين

قال أبو الحسن العنسى المؤدب : دخلت الموصل ، فإذا أنا ذات يوم فى أزقتها ، إذا صياح وجلبة ، وإذا هى دار المجانين ، فدخلت إليها فإذا شاب حسن شُحِطَ فى الدم[1] ، فسلَّمتَ عليه ، فردّ وقال : من أين جئت ؟ قلت : من بالس[2] قال : وأين تريد ؟ قلت : العراق . قال لى : أتعرف بنى فلان ؟ وأشار إلى بيت . قلت : نعم . قال : لا صنع الله لهم ! فهم الذين أدهشونى ، وأحَلّونى هنا !

قلت : وما فعلوا ؟ قال :

زمّوا المطَايَا واستقَلّوا ضُحىً ... ولم يُبَالُوا قلبَ من تَيَّموا[3]
ما ضرّهم ـ والله يرعاهم ـ ... لو ودّعوا بالطرْفِ أوْ سَلّموا
مازلتُ أُذْرِى الدمعَ فى إثرهم ... حتى جَرى من بعد دَمْعى دَمُ
ما أنصفونى يوم قاموا ضُحىً ... ولم يَفُوا عهدى ولم يَرْحموا

٣٥ ـ شيخ مجنون

واحســرتاه !

قال محمد بن محمد البغدادى : كان بجوار جُنَيد قدس سره ، شيخ مجنون ، فلما مات جنيد رحمه الله ، وقف الشيخ المجنون على تَلّ ، ثم أنشأ يقول :

واحسرتا من فراق قومٍ ... هم المصابيـحُ والحصونُ
والمزْن ، والمدْن ، والرواسى ... والخيرُ والأمنُ والسكونُ[4]
لم تتغير لنا الليـالى ... حتى توفاهـم المنُـون[5]

(١) شحط فى الدم : اضطراب وتخبط .
(٢) بالِس : بلدة بالشام بين حلب والرَّقة .
(٣) تيمّه الهوى أو الحبيب ، تامه واستعبده وذهب بعقله .
(٤) المُزْن : السحب المحملة بالمطر . والرواسى : الجبال .
(٥) المنون : الموت .

فكـل جمر لنـا قلوب وكل ماءٍ لنـا عيـــون[1]

٣٦ ــ شاب مجنون

ألا ليت ما فات يعود !

قال بعضهم : دخلت دار المجانين بالبصرة فرأيت شابا أحسن الناس وجها ، وقد قُيِّد وغُل ، وكنت رأيته فى البزازين قبل ذلك صاحب نعمة ، فقلت : ما الذى دهاك ؟ فأنشأ يقول :

تمطى علىّ الدهر فى متن قوسه ففرّقنا منه بسهمٍ شَتَاتِ
فيا زمناً ولّى على رَغْمِ أهله ألاَ عُدْ كما قد كنت مُذْ سنوات !!

٣٧ ــ غلام مجنون

لبـاس الـوداد !

قال الوليد بن عبد الرحمن ، السقّاء برملة : بينا أنا ذات ليلة فى منزلى ، إذ طرق الباب طارق ، فقلت : من طرق الباب ؟ فأنشأ يقول :

أنا الذى ألْبَسَنى سَيّدى لما تَعَرّيْتُ لباسَ الوِدَاد
فصرتُ لا آوى إلى مؤنس إلا إلى مَالكِ رِقّ العِبَاد !

فخرجت فإذا أنا بغلامٍ ذاهبِ العقلِ هائمٍ مجنونٍ مستوفز[2] ، فدخل الدار وقال : ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾[3] فعلمت أنه جائع . فقدمت إليه شيئا ، فأكل وشرب ، ثم وثب إلى الباب وأنشأ يقول :

عليكَ اتّكالى لا عَلى الناسِ كلّهم وأنت بحالى عالِمُ لا تُعَلّم
وأقسمت أنى كلما جُعْتُ سَيّدى ستفتح لى باباً فأُسْقَى وأُطْعَمُ

قال الوليد السقاء فقلت له : توصينى بوصية ؟ فقال :

---

(١) فقلبه عليه يحترق ، وعينه تسح الدموع والعبرات !

(٢) استوفز : جلس على هيئة كأنه يريد القيام . وانتصب فيها غير مطمئن .

(٣) (٦٢/ الكهف) وهو اقتباس من القرآن الكريم .

الزمِ الخوفَ مع الحُزْنِ ... وتقوى الله فاربح
وذَرِ الدنيا مع الأخـ ... ـرى فتقوى الله أرجح[1]
فاجتهد فى ظلمة الليـ ... ـل إذا ما الليلُ أجنح[2]
واسأل الله ذنوبَك ... لعلّ الله يصفح

٣٨ ـ رجل يرمى بالحجارة

على بعدك لا يصبر !

قال مالك بن دينار : مررت ببعض سكك البصرة ، فإذا الصبيان يرمون رجلا بالحجارة ويقولون : هو يزعم أنه يرى ربه على الدوام ! قال : فزجرت عنه الصّبيان وقلت له : ما الذى يزعم هؤلاء ، قال : وما يزعمون ؟ قلت : يزعمون أنك تزعم أنك ترى ربك على الدوام ! فبكى ! وقال : والله ما فقدته ، لَمَّا أطعته ! ثم أنشأ يقول :

على بعدِك لا يَصْبِرُ ... من عادَتُه القُرْبُ
ولا يقوى على هجْرِك ... من تيمّه الحب
لئن لم ترَكَ العينُ ... فقد أبصركَ القَلْبُ

من تجارب المجانين !

ولبعض المجانين : احذروا الأقاربَ ؛ فإنهمُ العقارب ! ثم قال : وأخبث العقارب أقرب الأقارب .

فربما لم يَصْدر عن العُقلاء ، ما صدر عن المجانين .

لذة الناس ولذتى !

ولبعض المجانين :

تَلَذُّ الناسُ إن عَمَّروا وعَاشُوا ... ومالىَ لَذَّةٌ فى طولِ عُمْرِى

(١) ذرْ : دع واترك .
(٢) أجنح : مال . وجنوح الليل : إقباله .

وما يُغْني الجمالُ وحُسْنُ ثوبى — إذا ما كُنت أُصْرَعُ كلَّ شهر
بقيئى قد تلَطَّخ حسنُ وجْهِى — أبول فى الثياب ولستُ أدرى
فليت الله عاجلنى بموتٍ — ليكتمَ سوءَ حالى تحتَ قبرى !

فيــم البكــاء ؟!

لآخر ، وقد بال فى قميصه : والناس يبكون عليه ! ويقولون : ما حالك ؟ فقال :

أيبكى الناظرون لسوءِ حالى ؟! — ولا يبكون عاقبة الليالى !
وكم وجهٍ جميلٍ صار مِثْلى — ولم يكُ مثلَ ذلك فى مثالِ
إذا عوفيتَ يا هذا ، فشكرا — وعُذْ مِمّا ترى من سُوءِ حالى[1]

٣٩ ــ شيخ مجنون

جُبّةُ الشّيخ صحيفةُ مواعظ :

قال ذو النون المصرى : رأيت شيخا مجنونا ، وعليه جبةُ صوف ، مكتوب عليها من ورائه :

حَتّامَ يا شيخُ ما تَستَحِى — يراكَ مولاكَ مع الغافلين[2]
ما تستحى منه ، وما تَرْعَوى — غطّى خَطَايَاكَ عن العالمين[3]
نساك بين الخلق فى منزه — وأنت معكوف مع الفاسقين

وعلى كمه الأيسر مكتوب مؤخَّراً :

إن لِلّـــــهِ عبـــــاداً — كشفـــوا فيـــه القِنَاعَـــا
هل رأيتم خادمـــا عا — مَل مولاه فَضَاعَـــا ؟!

---

(١) عد إلى الله متعظاً بما تراه من سوء حالى ! أو وعُذْ بالله أن يخفظك !

(٢) حتام : حتى متى ؟!

(٣) ترعوى : تنزجر وترجع عن غيك وتعتبر .

وعلى كمه الأيمن مكتوب مقدّماً :

عجبتُ لمن ينامِ وذُو المعالى ينادى : يا عبادى أنا البَذُولْ
وهل يجدُ الخلائقُ مثلَ ربّى وكلُّ فِعَالِه حسنٌ جميل

تتمة الكم الأيسر :

سوفَ أُرويكـم حديثـا قد سمعنـاه سَمَاعَـا
مـن دنـا من رَبـه شِـبْـ .... ـرا دنـا منـه ذِرَاعـا[1]

٤٠ ــ شاب مجنون

ياراحل العِيس عرج كى أودعها !

قال عبد الله بن عبد العزيز السامرى : مررت بدير هرقل ، أنا وصديق لى ، فقال لى : ادخل بنا ننرى من مُلَح المجانين . فقلت: ذلك إليك ، فدخلنا ، وإذا شاب مليح الوجه ، حسن الزّى ، قد رجّل شعره[2] ، وكحّل عينيه ، به طراوة[3] ، يعلوه حلاوة مشدود إلى سلسلة ، بجانب حائط ، فلما بَصُر بنا قال : مرحبا بالوَفْدِ ، قرّب الله ما نأى[4] مِنْكما بأبى أنتما . قلنا : وأنت . فأمتع الله الخاصّةَ والعامّةَ بقربك وآنس جماعَة ذوِى المروءة بشخصك ، وجعلنا وسائرِ من يُحبك فداءك فقال : أحسن الله عن جميل القول جزاءكما ، وتولى عنى مكافأتكما .

قلنا : فما تصنع فى هذا المكان الذى أنت لغيره أهل ؟! فقال :

الله يعلـم أننـى كَمِـدٌ لا أستطيع أُبثّ ما أجـد[5]

(١) تضمين جميل للحديث القدسى الذى رواه مسلم عن أبى هريرة : يقول الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدى ، وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأه ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن اقترب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا وإن اقترب إلىّ ذراعا اقتربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » .

(٢) رجّل شعره : سرّحه .

(٣) طرو طراوة كان غضًّا لينا .

(٤) نأى : بعد .

(٥) كَمِد : حزين يكتم حزنه .

نفسان لى : نفسٌ تَضمّنَها بلد وأخرى حازها بَلَدُ
وأظن غائبتى كشاهدتى وكأنها تجد الذى أجد[1]

ثم التفت إلينا فقال : أحسنتُ ؟ قلنا له : نعم . ما قصرت ، وولّينا . فقال : بأبى أنتما ما أسرعَ ذهابَكما ! بالله أعيرونى أفهامكما ، وأذهانكما ! قلت : هات . فقال :

لما أناخوا قُبَيْل الصُّبْح عِيرَهم ورحَّلوها فسارت بالْهوَى الإبِلُ
وقَلبت من خِلال السُّجْفِ[2] ناظِرَها ترنو إلىّ ودمعُ العينِ مُنْهَمِلُ
وَوَدّعت ببنانٍ عقْده عَنَمٌ ناديتُ لا حَمَلَتْ رِجْلاك يا جَمَلُ
ويْلِى من البين ماذا حَلّ بِى وبِهم يا نازحَ الدارِ حلَّ البين فارْتحلوا
يا راحِلَ العيسِ عَرّجْ كَىْ أوَدّعَها يا راحَل العِيسِ فى تَرْحالِك الأجَلُ
إنى على العهدِ لم أنْقُضْ مودّتكُم ياليتَ شِعْرى بطولِ العهدِ ما فعلوا ؟!

قلنا : ولم نعلم بحقيقة ما وصف ـــ مُجُونًا مِنّا ـــ ماتوا ! قال : أقسمت عليكم ماتوا ؟! قال : إنى ميت فى إثرهم ، ثم جذب نفسه من السلسلة جذبة دلع منها لسانه[3] ، وبدرت عيناه ، وانبعثت شفتاه بالدماء ، فتلبط ساعة[4] ، ثم مات . فلا تنسى ندامتنا على ما صنعنا به !

٤١ ـــ أديب عاشق

قال الرّيّان بن على الأديب : عشق فتى من أولاد بعض أصدقائى جاريةً لبعض الأشراف ، فأنحَلَهُ العِشق ، وأضْنَاه ، وتيّمه ، وأتلفه ، فمررت به يوما فى بعض الخرابات ، فقلت له : كيف حالك ؟ قال : أسوأ حال ! عقلٌ هائم ، وغمٌّ لازم ، وفِكرٌ دائم . ثم أنشأ يقول :

تيّمـــــنى حبُّـــــه وأضْنَانــــــى وفــى بحـار الهمـوم ألقانــى !
كيـفَ احْتِيالىَ وليـسَ لى جَلَـدٌ فى دفع ما بى ، وكشفِ أحزانى ؟!

(١) ذكر صاحب العقد الفريد بيتا قبل الأخير هو :

أما المقيمة ليس ينفعها صبر ، وليس يقرها جلد

(٢) السجف : الستر .

(٣) دلع لسانه : خرج من الفم واسترخى .

(٤) تلبط : صُرِع وسقط على الأرض .

يارب فاعطف بقَلْبِها فعسى يرحم ضعْفى وطول أشجانى

٤٢ — فتى مجنون

قال سهلان القاضى : بينما أنا سائر فى بعض الطرقات ، إذ مررت بفتى مجنون وبين يديه خُلْقان[١] ، فقال لى :أين رأيت القافلة ؟ قلت : فى موضع كذا . قال : آه من البين ! آهِ من دواعى الحين . فقلت : وما دهاك ؟ فقال :

شَيَّعْتُهم من حيثُ لم يَعْلَمُوا ورحتُ والقلبُ بهم مُغْرَمُ
سألْتُهمُ تسليمةً مِنْهُمُ علىّ إذ بانُوا فما سَلَّمُوا[٢]
ساروا ولم يَرْنُوا لمسْتَهْتَرٍ ولم يبالوا قلبَ من تَيَّموا[٣]
واستحسنوا ظلمى فمن أجلهم أحَبّ قلبى كلَّ مَنْ يَظْلِمُ !

٤٣ — مجنون ذو بديهة

قال على بن عبد الرحمن القناد : وُصف لى مجنون بمصر ذو بديهة ، فطلبته حتى ظفرت به ، فكلمته فبكم مَلِيًّا[٤] ، ولم يرد علىّ جوابا ، ثم نظرت إلى فَرْوَتِه فإذا عليها مكتوب :

عشرون ألفَ فتى ، ما منهمُ رَجُلٌ إلّا كألفِ فتى مِقدامةٍ بطَلْ
أضحَتْ مَزَاوِدُهم مَمْلوءةً أملاً ففرغوها وأوكوها على الأجل[٥]

٤٤ — شيخ مجنون

قال أبو الهذيل العلاف : رحلت من البصرة أريد العسكر ، فمررت بدير هرقل . فقلت :لأدخلن هذا الدير ، لأرى ما فيه ، فإذا شيخ حسن اللحية فى السلسلة ،

(١) ثياب بالية خلقه .
(٢) بانوا : بعدوا ، وفارقوا الديار .
(٣) رنا إليه : ادام النظر فى سكون طرف ، واستُهْتِر فلان : ذهب عقله وفتن بمحبوبه غير مبالٍ بنقد ولا موعظة !
(٤) فبكم مليا : سكت طويلا ولم يتكلم .
(٥) المزاود : جمع مِزْوَد : وعاء الزاد . أوكوها : ربطوها وشدوها بالوكاء وأغلقوها .
لقد كانت مزاودهم مملوءة أملا فتخلّوا عن آمالهم وحرصوا كل الحرص على أرواحهم وحياتهم !

فأدَمْتُ النظر إليه ، فلما رآنى لا أردُّ بصرى عنه قال لى : أمعتزلى أنت ؟ قلت : نعم . قال أإمامى أنت ؟ قلت : نعم . قال : تقول القرآن مخلوق ؟ قلت . نعم . قال : كن أبا الهذيل العَلاّف .

قلت : أنا أبو الهذيل. قال : أسألك . قلت . سل . قال : أخبرنى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أليس هو أمين فى السماء وفى الأرض ؟ قلت : بَلى . قال : أخبرنى عنه هل به خَلّة مَيْل أو حَيْف أو هَوًى ؟ قلت : لا . قال : فأخبرنى عن رأيه . أليس هو الذى لا يدخله زلل وشبهة ، المعصومُ من الشبهةِ والرِّيبة ؟ قلت : بلى . قال : فأخبرنى عمن هو دونه من الخلق ؟ أليس يدخلهم فى رأيهم الفساد والغفلة والهوى ؟ وأنهم أضداد فى كل شئ ، وإن كانوا أخياراً ؟! قلت : بلى . قال : فلأى علة لم يُقمْ لهم علماً ينصبه بقوله : هذا خليفتكم بعدى ، فلا تقتتلوا . لم يفعل هذا إلا ليكون الاختلاف والفساد فى أمته . قلت :معاذ الله أن يكون ذلك ! قال : فلم تركهم وألجأهم إلى رأى من دونه فى الصفة إذا لم يحبّ الاختلاف والتشتت ؟ فسكت فلم أدر ما أقول له ! فقال : مالك لا تجيب ؟ ألا تحسن ؟ . ثم تركته ، وخرجت ، فلما رآنى مُوَلّيا نادانى الشيخ :ارجع إلينا ، فرجعت إليه فقال : أحسبك تريد الخليفة . قلت : نعم . قال : إلى أن تصير إلى الخليفة اقضِ لى حاجتى . فقلت : وما هى ؟ قال : تكلم هذه الفاعلة امرأة صاحب الدير تُطْلقُنى . فكلمتها فقالت : عليه فى هذا ضَرَر ، فلما رآها غير مجيبة قال : فسلها أن تستوطنى ، فسألتها ، فأجابت . فانصرفت عنه متعجبا ، فلما صرت إلى «سُرّ مَنْ رأى» ودخلت على الواثق ،قال لى :ما كان حالك فى سفرك ؟ قلت : أعجوبة ياأمير المؤمنين لم أسمع بمثلها ! فقال : وما هى ؟ فقصصت عليه حديث المجنون ؛ فقال : يحضر المجنون فأُحضر ، وأصلح من شأنه وأدخل عليه فلما رآنى قال : حاجتنا . قلت : نعم . قال الواثق لمحمد بن مكحول : كلِّمْهُ . فقال المجنون : ياأمير المؤمنين هذا ليس يُحسن شيئاً ، فإن كان عندك مَن يحسن ؟! قال الواثق : فاسأل ، فإن المجلس مشترك ، فمن كان يُحسن أجابك . فسأل عن المسألة المذكورة فأحجم القوم عن الجواب ! فالتفت إليه الواثق فقال : ليس ههنا من يجيب ؛ فأَجِبْ . فقال : سخينَ العينِ[1] أكون سائلا ومجيبا فى وقت ؟ فقال الواثق : وما عليك أن تعلمنا . قال : أما إذا كان

(١) سخين العين : ما ينزل به ما يبكيه ؛ لأن دموع الحزن تكون ساخنة وعكسه قولهم : أقر الله عينه .

كذلك فنعم . إن الله سبحانه حكم فحكم فى خلقه ، ولم يكن بدّ من تعبّدهم ، وكان الاختلاف بينهم حِكْمة فى خلقه ، إذ قد كان حكم عليهم بذاك الاختلاف قبل خلقهم ، فأحجم ، ثم قام الواثق ليدخل الدار فقال المجنون : يابن الفاعلة أخذت منفوعنا وفررت ؟! فأمر بالإحسان إليه !

نظرة الفضيل إلى الدنيا وأهلها :

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : الدنيا دار المرضى ، والناس فيها مرضى وللمجانين فى دار المرضى شيئان : غُلّ ، وقَيد[1] ولنا غُلّ الهوى ، وقيد المعصية .

٤٥ ـ مغلوب على عقله

عظة ونصيحة للأمير :

قال الأصمعى : ركب جعفر بن سليمان أمير البصرة فى زِىّ عجيبٍ من اللباس والغِلمان والدوابّ والصقور والفهود[2] ، وكان عندنا رجل بالبصرة يتفقه ، وكان فى حداثة سنه يجالس العبّاد ، فغُلب على عقله ، فخرج فى طريق جعفر ، فلما أبصره وقف وقال : ياجعفر بن سليمان ، انظر أىَّ رجل تكون إذا خرجت من قبرك وحدك ؟ وحُمِلْت على الصراط وحدك ؟ وقدم إليك كتابك وحدك ؟ ولم يغن عنك من الله شيئا .

ياجعفر ، إنك تموت وحدك ! وتقف بين يدى الله وحدك ! وتدخل قبرك وحدك ! ويحاسبك الله وحدك ! فانظر لنفسك قد نصحت لك ، فرجع جعفر من نزهته تلك ، وسأل عن الرجل فقيل : هو مغلوب على عقله !

٤٦ ـ معتوه

شفاء الغيظ بلية !

قال ضمرة بن ربيعة : وقف علىّ معتوه فخنقنى وقال : تعلم. قلت : خلّص عن

---

(١) الغُلّ : طوق من حديد أو جلد يجعل فى عنق الأسير أو المجرم أو فى أيديهما . أما القيد ففى الرجل .
(٢) أدوات الصيد والقنص .

حَلْقى . فخلّى يده ثم قال : الشر نذالة ، والعفوُ كرم ، والاستقصاء غم ، وشفاء الغيظِ بلية !

٤٧ ـ مجنون

قال محمد بن بيان : مررت ، وإذا جماعة على مجنون وقوف ، فوقفت فهَشّ[١] إليّ وقال :

اسقنى قبلَ تَباريح العطشِ	إن يَوْمى يومُ طسٍ[٢] بعد رَشّ[٣]
حُبُّ من أهواهُم أدهشنى	لا خَلَوْتُ الدّهر من ذَاك الدّهَشْ

٤٨ ـ شاب مجنون

هل للنوم لذة ؟ ومتى نجدها ؟

قال ثمامة بن الأشرس : دخلت «دير هرقل» فرأيت فيه شابًّا مشدوداً إلى سارية[٤] ، فقال لى : ما اسمك ؟ قلت : ثمامة . قال : المتكلم ؟ قلت : نعم . قال : ياثمامة ، هل للنوم لذة ؟ قلت : نعم . قال : متى يجدها صاحبها ؟ إن قلت قبل النوم أخطأت ! وإن قلت مع النوم أخطأت ؛ لأنه ذاهبُ العقلِ ، وإن قلت بعد النوم أخطأت ، لأنه قد انقضى .

قلت : وما تقول أنت ؟ قال : إن النعاس داءٌ يحِلّ بالبدن ، ودواؤه النوم !

٤٩ ـ شاب مسلسل

دخل الأمير سعيد مع وزيره دار المرضى ، فإذا شاب مسلسل ، فلما رأى الأمير ، قال له : أيها الأمير ، هذا وزيرك ؟ قال : نعم . قال : يزعم أنه أعقل الناس . فإن سألته مسألةً . قال : سَلْه . قال : ما أكثرُ الأشياءِ ؟ قال : ذواتُ الأربع . قال : ليس

(١) يقال : هشّ له وبشّ . انشرح صدره سروراً به .

(٢) قبل : أن يشتد بى العطش .

(٣) الرش والرشاش الطشاش من المطر وهو دون الوابل وفوق الرذاذ . وطسّه غطّسه : والمراد أن يومه يوم تحقيق الأمل بعد طول معاناة .

(٤) سارية : عمود . أو خشبة .

كذلك . قال : فما هو ؟ قال : لا أقول حتى تقولَ بالعجز . قال : قد أقررت . قال : أكثر الأشياء الهموم . قال : ولِم ؟ قال : لأن نصيبى منها أوفر الانصباء ! قال الأمير : سل حاجتَك . قال : مُسْكَةُ عَقْل[1] أعيش به ، وأنجو من هذا القيد . قال : ليس ذلك إلىّ . قال : فلا حاجة لى فى سواه !

٥٠ ـــ شيخ مجنون

سؤال عن الحـــب :

قال جنيد البغدادى : ـ رحمه الله ـ : دخلت دار المرضى بمصر فرأيت شيخا ، فقال لى : ما اسمك ؟ قلت : جُنيد . قال : عِراقىٌّ ؟ قلت : نعم . قال : ومن أهل المحبة ؟ قلت : نعم . قال : فما الحب ؟ قلت : إيثار المحبوب على ما سواه . فقال : الحب حُبّان : حب لعلة ، وحُبّ لغير علة . فأما الذى لعلة : فرؤية الإحسان ، وأما الذى لغير علة فلأنه أهل لأن يُحَبّ . ثم أنشد :

أحبك حبين : حبَّ الهوى ... وحبًّا لأنكَ أهلٌ لذاكا
فأما الذى هو حبُّ الهوى ... فشُغْلى بذكرك عمّن سواكا
وأما الذى أنت أهلٌ له ... فكشفك لى الحجبَ حتى أراك
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا[2]

٥١ ـــ شيخ مجنون غُلت يداه

قال أبو غسان الإسماعيلى : دخلت البصرة فرأيت شيخا مجنونا قد غُلّت يداه ، وأحدق به الناس ، فرحمته وأزحت الناس عنه فتنفس الصعداء ، واستعبر[3] . ثم قال :

لقد صبرت على المكروه أسمعُه ... من معشرٍ فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريتُ أقواماً أُجاملهم ... لولاك ما كنتُ أدرى أنهم خُلِقوا
الحمدُ لله حَمْداً لا شَريكَ لَهُ ... كأننى بِدْعَةٌ من بين مَن عَشِقُوا

(١) بقية عقل .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٧٩ (مصر سنة ١٢٠٣ هـ) . والأبيات فى المخطوطة فيها تصحيف وتحريف فآثرنا نقلها من مصادرها عن رابعة العدوية . ولا عن مجنوننا إذ حرفها !

(٣) تنفس الصُّعَدَاء : نفس ممدود أو مع توجع . واستعبر : بكى وسالت عبراته .

٥٢ ــ مجنون

قال بعض السياخ : دخلت مسجدَ البصرة ، فإذا فقير عليه أثر البؤس وهو يترنم فى نفسه ، فإذا هو مجنون ، فلما دنوت منه سكت ، فقلت : له أعد ما كنت تقوله . فقال ارتجالا :

أشار قلبى إليك كيْما ... يرَى الذى لا تَراهُ عَيْنى
وأنت تُلْقى على ضميرى ... حلاوة السُّؤل والتَّمَنى[1]
تريدُ مِنّى اختبارَ سرى ... وقد علمتَ المراد مِنّى
وليس لى فى سواك حَظٌّ ... فكيفما شئَت فاخْتَبِرْلى !

روى أحمد بن عمران السوادى لبعض المجانين :

ولست بقوّالٍ لذى الزادِ أبْقِه ... فإنك إن لم تُبْق زادَك يَنْفَدِ
ولا ناظرٍ فى وجهِه ، ثم قائل ... ألا لا تُصاحبنا إذا لم تزوّد

٥٣ ــ رجل فى كوخ

قال عمر بن عثمان الصوفى : دخلت جبال الشام ، وإذا أنا برجل فى كوخ فأقمت عليه يوماً وليلة ، لم أسمع له كلاما ، فخرج من كوخه ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : إلٰهى شهد قلبي لك فى النوازل بسعة روح الفضل ، وكيف لا يشهد لك قلبى بذلك ؟ فأخسر إنْ يألف قَلْبى غيرَك ؟ هيهات ! لقد خاب لديك المقصرون .

ثم قال : إلٰهى ما أحلى ذكرَك ! ألَسْت الذى قصدك المؤَمِّلون ؛ فنالوا منك ما طلبوا ؟!

فقلت : أصلحك الله . إنى منتظرك منذ يوم وليلة ، أريد أن أسمع كلامك ! قال : قد رأيتك حين أقبلت ولم يذهب روعك من قلبى ، قلت : وما راعك منى ؟ قال : فراغك فى يوم عملك ، وبطالتك فى يوم شغلك ، وترك الزاد ليوم معادك ،

---

(١) السُّؤل : ما سألته .

ومُقامك على الظنون ! فقلت : إن الله سبحانه كريم ، وما ظن به عبدُه شيئا إلا أعطاه .

قال : نعم إذا وافقته السعادة ، والعمل الصالح ، قلت : أهٰهنا فتية يستراح إليهم ؟ قال : نعم . قلت : هل عندهم دواء يتعالجون به ؟ قال : إذا كَلُّوا دَاوَوْا الكلالَ بالكَلالِ ، وحثَوْا الحُثَّ بالأنخال[1] ، فتسكن العروق وتهدأ الآلام .

٥٤ ــ مجنون مقيد

قال عبد الله بن حسان المزنى : مررت بمجنون مقيد . والصبيان يؤذونه فقال : اطرد عنى هؤلاء الأنذال أُفِدْكَ أبياتا تُسَرّ بها ، فطردتُهم عنه ، فقال : أنا جائع فأتيتُه بشئ فأكله ، وقلت له : هات . فقال :

اصبر إذا عَضّك الزَّمَانُ ومَنْ ... أصْبَرُ عندَ الزمانِ مِنْ رَجُلِه
ولا تُهِنْ لِلصَّدِيقِ ـ تَكرمةً ـ ... نفسَك ، كى لا تعد من خوَلِه[2]
يحمل أثقاله عليك كما ... يحمل أثقاله على جمله
ولستَ مستبقيا أخاً لكَ لا ... تصفحُ عما يكونُ من زَلِله[3]

٥٥ ــ شاب حسن الوجه

ما معنى اللطيف ؟

قال زياد النميرى : دخلت دار المجانين ، فإذا شاب حسن الوجه ، فى زاوية

---

(١) الحسوة : الغرفة باليد . الحُثّ : المدقوق من كل شئ وغير دقيق الطحن ، والخبز القفار . والنخالة : ما بقى من الشئ بعد نخله .

(٢) الخوَل : الخدم . ويريد ألا نبالغ فى إكرام الصديق بإهانة أنفسنا حتى لا نبدو كخدمه ! والبيت الثانى يعطى المثل . فصاحب الشئ أحق بحمله .

(٣) ويلتقى مع هذا البيت بيت النابغة الذبيانى :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تَلُمّه ... على شعثٍ أى الرجال المهذب !؟ .

مشدود إلى جدار ، فقال لى : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . فقال : فاقرأ ، فقرأت : ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾ (١٩/ الشورى) . فقال : أخبرنى ما معنى (اللطيف) ؟ قلت : البارّ ، الرفيق . قال : هذا فى وصف الناس . قلت : فما اللطيف ؟ قال : الذى يعرف بلا كيف !

٥٦ ـــ مجنون ينطق بالحِكَمْ

دار الغرباء !

قال سكين بن موسى : كنت مجاوراً بمكة ، وكان بها مجنون ينطق بالحِكَمْ ، فقلت له : أين تأوى بالليل ؟ فقال : دار الغرباء . فقلت : ما أعرف بمكة داراً يقال لها دار الغرباء ! قال : ياسكين دار الغرباء : المقابر . فقلت : أما تستوحش فى الليل وظلمته ؟ قال : إذا فكرتُ فى القبرِ ووحشته ، هان علىّ الليلُ وظلمتُه .

أسئلة وأجوبة :

قيل لبعض المجانين : لم سميت مجنونا ؟ فقال : أنا مجنون عن معصيته لا عن معرفته .

وقيل لآخر : أنت مجنون ؟ قال : وأنت عاقل ؟ كل الناس مجانين ولكن حظى صار أوفر .

وقيل لآخر : لم أر مجنونا أعقل منك ! قال : الجنون ما أنت فيه . تأكل رزق الله ، وتطيع عدوّه .

وقيل لآخر : أغريب أنت ؟ فقال : أما عن عقلى فنعم . وأما عن البلاد فلا .

٥٧ ـــ شاب من أبناء ذوى النعم

قال بعضهم : دخلت «دار المجانين» بنيسابور فإذا شاب حسن من أبناء ذوى النعم مشدود وهو يصيح ، فلما أبصرنى قال : أتروى من الشعر شيئا ؟ قلت : نعم من أى الشعر ؟ قال : من شعر البُحترى . قلت : من أى قصيدة أرويها ؟ قال : أى قصيدة كانت . قلت :

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ ؟! أم ابتسامتها بالمنظر الصاحى

فأنشدته القصيدة . قال : وأنا أنشدك قصيدة . قلت : نعم . فأخذ حتى بلغ إلى قوله :

أَقْصِرا ليس شأنى الإقصارُ وأَقِلّا لا ينفع الإِكْثارُ
إن جرى بيننا وبينك بُعْد أو تناءت مِنّا ومِنْك الدّيارُ
فالعَليلُ الذى عَهِدْتَ مُقيم والدموعُ التى شهدت غِزَارُ

فنفَر وجَعَل يَرْقُص فى قَيْده ، ويصيح إلى أن سقط مغشيا عليه !

٥٨ ــ موسوس

قال عبدان بن أحمد : كان بباب خُراسان مُوَسوس ، وكان يجالس الحسين بن منصور وكان يدور فى المقابر ، ويأتى إلى الحسين بن منصور[1] . فجاءه ذات يوم وعلى رأسه دُوخَلّة[2] ، والصبيان خلفه ، فوقف وقال للحسين : متى أخرج من نفسى ؟ متى آيس من نفسى ؟ متى آنس بالأنس ؟ وأستأنس بالوحش ؟ وأستوحش من جنسى ؟ فقال الحسين :

إذا وسْوَسْتَ فى الوقت من المأتم والعُرسِ
شهدْت النارَ والجنـــ .... ــة والأفلاك والكرسى

٥٩ ــ أبو المبارك ميمون

قال : لما رمى الحجاج بيت الله بالعذرة ، وقتل ابن الزبير ، أقبل رجل موسوس معتوه عليه عَباءة ، قد شدها إلى عنقه ، فطاف بالبيت سبعا ثم صعد إلى الحِجْر ، فتكلم بصوت جهورى ، فأسمع الناس وقال : أيها الناس ، من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى نَبّأتُه باسمى .

أنا ميمون أبو المبارك المجنون ، فاسمعوا ما أقول لكم ، فإنى متكلم ناطق غير هائب ولا خائف ، بل أقول بلسان صواب ، ولا أُخاف العقاب ، بل أرجو الثواب من

(١) الحلاج .

(٢) وعاء منسوج من الخوص يوضع فيه التمر ونحوه .

رب الأرباب ، ذى المن والإفضال إياه قصدت ، وما عنده طلبت .

ثم حمد الله فأحسن ، ومجّد فأكثر ، ثم دعا دعواتٍ وأغرب فقال : اللهم لك سجدت الجباه ، ولك خضعت الأعناق ، ولك ذلت الأرباب وأنت خالق السمٰوات والأرض بلا تعب ولا مشورة لذوى الألباب ، لم يُعجزْك ما أردت ، ولم يَفُتْك ما طلبتِ ، ولم يخفَ عليك شىء لبُعده ، ولا زدت فى معرفة شىء لقربه ، تعلم خفياتِ الضمائر ، كما تعلم كلّ شىء بيّن .

أما السمٰوات فلك مُذعنة ، وأما الأرضون فلك مطيعة ، وأما الأفلاك فلك مسبحة ، وأما الملائكة ففى عبادتك مجتهدة ، وأما النبيون فلرسالتك مُبلّغة ، وأما السحاب فبرحمتك مهطلة ، والنار من خوفك تزفر وتفرق ، والجنة مزينة بالحور والقصور .

فيامَنِ العدلُ قضاؤه . ويامَنِ الشكرُ رِضاؤه . ويامَنْ يتجلى فى الجنة لأوليائه . ا قد تكلمتَ بلسانٍ ينطقُ بحمدك ، وبقلب يخشعُ لهيبتك . وجوارح أذعنتَ لعظمتك ؛ فأسألك يا من قصدَه العبادُ من كلِّ البلاد . رجاءَ الثواب ، وخوفَ العقاب ، أسألك مسألةَ طالبٍ رجا الإجابة ، وأيقن بقضاء الحاجة : أن تُهلكَ الحَجّاج المتوثّب على بَيْتِك يرمى العَذْرَة والقاتلَ لأصحابِ نبيك صلى الله عليه وسلم المطهَّرين من كل ريبة .

اللهم إذا ذكرت عبادك بالرحمة فاذكره بأشد غضَب وأكمل عطَب ، إنك أنت المستجيب للدعاء .

اللهم هذا البيتُ بيتُك . وهذا الحرمُ حرمُك . وهذا حِجْر إسماعيل نبيُّك . اللهم أنت ذو الجلال والإكرام .

ثم أتى مِنىً والناسُ أجمع ما كانوا ، فصلى صلاةَ الفجر ، ثم قام قائماً على قدميه . ثم قال : أيها الناس ، أليس إلى الله قصدتم ؟ وما عنده طلبتم ؟ فإذا سألتموه فابتهلوا ، وإذا دعوتموه فاخضعوا ،والحجاجَ فالعنوا ؛ فإنه نجس الولادة .

اللهمّ فلا تُنَجّه من سخطِك واحرِمْه رحمتك التى وسعت كل شىء إنك ذو الجلال والإكرام .

قال :فاجتمع الناس إليه وقالوا له : أيها الرجل ، من أين أنت ؟ قال : من بلاد الله . قالوا : فأين تأوى ؟ قال : إلى أرض الله . قالوا : فما قصتك ، وقصة

الحجاج ؟ أظلمك بشيء ؟ قال : نعم . قالوا : ماذا ؟ قال : قصد بيت رَبّى فنجّسَه وقتل أصحاب محمد ﷺ ، وأهان . فوجبت اللعنة عليه ، واستوجب منا العداوة ، ولم أعرف موضعا أجلّ من هذه الثنية : موضع فيه ولد محمد ﷺ وأصحابه فأحببت أن أتعب نفسى من أجله وبالدعاء عليه .

ثم مرّ يَسْحَبُ كِساءه، وقد تبين فيه أثرُ الجوع ، فاتبعه رجل من التجار، فقال : السلام عليك يا أبا المبارك ، قال : وعليك السلام ياوافِد الله ! قال : لى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قال : تأتى منزلى ؛ فتأكل كِسْرةَ خُبزٍ ، وتشرب شربةً من سَوِيق[1] . قال : على شرطٍ . قال : وما شرطك ؟ قال : ألا تكون ظالما ، ولا عونا لظالم. فماعملك؟ قال: تاجر. قال: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**يحشر التجار فجاراً إلا من اتّقى ، وبَرّ ، وصَدَق**»[2]. قال: فإنى لا أمدح عند البيع، ولا أذم عند الشراء . قال : فمنك يا أخى طابَ القِرى[3] .

قال : فأتى إلى رحله ، فأكل رغيفا ومِلْحا ، ولم يزد عليه بشيء ، ثم قال : ياأخى ، عليك بأكل الخبز والمِلْح ، فإنه يُذيب شحم الكلى . قال : فقلت : ياأخى ، أوصنى : قال : خَفِ الله خوفَ حَذِرٍ ، وارجُه رجاءَ مُتَمَلِّقٍ ، وعليك بأكل الحلال ، وبذل النَّوال لأهل الإقلال ، وادخل الجنة بسلام .

قال : فأعجبنى ما سمعت من قوله .

قال : فلما انقضى الموسم أقبل أصحاب الحَجّاج إلى الحَجّاج ، وأخبروه بخبر «ميمون» وقالوا : ما منعنا من أخذه إلا العامةُ وجَلَبَتُهم ، والغَوغاء وضَجّتُهم ، قال : فدعا الحجاجُ بقائد من قواده ، من خاصّة أصحابه . وقال : سِرْ فى البلاد ، واطلب هذا الرجل ، ولك الحِباءُ والجائزة[4] . قال : فأتعَبُوا وأحْفُوا دوابَّهم فى طلب «ميمون» وهو من أهل الكوفة ومسكنه بها ، فدخل القائد الكوفة ، فإذا هو جالس على مزبلة والصبيان حوله ، وهو يقول لهم : إنه لم تجرِ عليكم الأقلام ، ولم تُكْتَب عليكم الآثام فانظروا أن تطيعوا إبليس عدوّكم ؛ فإنه عدو أبيكم آدم عليه السلام من قبل ، وهو الذى أعانه بعد القضاء على الخروج من الجنة ، وعليكم

(١) السّويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير . سمى بذلك لانسياقه فى الحلق وقد يتخذ شرابا .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب البيوع: باب ماجاء فى التجار، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة فى سننه كتاب التجارات حديث ٢١٤٦ ، والحاكم فى مستدركه (٢/٦) وصححه ووافقه الذهبى .

(٣) القِرى بكسر القاف : طعام الضيف .

(٤) الحِباء ــ بكسر الحاء ــ : ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به .

بأخلاق الصالحين ، والاقتداء بالمؤمنين : منهم الصدّيق ذو الحق المبين ، ثم عمر الفاروق لم يكن عنده حق الله يزول ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم عليّ الرضى سالّ السيف فى المنافقين الأردياء ، فإذا فعلتم ذلك كنتم مع الأولياء ، ولم يزل يعظهم ، فلما فرغ قالوا له : هل لك فى طعام طيب تأكله ، وثوب ليّن تلبسه ؟ فقال : كذبتم . مالهذا قصدتم ولا لهذا أردتم : إنما تريدون أن يحملنى أصحاب الحجاج إلى الحجاج . وإنما جئتم فى طلبى فلا تقيدونى ، ولا تغلونى ، فإنى لكم سامع مطيع فأحسنوا رفقته ، والمشى به ، فلما أشرف على بلد «واسط» قال له القائد : إذا دخلت على الأمير فسلم عليه . قال : فإذا لم أسلم عليه؟ فقال: يقتلك. قال: فإن أنا سلمت عليه وساءلنى فصدقته الجواب . أيقتلنى ؟ قال : نعم . قال : فما كنت بالذى أسلم على رجل عاصٍ قتل أولياء الله ، ووالى أعداء الله ، فهو بغيض لله ! ثم دخل القائد على الحجاج فأخبره بخبره ، ففرح الحجاج وقال : علىّ به ، فأُتى به ، فوقف بين يديه صامتا لم يتكلم ، وعليه عَباءة قد شدها إلى عنقه ، فاستحقره الحجاج ؛ لما رأى من نحالة جسمه وسوء حاله ، فأنشأ يقول :

إيـــاكَ أن تَـزْدَرِى الرِّجـالَ وَمـا يُدْرِيـكَ مَـاذَا يُجِنُّـه الصـدَفُ[1]
نفـسُ الجـوادِ العتيـقِ بَاقِيَـةٌ فيـه وإن مَسَّ جِسْـمَه العَجَـفُ[2]
فالحـرُّ حُـرٌّ وإن أَلَـمّ بـه الضُّـرُّ ففيـه الحيـاءُ والأَنَـفُ[3]

فلما سمع الحجاج مقالته وشعره علم أنه حكيم . فقال : من أنت ؟ ومن أين أنت ؟ قال : عبد الله ، وابن عبيدة . قال : فما منعك من السلام ؟ قال : ما كنت بالذى أُسَلّم ، ولو سلّمتُ خفتُ ألاّ ترد علىّ . قال : فما اسمك ؟ قال : أما اليوم فميمون ، وما أدرى ما اسمى عند ربى إذا دُعيت ؟! بالسعادة أُدعى أم بالشقاوة أُنَادَى ؟! فإن قيل سَعِدَ فلان فما أحتاج إلى اسمى . وإن قيل : شقى فلان فلا حَظّ لى عند ربى .

قال : ياميمون ، إنى سائلك عن مسائل . فانظر أن يكون الجواب صواباً . فقال :

---

(١) تزدرى : تحتقر . يُجِنّه : يستره ويخبئه داخله .

(٢) العتيق : الكريم الأصيل والعَجف : الضعف والهزال وفى التنزيل:﴿سبع عجاف﴾ .

(٣) أَلَمّ به : نزل . والأَنَف: العزة وعدم قبول الذل .

ياحَجّاج ، إنما لسانى بَضْعَةٌ مِن بدنى ، فإن أطلق مولاى الصواب ، نطق به اللسان . وما أنا وأمر لا أطيقه ، ولا أفعل إلا بحركة ، ولا حركة إلا بمعين . قال : ويحك ! وما اللسان ؟ قال : هو الذى يترجم عن الإنسان . قال : وإنسان أنت ؟ قال : نعم . قال : ومن أين علمت أنك إنسان ؟ قال : لأنى أفهم ، وأعقل ، وأطيع ، وأعصى ، وآكل بيدى ، وأشرب تجرعاً ، وأتغوط خاليا .

وليس هذا إلا فعل الإنسان . وقد قال الله عز وجل : **﴿يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾** (١٣/ الحجرات) فعرفت ما يضر مما ينفع .

قال : فمم خلقك ؟ قال : من ماء من عوج من بين لحم ودم فهو فى وقت إرعافه دم أحمر ، وفى وقت نزوله ماء أبيض ، فإذا استقر فى مستقر قراره صيّر منه مُضْغَةً مُخَلّقة وغير مخلقة ، ثم صيرّ منه لحما وعظما ، ودما ، وعروقا ، وجلدا ، فغشّى العظم بالجلد ، وشبك بالعروق والعصب ، وغشى بالجلد ، وليس فى بدن عرق ساكن إلا وتحته ضارب ، ولا ضارب إلا وتحته ساكن ، فإذا سكن الضارب قلق البدن ، وإذا ضرب الساكن اضطرب ، فمن قام بحقها استوجب من الله الثواب ، ومن لم يقم بحقها استوجب من الله الزوال ، فلا يخرج أحد من بطن أمه حتى يكتبَ أجلُه ورزقه ، وعمله ، وشقىّ أو سعيد .

قال : فلِم تعمل إذا كان قد فرغ من أمرك ؟ قال : اعمل لقول النبى ﷺ : **«اعملوا فكُلٌّ مُيَسّر لما خلق له»**[1] . ولما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ، ضرب يدَه على صُلْبه فاستخرج ذريته فأراهم إياه . ثم قبض قبضةَ اليمين فقال : هذه إلى الجنة ولا أبالى . ثم قبض القبضة الأخرى . وقال : هذه إلى النار ولا أبالى ! ثم أنزل الله على نبيه محمد ﷺ فى ذلك قرآنا وقال : **﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين﴾** يعنى أصحاب القبضة الأخرى **﴿فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾** (الواقعة ٩٠ ـــ ٩٤) فتقدر أن تنكر هذا ؟ فقال الحجاج : ويحك ياميمون ! تحسن مثل هذا وأنت تُدْعى مجنونا ؟ ! فقال : إن أهل البطالة إذا نظروا إلى أهل محبة الله سموهم مجانين .

---

(١) رواه الطبرانى عن ابن عباس ومثله ما رواه الطبرانى عن عمران بن حصين أيضاً بلفظ « **اعملوا فكُلٌّ مُيسّر لِمَا يُهْدَى له من القول** » ذكره العجلونى فى كشف الخفاء برقم ٤٣٠ ص١٦٥ .

[وقد مر خاتمة هذه الحكاية[1] من هنا إلى آخرها مرة أخرى فتركناه هنا للتكرار]
ثم خلى الحجاج سبيله فمضى مُسَلّما . ثم قال لابن طاهر :

لنا حاجةٌ والعذرُ فيها مقّدمُ ... خفيفٌ فعلها مضاعفة الأجر
فإن تقضها فالحمد لله وحده ... وإن كانت الأخرى ففى أوْسَع القَدَر
بلى إنه الرحمن مُعطٍ ومانعٌ ... وللحُرِّ أسباب إلى قَدَرٍ يَجْرى

٦٠ ــ الأعرابى مع الحجاج بن يوسف

ولنختم هذا المختصر بكلمات الأعرابى مع الحجاج بن يوسف .

صعصعة بن صوحان : خرجنا مع الحجاج حاجا إلى بيت الله الحرام ، فبينما نحن فى بعض الطرقات إذ نحن بصوت أعرابى يلبى بين الغيضة[2] ، فلما فرغ من التلبية قال : «كلامُك اللهّم لك . من قال : مَخْلوقٌ هلك ، وفى الجحيم قد سلك ، والجارياتِ فى الفَلَك على مجارى من سَلَك . قد اتبعنا رُسُلَك ، ما خاب عبدٌ أمَّلَك أنت له حيث سلك» .

فقال الحجاج : تلبية مُوَحّد وربِّ الكعبة ! لا يَفُوتَنَّكُم الرجل .

فأسرع ما كان حتى أتى بأعرابى على ناقة بُرَحَاء[3] بلجاء . فقال الحجاج : من أين أقبلت ياأخا العرب ؟ وإلى أين تريد ؟ قال : جئت من الفج العميق . قال : من أى الفجاج أنت ؟ قال : من العراق وأرضها ، قال : من أى العراق أنت ؟ قال : من مدينة الحجاج بن يوسف . قال : فما سيرته فيكم ؟ قال : سيرة فرعون فى بنى إسرائيل ! يقتل أبناءهم ويستحيى نساءهم ! قال : فهل خلفته ظاعنا أومقيما[4] ؟ قال : بل ظاعنا . قال : إلى أين ؟ قال : إلى الحج . ولن يتقبل الله منه . قال : وهل خلّف أحداً بعده ؟ قال : نعم أخاه محمداً . قال : فما سيرته فيكم ؟ قال : ظَلوم غَشُوم واسع البلعوم ، عاص مشئوم . قال له الحجاج : هل عرفتنى ؟ قال الأعرابى : اللهم لا ، قال الحجاج : أنا الحجاج بن يوسف . قال الأعرابى : أشَرُّ والله من ظلت الخضراء ، وأقلت الغبراء ، ويشرب من الماء ، بغيض مبغوض لعين ملعون ، فى الدنيا

(١) تحت رقم [٣٩] من عقلاء المجانين فارجع إليها لتستكمل الحوار الممتع ولتستجمع الصورة كاملة .
(٢) يقول لبيك اللهم لبيك .. بين الغَيْضة وهى الأجمة ، والموضع يكثر فيه الشجر ويلتف .
(٣) بُرَحاء : شديدة . وبلجاء بيضاء .
(٤) الظعن ضد الإقامة وهو السفر .

والآخرة . فقال الحجاج : والله ياأعرابى لأقتلنك قِتْلة لم أقتلها أحدا قبلك . قال الأعرابى : إن لى ربًّا يخلصنى وينجينى منك ! قال : ياأعرابى ، إنى سائلك . قال : إذاً والله أخبرك . فقال : أتحسن من القرآن شيئا ؟ قال : نعم . فقال فأسمعنا ؛ فاستفتح الأعرابى وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**إذا جاء نصر الله والفتح .ورأيت الناس**﴾ «**يخرجون من**» ﴿**دين الله أفواجا**﴾ . قال ليس هكذا ياأعرابى . قال : وكيف ؟ قال : ﴿**يدخلون فى دين الله أفواجا**﴾ فقال الأعرابى : قدْ كان ذلك قبل أن يتولى الحجاج ، فلما ولى صاروا يخرجون من دين الله ! فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ! ثم قال : ما تقول فى محمد رسول الله ﷺ ؟قال :وما عسى أن أقول فى محمد ﷺ صاحب : القضيب والناقة والحَوض والشفاعة وزمزم والسّقاية ، ومَن قرن الله اسمه باسمه يدعى فى كل يوم وليلة عشر مرات فى الأذان والإقامة .

قال : فما تقول فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ؟ قال : وما عسى أن أقول فى صِدّيق فى السماء ، وصِدِّيق فى الأرض ؟ وصاحبه فى الغار ، وأسلم وهو يملك ثمانين ألف دينار أنفقها فى سبيل الله وعلى رسول الله ﷺ ، ومع ذلك ياحَجّاج يوم قرأ النبى ﷺ : ﴿ **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله** ﴾ [التوبة : ٤١] وقال ـــ عليه السلام ـــ «**سمعتم ما قال ربكم تبارك وتعالى ، ألا من كان عنده شىء فليأتنى بما أمكنه**» فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فأتى بجميع ما عنده ، وقام عمر رضى الله عنه فأتى بنصف ما عنده ، وقام عثمان رضى الله عنه وأتى بثلث ما عنده . فقالوا : خذ يارسول الله . ولله عندنا المزيد فنزل جبريل عليه السلام وقال : يارسول الله : إن ربك العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك : أقرىء أبا بكر من السلام وقل له : أنا راضٍ عنه ، فهل هو راض عنى ؟ فأخبر النبى ﷺ أبا بكر رضى الله عنه ، فبكى أبو بكر بكاء شديداً وقال : يارسول الله ، أنا ـــ والله ـــ أرضى وأرضى ! فوعد الله أن يرضيه وذلك قوله تعالى : ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ [الآية رقم ٥ من سورة الضحى] .

قال الحجاج : فما تقول فى عمر بن الخطاب ؟ قال : وما عسى أن أقول فى

فاروق السماء ، وفاروق الأرض ؟ ! فرق بين الحق والباطل على لسانه ، وإذا كان يوم القيامة يأتى الحق والإسلام ويتعلقان فيه ، فيجزع رضى الله عنه منهما ، فيقولان له : لا تجزع فنحن الحق والإسلام اللذان كنت تقوم بنا فى الدنيا ، ومن ذلك ياحجاج ، أن رسول الله ﷺ كان عند حفصة ، فدخلت عليه صفية فقال لها : لاتخبرى عائشة ؛ فخرجت وأخبرت أمَّ سلمة ، فأخبرت أمُّ سلمة عائشة رضى الله تعالى عنهن ، فتظاهر عليه أزواجه فجاءهن عمر مغضبا . فقال لهن : لِمَ تتظاهرن على رسول الله — ﷺ — عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا فنزلت الآية كذلك موافقة لقول عمر رضى الله عنه .

قال الحجاج : فما تقول فى عثمان بن عفان ؟ فقال الأعرابى : وما عسى أن أقول فى حافر بئر أرومة ، ومجهز جيش العسرة ومن سبح فى كفه الحصى ، واستحيت منه ملائكة السماء ، ومن ذلك يا حجاج يوم دخل على رسول الله ﷺ « جالساً على جنبه الأيسر وركبته مكشوفة فدخل أبو بكر والنبى على الصلاة والسلام على حاله فلما استؤذن لعثمان بادر له ، غطى ركبته ، فدخل عثمان رضى الله عنه وجلس جلسة المريض يمزحه فنظر أبو بكر إلى عمر ، وعمر إلى أبى بكر فقالا : يارسول الله تغطيت من عثمان وعثمان صهرك ونحن أصهارك فقال النبى: «**ألا أتغطى وأستحيى ممن تستحيى منه الملائكة ؟!** »[1] فقال الحجاج : ماتقول فى حق على بن أبى طالب؟ قال الأعرابى : وما عسى أن أقول فى ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته البتول ، ومن قال له رسول الله ﷺ : «**ياعلى ، إن الله ألّف بين روحى وروحك وكان عرشه على الماء ، وزوجك فاطمة ، واختارك لها من قبل أن يخلق الدنيا بألف عام**»[2]. فقال الحجاج : فماتقول فى الحسن والحسين؟ قال الأعرابى : وماعسى أن أقول فيمن ولدتهما البتول ، ورباهما الرسول ، ورعاهما جبرائيل فهل لهما مثل وعديل ؟! فقال الحجاج : فما تقول فى معاوية ؟ قال وما عسى أن أقول فى خال المؤمنين وكاتب وحى رسول رب العالمين ، ورديف رسول الله ﷺ على بغلته دُلْدُل . فقال له النبى ﷺ مايلبنى منك يامعاوية ؟ فقال : « بطنى » يارسول الله ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام «**ملأه الله علما وحِلْما** » .

---

(١) رواه الطبرانى وأبو يعلى وفيه إبراهيم بن عمر بن إبان وهو ضعيف ، انظر مجمع الزوائد للهيثمى (٨٢/٩) ، وكذلك ذكره الإمام أحمد فى مسنده (٧١/١) ، (٢٨٨/٦) .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أشعث بن عمر الحسن بن صالح وهو ضعيف ، انظر مجمع الزوائد (١٠١/٩).

فقال الحجاج : ما تقول فى يزيد بن معاوية قال الأعرابى : كما قال من هو خير منى لمن هو شر منك ! فقال الحجاج : ومن هو خير منك ، وشر منى ؟ فقال الأعرابى : موسى عليه السلام خير منى وفرعون شر منك . قال الحجاج :فما قال فرعون لموسى ؟ قال : ﴿ **فما بال القرون الأولى .قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى** ﴾ [سورة طه : آية ٥١ ــ ٥٢] فقال الحجاج : فما تقول فى عبد الملك ابن مروان ؟ فقال الأعرابى : ذلك والله أخطأ خطيئة ملأت بين السماء والأرض . فقال الحجاج : وكيف ذلك ؟ قال الأعرابى : ولاك على أمور المسلمين تحكم فى أموالهم ودمائهم بجور وظلم ! قال : فعند ذلك همّ الحجاج بالسيف ، وأشار إلى سيافه ليضرب عنق الأعرابى . قال : فحرك الأعرابى شفتيه ؛ فخر السيف ناحية ، والسياف ناحية ، وولى الأعرابى ذاهبا ، فقال الحجاج : بحق معبودك إلا خبّرتنى بأى دعاء دعوت ؟ فقال الأعرابى : بدعاء إن علمتك إياه غفر الله لك ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ ثم قال الأعرابى : ياحجاج ، قلت : اللهمّ ياربَّ الأرباب ، ويا مُعتق الرّقاب ، وياهازمَ الأحزاب ، ويامُنشئ السحاب ، ويا مُنزلَ الكتاب ، ويا رازق من تشاء بغير حساب ، يامَلِكُ ويا توّابُ .

يارادّ موسى إلى أمه ، ويوسفَ إلى أبيه يعقوب ، أسألك أن ترزقنى وتكفينى شرّه إنك على كل شئ قدير .

وهذه عبارة الأصل

تمت النسخة النادرة ، بعون من له الأولى والآخرة ضحوة يوم الجمعة لثلاثة وعشرين خلت من المحرم الحرام سنة خمس وستين وألف بقسطنطينية المحمية على يد أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم إلى بره : أحمد بن المرحوم عبد الحليم ؛ عفا عنهما الرب الرحيم ــ والحمد لله وحده ، والصلاة على من لا نبى بعده والسلام .



كلمة الناسخ

تمت هذه النسخة المباركة بقلم الفقير إلى ربه المانح محمد صادق فهمى بن السيد أمين المالح الناسخ بخزانة كتب الملك الظاهر بدمشق ، غفر الله له ولوالديه ولمن تسبب بإيصال الخير إليهما وإليه وللمسلمين ، وكان الفراغ منه يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف

عن نسخة قديمة صحيحة بخزانة مفتى دمشق

السابق السيد أبو الخير أفندى عابدين

وهذا طبق الأصل

فمن وجد خللا فليحرره



فهرس عقلاء المجانين

مجانين الأعراب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٩/٢٠٩٥

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطى شبرا القاهرة
ت : ٧٧٣٢٢١

مكتبة ابن سينا

لِلنشرُ والتوزيعَ والتصديرُ

٧٦ شارع محمد فريد - بجامع الفتح - النزهة

مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣